

قراءات في المناهج التفسيرية  
عند السيّد الشهيد الصدر  
في كتابه منه المنان

بقلم  
عمار التميمي



دار المناهل للطباعة والنشر  
Dar-almanahel Publisher

حقوق الطبع محفوظة

قراءات في المناهج التفسيرية عند السيد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان



◆ المؤلف: عمار التميمي

◆ الناشر: دار المناهل

◆ الطبعة: الأولى 1446 هـ / 2024 م

◆ الإخراج الفني: جعفر الفاضلي

◆ الإشراف على الطبع: حيدر النجفي Didvar@gmail.com

◆ رقم الإيداع الدولي (ISPN): 978-622-91820-6-2

لا يجوز شرعاً وقانوناً طبع واستنساخ الكتاب دون الحصول على  
إذن خطّي من «دار المناهل»، وبخلاف ذلك تتمّ المسائلة القانونية

للتواصل مع مدير دار المناهل عبر الواتساب: +964 7807588865





## المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على خير خلقه، مُحمّد النبي الطاهر الأمين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

كانت الفكرة التي بُنيت على أساسها، تقرير هذه الأوراق، تتعلّق بالمنحى الأكاديمي، إلا أنه وفي نهاية المطاف، وقع التعارض بيننا، وذلك لتوارد الإنشغال البحثي المُختلف، فحصل الانفصال بمرجع.

فلنشرع في التعرف، على البُنية العامة للكتاب، التي تُماثل إلى حدٍ ما، القواعد المنهجية، المُحدّدة بضوابط عامة، في التعاطي مع الفكرة، حين استعراض المطالب، والإكتفاء ببيان مُقتضب عن نكاتها، وهو الإرتكاز العام، فصرت مسجوناً بها، مُقيّداً باغلالها، فلم يكن بحثاً موسّعاً وشاملاً للمباحث، أقتصرت جُلّ معاطاته، على الجزء الأول من الكتاب، ولعلنا نوفق لدراسات أعمق وأدقّ، لبقية أجزائه ان شاء الله تعالى.

على كل حال، تبلورت النظرة الشمولية، في قراءة للمناهج التفسيرية، وكيفية ترجمتها على كتاب (منة المنان في الدفاع عن تفسير القرآن)، لأية الله العظمى السيد الشهيد مُحمّد مُحمّد صادق الصدر (قدس الله سره)، فالبحث

كان في أصل المناهج، وتطبيقاتها على كتابه، وليس في أصل الكتاب، وإلا فالكتاب والكاتب، يحتاجان إلى وقفة وتأمل، من مُختَصٍّ ومُتَخَصِّصٍ.

وخارطة الكتاب رُسمت، على نحو يُماثل نفس المطالب، فقُسِّمته إلى ثلاثة فصول: الأول يقع تحت عنوان تمهيدات، والثاني بعنوان المناهج التقليدية في التفسير، والثالث الطرق والأساليب المُبتكرة في التفسير، ولكلٍّ من الفصول، مجموعة من المباحث والأقسام.

وقدّ التزمت في مباحث المناهج التقليدية، المُتعارفة عند أصحاب هذا الفن، بنفس المقدار التقليدي في البحث، فكانت المُعاطاة بيننا مُتشابهة، أما في الأساليب والطرق المُبتكرة في التفسير، فالأمر يختلف، فعمدت على إختزال إسقاطاته عليها، فكان الأساس التناغمي، هو السائد بين تلك المباحث.

اما فيما يخصّ أسلوبية السيد الشهيد (قدس الله سره) المُميّزة، في التعامل مع الخطابات والنصوص القرآنية، فقد أُتسمت بالشمولية والسعة، وقد أطلق عليها (قدس الله سره)، او بعض طلبته - كما سيأتي - بأسلوب (اللاتفريط)، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، كما بيّنه في مُقدّمة كتابه، وبلغه أهل القوم - أعني علماء التفسير - يطلقون عليه بـ(المنهج التفسيري الجامع).

حيث يعمد السيد الشهيد (قدس الله سره)، إلى الإحاطة التامة، بكل ما يتلائم والظروف الموضوعية لنفس اللفظة، وما يقع قبلها وبعدها، وما يُمكن ان

يتوافق معها، بالمقدار العقلاني والعقلاني، لأجل حفظ التناسق التام، وبطبيعة الحال، فإن هذا الإقتران الأكيد، والمساوقة بين المنهج الجامع وبين القرينة، قد ولّد تلك القيمة المعرفية، لهذا الأسلوب الرائع.

وهذه الجامعة، كانت الجواب الفيصل، لمن أهتم ببيان الجانب التصنيفي للكتاب، مُردّداً بين إندراجه ضمن كُتب التفسير، أو إنضمامه إلى الكُتب التي تُعنى بالحقول الأخرى، لعلوم القرآن المُختلفة.

وفي خاطري أمنية، ليست ببعيدة، هل يتسنى للباحثين إكمال مسيرة الكتاب، ضمن المنهج المرسوم، بعدما عبّد لنا السيد الشهيد، الطريق للوصول الى ذلك الهدف، ولو على نحو المُقاربات.

وفي الختام، أقدم شكري وامتناني، لكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل، وان يوفقنا الباري تعالى، لدراسات أوسع في هذا الفكر الثرّ، سائلاً المولى عز شأنه، ان يتقبّله بقبول حسن، أنه نعم المولى ونعم النصير.

عمار التميمي

النجف الاشرف

٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ



## الفصل الأول

# التمهيدات



## المبحث الأول السيرة الذاتية للمؤلف

أولاً: أسمه ونسبه ولقبه

هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد صادق بن مُحَمَّد مهدي بن إِسماعيل بن صدر الدين، وتعرف أسرته بآل الصدر نسبة إلى صدر الدين المتوفي (١٢٦٣هـ)<sup>(١)</sup> بن صالح بن مُحَمَّد بن إبراهيم شرف الدين - عميد أسرة آل شرف الدين - بن زين العابدين بن نور الدين بن علي نور الدين بن الحسين بن مُحَمَّد بن الحسين بن علي بن مُحَمَّد بن تاج الدين (أبو سبحة) بن مُحَمَّد شمس الدين بن عبد الله بن جلال الدين بن أحمد بن حمزة الأصغر بن سعد الله بن حمزة الأكبر بن أبي السعادات مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد عبد الله (نقيب الطالبين في بغداد) بن أبي الحرث مُحَمَّد بن أبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي طاهر بن أبي الحسن مُحَمَّد المحدث بن أبي الطيّب طاهر بن الحسين القطعي بن موسى (أبو سبحة) بن إبراهيم المرتضى بن الإمام أبي إبراهيم موسى الكاظم (عليه السلام) ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام مُحَمَّد الباقر ابن الإمام علي السّجاد ابن الإمام

---

(١) السيد مُحَمَّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ١٣.

الحسين ابن الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام<sup>(١)</sup>.

وقد لُقِّبَ بمجموعة من الألقاب، منها في حياته (قدس سره)، كـ(الزاهد العابد) في فترة شبابه، لِنُسكِهِ وزهده، و(الليث الأبيض)، لشجاعته وقوة قلبه، في مقارعة نظام الظلم البعثي، وكذلك لقب بـ(الولي المُقدَّس)، تقديساً وتشريفاً لعطاءه العلمي الثرّ، في مختلف صنوف المعرفة الإنسانية، وبعد أسْتِشْهادِهِ لُقِّبَ بـ(شهيد الجمعة)، حيث أُطلق عليه هذا اللقب، بسبب إقامته لصلاة الجمعة في العراق، واستشهادِهِ لأجلها وفي يومها.

### ثانياً: ولادته ونشأته

بعد أن تزوّج سمّاحة السيد مُحمَّد صادق الصدر (والد السيد الشهيد)، من كريمة آل ياسين (والدة السيد الشهيد)، بقيا فترة طويلة من الزمن، لم يُرزقا بأطفال، حتى ذهبوا إلى بيت الله الحرام، وتشرفوا بزيارة قبر النبي (صلى الله عليه واله)، فهناك دعا ربّهما، أن يرزقهما ولداً واسمه (مُحمَّد)، فاستجاب الله لهما، كما استجاب لزكريا، فرزقا بـ(يحيى العصر)، الذي أحيا القلوب الميتة، التي طالما رآن عليها، فجعلها تنبض بالحياة من جديد، فولد سمّاحته في (١٧ ربيع الأول عام ١٣٦٢ للهجرة المباركة الموافق ٢٣/٣/١٩٤٣ م) وهو يوم المولد النبوي الشريف، ومولد الإمام الصادق (عليه السلام)، ولا اعتقد

---

(١) مقدمة كتاب البيع على المكاسب، تقارير السيد مُحمَّد الصدر على دروس السيد الخميني في البحث الخارج، ج١، ص ١٥. مُحمَّد هادي الأميني، معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف خلال ألف عام، ج١، ص ٢٢٣.

أنها صدفة، وإِنَّمَا هو تأييد من الباري ﷻ<sup>(١)</sup>.

وعاش سماحته في كنف جده لأمه، آية الله العظمى الشيخ مُحَمَّد رضا آل ياسين، وهو من المراجع المشهورين، وقد زامت فترة مرجعيته، مرجعية السيد أبي الحسن الأصفهاني، ثم بعد وفاته، أصبح المرجع الأعلى للشيعة، وكذلك عاش في كنف والده سماحة السيد الحجة مُحَمَّد صادق الصدر، حيث نشأ سماحته في بيت علم وفضل، وزُقَّ العلم منذ صباه.

وكان لنشئته وتربيته الدينية، إنعكاس في خلقه الرفيع، وسماحته وبشاشته، وصدره الرحب، الذي يستوعب كل الأسئلة الموجهة إليه، حتى المُحرج منها، وليس ذلك عجباً، فإن هي إلا: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) رشيد القسام ومثنى الشرع، الانوار الساطعة من سيرة علماء الدين، ج ١، ص ٩٧ وما بعدها. مختار

الاسدي، الصدر الثاني الشاهد والشهيد، ص ٢٧.

(٢) (سورة إبراهيم ٢٤).

## المبحث الثاني السيرة العلمية

### أولاً: دراسته وأساتذته

بدأ سماحة السيد الصدر دراسته، في سن مبكرة جداً، حيث ارتدى الزي الحوزوي، وهو في سن الحادية عشرة من عمره، في عام (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) مُبتدئاً بدراسة العلوم المختلفة، على يد والده السيد مُحمّد صادق الصدر، والسيد طالب الرفاعي، والشيخ طراد العاملي (أحد علماء الدين في لبنان حالياً)، ثم أكمل بقية المُقدّمات والسطوح، عند السيد مُحمّد تقي الحكيم، (صاحب كتاب الأصول العامة للفقّه المُقارن)، والشيخ مُحمّد تقي الايرواني، وقد دخل سماحته كلية الفقه سنة (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، وكان عمره الشريف آنذاك، أربعة عشر عاماً، دارساً على يد أجمع أساتذتها<sup>(١)</sup>. فقد درس:

١. الفلسفة الإلهية على يد الشيخ مُحمّد رضا المظفر.

٢. الأصول والفقه المُقارن على يد السيد مُحمّد تقي الحكيم.

٣. الفقه على يد الشيخ مُحمّد تقي الايرواني.

٤. القواعد العربية على يد الشيخ عبد المهدي مطر.

---

(١) سالم شبيب، البحث القرآني عند السيد مُحمّد الصدر، ص ٣٢. نخبة من الباحثين، الصدر الثاني

وكان من أساتذته في هذه الكلية أيضاً، الأساتذة من ذوي الاختصاصات والدراسات غير الحوزوية ك:

١. السيد عباس الوهاب الكربلائي، وقد درس عنده اللغة الإنكليزية.
  ٢. الدكتور حاتم الكعبي، وقد درس عنده علم الاجتماع.
  ٣. الدكتور احمد حسن الرحيم، حيث درس عنده علم النفس.
  ٤. الدكتور فاضل حسين، وقد درس عنده علم التاريخ.
- وتخرج سماحته من كلية الفقه، ضمن الدفعة الأولى، سنة (١٣٨١هـ - ١٩٦٢م)، وكان عمره حينها، تسعة عشر عاماً.

ثمّ دخل مرحلة السطوح العليا، حيث درس كتاب (الكفاية)، على يد أستاذه السيّد الشهيد مُحمّد باقر الصدر (قدس سره)، وكتاب (المكاسب) على يد السيّد مُحمّد تقي الحكيم (قدس سره)، وقد كان لدراسته عند هذين العلمين، الأثر الأكبر في صقل موهبته العلميّة ونموّها، ثمّ أكمل دراسة كتاب (المكاسب)، عند الشيخ الحجة صدر البادكوبي (قدس سره)، الذي كان من مُبرّزي الحوزة العلمية وفضلائها<sup>(١)</sup>.

وبعدها ارتقى إلى مدارج البحث الخارج، (وهي مرحلة تسبق مقام الإجتهد في الحوزة العلمية)، حيث لم يتجاوز عمره آنذاك، اثنين وعشرين عاماً، فحضر البحث الخارج عند:

١. السيد مُحمّد باقر الصدر، دورة ونصف الدورة في علم الأصول وكتاب

---

(١) رحيم كريم الشريفي، البحث الدلالي عند السيّد مُحمّد مُحمّد صادق الصدر، ص ١٤.

الطهارة في علم الفقه.

٢. المحقق السيد الخوئي دورة كاملة في علم الأصول، وكتاب الطهارة في علم الفقه.

٣. السيد الخميني في المكاسب.

٤. السيد محسن الحكيم في كتاب المضاربة.

وقد كان (قدس سره) غاية بالجدّ والإجتهاد، في حضوره أبحاث أساتذته، إذ كان معروفاً عند أقرانه، بتميّزه في كتابة تلك الأبحاث، فلم يكن يترك شاردة وواردة، إلا وسجلّها، بسبب حضوره المتواصل، وعدم إنقطاعه عن الدرس، ما أنتج استيعاب كتاباته لتلك الأبحاث، حيث كان أغلب زملاءه يستعينون بتقريراته الدرسيّة، لما تتميّز به من سعة إطلاع، ودقّة ملاحظة، وجودة تقرير، فلم يكن يترك شيء إلا ودوّنه، مع إضافاته عليها أثناء التقرير.

ولابدّ لنا من أن نذكر، إلى جانب مسيرته العلميّة وأساتذته في هذا المجال، مسيرته في طريق المعرفة الإلهية، والعلوم الأخلاقيّة، فكان سماحته يُعرف بعبادته القوية، وتقواه وزهده وورعه.

ويُذكر أنه في يوم ما، لم يأت السيد الشهيد مُحمّد باقر الصدر (قدس سره)، إلى صلاة الجماعة، فقام طلبته بتقديم السيد مُحمّد الصدر (قدس سره)، لإمامة الجماعة، لما يعرفونه من استقامته وفضله، وأبى أن يتقدّم ويصلي مكان أستاذه، ولكنهم أجبروه على الصلاة، ويُذكر أيضاً، أن المرحوم الحجة السيد مُحمّد صادق الصدر (قدس سره)، جاء إلى السيد مُحمّد باقر الصدر (قدس سره)،

شاكياً له ولده، السيد مُحَمَّد الصدر (قدس سره)، لا من عقوقٍ ولا جَفاء، ولا قصور أو تقصير، بل من كثرة عبادته وسهره في الدعاء والبكاء، حتى أوشك على إتلاف نفسه، فما كان من السيد مُحَمَّد باقر الصدر (قدس سره)، إلا أن بعث إليه، وطلب منه التقليل من العبادة، فاستجاب له.

وقد تلقَّى المعارف الإلهية الحقَّة، على يد أستاذه الكبير، الحاجَّ عبد الزهراء الكرعاوي (رضوان الله تعالى عليه)، الذي كان من تلامذة العارف السيد هاشم الموسوي الحداد (قدس سره)، والذي يُعدُّ من أبرز طلبة العارف الكبير، السيد علي الطباطبائي القاضي (قدس سره)، وكان هذا الجانب واضحاً بقوة، وجلياً في شخصيَّة السيد الصدر (قدس سره)، بل كان أثره بيّناً، من خلال سلوكه العمليّ، وتصانيفه ودروسه العلميَّة.

فاستمر على هذا الطريق الإلهي، إلى يوم استشهاده، بحيث لا يعرف منزلته ومقامه العرفاني غيره، فهو يعتبرها من الأسرار التي بينه وبين ربه، ولا يمكن البوح بها، وقد ألمح إلى ذلك في استفتاء، حيث قال ما مؤداه (إن الله قد أنذر وحذر، وجعل الحُجج، ولكل إنسان استجابة، مع ذلك تتناسب مع قابلياته واستعداداته، فكلَّمَا استجاب الإنسان لها، استحق المزيد).

## ثانياً: إجازته

حصل السيد الشهيد الصدر، على العديد من الإجازات، المُتعارف عليها في الوسط الحوزوي، فقد أُجيز في الرواية من جملة من المشايخ والاعلام، أعلاها

من الملا محسن الطهراني الشهير بـ (آغا بزرك الطهراني)، عن شيخ مشايخه، أي: الميرزا حسين النوري، صاحب كتاب (مستدرک الوسائل)<sup>(١)</sup>. ومنهم أيضاً والده الحجة السيّد مُحمّد صادق الصدر (قدس سره)، وخاله الشيخ مرتضى آل ياسين (قدس سره)، وابن عمه السيّد آقا حسين خادم الشريعة (قدس سره)، والسيّد رضا الصدر (قدس سره)، والسيّد عبد الستار الحسني، والسيّد عبد الرزاق المُقرّم (قدس سره)، والسيّد حسن الخرسان (قدس سره)، والسيّد عبد الأعلى السبزواري (قدس سره)، والدكتور حسين علي محفوظ (رحمه الله)<sup>(٢)</sup>.  
 اما إجتهاده، فقد أُجيز بالإجتهد من أستاذة السيّد الشهيد مُحمّد باقر الصدر (قدس سره)، في سنة (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م)، ولم يتجاوز عمره آنذاك (٣٦) سنة، وقيل كان عمره (٣٤) سنة<sup>(٣)</sup>، حيث اتفق أنّ جملة من الفضلاء، طلبوا من السيّد الشهيد مُحمّد الصدر (قدس سره)، أن يُباحثهم على مستوى أبحاث الخارج، وقد سألوا السيّد الشهيد مُحمّد باقر الصدر (قدس سره) عن ذلك، فشجّعهم عليه، وذكر لهم المقدرة العلمية للسيّد مُحمّد الصدر (قدس سره)، وتمامية أهليته لذلك، وقد اتفقوا على أن تكون مادة البحث في الفقه الإستدلالي، بكتاب (المختصر النافع) للمحقق الحلي، لأنّه يُمثّل دورة فقهية كاملة، ومختصرة في الوقت نفسه، وكان مكان الدرس حينها، مسجد الشيخ

(١) السيّد الشهيد مُحمّد الصدر، مدارك الآراء في إعتبار حال الوجوب او حال الأداء، ص ١٩.

(٢) السيّد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧ - ١٨.

الطوسي، وقد استمر الدرس قرابة أربعة أشهر، وبسبب صعوبة الظروف حينها، أدى ذلك إلى إنقطاع البحث، وتفرّق الطلاب.

ثمّ بتسديد من الله تعالى وعونه، عاد سيدنا الشهيد (قدس سره)، إلى إلقاء البحث الفقهي، بعد سنوات عديدة، في جامعة النجف الدينية، وعلى متن كتاب (المختصر النافع) أيضاً، وتوقف عن إعطاء الدرس، بعد أحداث الانتفاضة الشعبانية، ليعاود بعدها إلقاء دروسه المباركة، ومحاضراته العلمية القيّمة، في مسجد الرأس، المُلاصق للحرم العلوي الشريف، واستمر بحثه إلى آخر يوم من عمره الشريف، وكان يُلقِي في هذا المسجد أبحاثه، في كل يوم<sup>(١)</sup>، على النحو التالي:

**أولاً: البحث الفقهي صباحاً.**

**ثانياً: البحث الأصولي عصرًا.**

**ثالثاً: إلقاء محاضرات تاريخية وأخلاقية وعقائدية.**

**رابعاً: دروس في شرح كفاية الأصول.**

**خامساً: الدروس القرآنية في يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع.**

ومن مزايا هذه المحاضرات - أي الدروس القرآنية - هو اتسامها بخاصية التجدّد والجرأة في الطرح، والقابلية على نقد الآراء وتفنيدها، حيث انتهج السيد الشهيد (قدس سره)، في تنظيره التفسيري للنص القرآني، أسلوباً مُغايراً لأسلوب سائر المُفسرين، في تفسير القرآن الكريم، فكانت العادة أنهم يشرعون بتفسير القرآن الكريم، من سورة الفاتحة إلى الناس، إلا أنه بدأ تفسيره من سورة

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، مقدمة كتاب البيع، ج، ص ٢١.

٢٠..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان

الناس، رجوعاً إلى باقي السور القرآنية المباركة، وهو منهج في البحث، لم يسبق إليه أحد من ذي قبل، وله في اتخاذ هذا المنهج رأي سديد، طرحه في بداية كتابه التفسيري، وكما سنذكره لاحقاً.

### ثالثاً: مؤلفاته

اما آثاره العلمية، فقد ترك السيّد الشهيد مُحمّد الصدر (قدس سره)، جملة من المؤلفات العلمية، والتي امتازت بالإبداع والابتكار، والجرأة في الطرح والمناقشة العلمية، في شتى الميادين، والحقول المعرفية المختلفة، وكان منها:

١- ما وراء الفقه، في خمسة عشر مجلّداً، تحتوي هذه الموسوعة على أسئلة تخصّ الثقافة الفقهية المُعمّقة.

٢- منّة المنان في الدفاع عن القرآن، في خمسة مجلّدات. صدر منه (الجزء الأوّل) بقلم السيّد الشهيد، وصدر (٤ أجزاء)، تقريراً لدروسه القرآنية، على يد مؤسّسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر.

٣- موسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وتحتوي على: تاريخ الغيبة الصغرى، وتاريخ الغيبة الكبرى، وتاريخ ما بعد الظهور، واليوم الموعود بين الفكر المادّي والديني، وعمر الإمام المهدي (عجل الله فرجه). وقد عبّر عنها في إحدى جلساته، بأنها مفتوحة لكل سؤال يأتي في الذهن، حول مسألة الإمام المهدي (عج).

٤- الأنظار التفسيرية.

- ٥- بين يدي القرآن الكريم، وهو فهرست موضوعي للقرآن الكريم.
- ٦- منهج الصالحين، وهو رسالة عملية موسّعة في خمسة مجلّدات.
- ٧- مسائل وردود.
- ٨- فقه الموضوعات الحديثة، وهو رسالة عملية في المسائل المُستحدثة.
- ٩- الفتاوى الخطية.
- ١٠- الصراط القويم، وهو رسالة عملية مُختصرة.
- ١١- الرسائل الإستفتائية.
- ١٢- كتاب البيع، وهو تقريرٌ لأبحاث السيد الخميني، ويقع في أحد عشر مجلّداً تقريباً.
- ١٣- كتاب الطهارة، تقريراً لأبحاث السيد الشهيد الصدر الأوّل، ويقع في ثمانية مجلّدات تقريباً.
- ١٤- مبحث ولاية الفقيه.
- ١٥- الوافية في حكم صلاة الخوف في الإسلام.
- ١٦- اللمعة في حكم صلاة الجمعة، وهو تقريرٌ لأبحاث السيد إسماعيل الصدر.
- ١٧- بحوث في صلاة الجمعة.
- ١٨- بيان الفقه، وهو بحثٌ فقهي استدلالي، يتناول مبحث القبلة ولباس المُصليّ.
- ١٩- حكم القضاء في مدارك فقه الفضاء.

٢٢..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان

٢٠- مدارك الآراء في اعتبار حال الوجوب أو حال الأداء.

٢١- منهج الأصول، في خمسة مجلّدات.

٢٢- أصول علم الأصول.

٢٣- محاضرات في علم أصول الفقه (دورتان)، تقريراً لأبحاث السيّد

الشهيد الصدر الأول.

٢٤- فقه الأخلاق، في مجلّدين، وهي دورة فقهية، يبحث فيها عن الأحكام

الأخلاقية والمستحبات في الفقه، وقد سُئل السيّد عن ما احتواه فقه الأخلاق،

فأجاب أنه جواهر بين التراب، إشارة لما فيه من اللمحات العرفانية العقلية،

والبعد الفكري، وقد تم ترجمته أيضاً إلى اللغة الفارسية.

٢٥- حبّ الذات وتأثيره في السلوك الإنساني.

٢٦- أضواء على ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).

٢٧- شذرات من تاريخ فلسفة الإمام الحسين (عليه السلام).

٢٨- مجموعة أشعار الحياة، وهو ديوان شعر، يُمثّل مراحل حياة السيّد

الشهيد.

٢٩- المرأة في فكر المرجع الديني الكبير الشهيد السيد محمد الصدر.

٣٠- الدرّ النضيد في شرح سبب صغر الجسم البعيد. بحث فيزيائي.

٣١- فلسفة الحجّ ومصالحه في الإسلام.

٣٢- الخمس بين السائل والمجيب.

٣٣- الزكاة بين السائل والمجيب.

- ٣٤- الصوم بين السائل والمجيب.
- ٣٥- الطهارة بين السائل والمجيب.
- ٣٦- فقه الطب.
- ٣٧- فقه العشائر.
- ٣٨- فقه الفضاء، وهو رسالة عملية في مسائل وأحكام الفضاء المُستحدثة.
- ٣٩- فقه المجتمع.
- ٤٠- مختصر أحكام الصلاة.
- ٤١- مسائل في الحجاب.
- ٤٢- مسائل في حرمة الغناء.
- ٤٣- مناسك الحج.
- ٤٤- موارد جواز النظر وعدمه.
- ٤٥- حديث حول الكذب.
- ٤٦- نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان.
- ٤٧- الأسرة في الإسلام.
- ٤٨- الرد على الشبهات من السنة والآيات.
- ٤٩- بحث حول الرجعة.
- ٥٠- رفع الشبهات عن الأنبياء.
- ٥١- الإفحام لمدعي الاختلاف في الأحكام.
- ٥٢- أشعة من عقائد الإسلام.

٢٤..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان

٥٣- القانون الإسلامي وجوده، صعوباته، منهجه.

٥٤- كلمة في البدء.

٥٥- تقارير في علم أصول الفقه (دورة كاملة)، تقريراً لأبحاث السيد

الخوئي، وتقع في ثلاثة عشر مجلداً تقريباً.

٥٦- بحوث استدلالية في كتاب الطهارة، تقريراً لأبحاث السيّد الخوئي.

٥٧- دروس في شرح كفاية الأصول، من أبحاث السيّد الشهيد الصدر

الأوّل.

٥٨- الكتاب الحبيب إلى مختصر مُغني اللبيب.

٥٩- تعليقة على رسالة السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر الفتاوى الواضحة.

٦٠- تعليقة على الرسالة العملية منهاج الصالحين للسيّد الخوئي.

٦١- تعليقة على الرسالة العملية مناسك الحجّ للسيّد الخوئي.

٦٢- تعليقة على كتاب المهدي للسيّد صدر الدين الصدر.

٦٣- حياة السيّد صدر الدين الصدر.

٦٤- الكلمة الحية في حكم خلق اللحية.

٦٥- تعليقة على الرسالة العملية وسيلة النجاة، للسيّد أبي الحسن

الأصفهاني.

٦٦- المعجزة في المفهوم الإسلامي.

٦٧- رسالة في الفقه المُتكامَل.

٦٨- فوز الأنام في أدعية الليالي والأيام.

٦٩- قصص من القرآن الكريم.

٧٠- السيّد الشهيد الصدر كما أعرفه. ترجمة أستاذه الشهيد الصدر الأوّل، مفقود.

٧١- تعلّيق على بعض كتب اللمعة.

٧٢- تعلّيق على بعض كتب شرائع الإسلام.

٧٣- محاضرات أساتذته في كليّة الفقه، فلسفة، فقه، أصول، علم النفس، علم الاجتماع، والأدب، والتاريخ، وغيرها.

٧٤- تعلّيق على مستحدثات المسائل للسيّد الخوئي.

٧٥- من ثمار الإسلام.

٧٦- ردود نقديّة على كتاب (الشيعة والسنة) لإحسان إلهي ظهير.

٧٧- الكلمة التامة في الولاية العامّة.

٧٨- عشرات المقالات، كتبها في الصحف النجفيّة، وجملتها منها لا زال مخطوطاً.

منها ما هو مطبوع، والآخر قيد التحقيق والطباعة، والباقي ما زال مخطوطاً، هذا ما نعلمه من آثاره، والباقي ممّا لم يطرق اسماعنا (لحين تدوين هذه الأوراق)، ولعلّ فجرها سيبزغ ان شاء الله، لتنير للباحثين طريق العلم، وتسطع اشعتها على القلوب والعقول، ثمرة ومُنتجة، لأثراء المكتبة العلمية، في شتى حقول المعرفة الإنسانية.

ومن خلال هذه الآثار والتصانيف القيّمة، تتضح بعض اهتمامات السيّد

الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)، بالفقه المعاصر، وأن كل مؤلف من هذه المؤلفات، شكّل قضية من القضايا، وحاجة من الحاجات الملحة للكتابة فيها<sup>(١)</sup>.

وقد امتاز بالذكاء الحاد، والنبوغ العلمي المتوقّد، فعند دخوله كلية الفقه، كان أصغر تلميذ فيها، وكان عمره الشريف - كما ذكرنا سابقاً - أربعة عشر عاماً، مُنافساً لزملائه، حيث يذكر أن السيد مُحمّد الصدر (قدس سره)، قد كتب انشاء باللغة الانكليزية، تميّز به عن كل الطلاب، وفضّله مدرس المادة، عن باقي إنشاءات الطلبة، وفي درس التاريخ الذي عدّه أستاذ المادة من أفضل تلامذته فيه، وأهداه كتاباً نادراً، أسمه (كومونة باريس)، الذي كان صدر حديثاً، لمطالعتة وإعطائه إلى بقية التلاميذ.

اما موسوعة الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) حيث بدأ بتأليفها قبل عام (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م)، وهو العام الذي أنهى فيه الجزء الأول (الغيبة الصغرى) منها، ولم يكن عمره الشريف يتجاوز السادسة والعشرين، وقد شهد السيد الشهيد مُحمّد باقر الصدر (قدس سره) له، بما لم يشهد لأحد من المؤلفين، حيث قال في مقدمته، التي وضعها لكتاب الموسوعة: (إننا بين يدي موسوعة جليّة، في الإمام المهدي عجل الله فرجه، وضعها أحد أولادنا وتلامذتنا الأعزاء، وهو العلامة البحّثة السيد مُحمّد الصدر - حفظه الله تعالى - وهي موسوعة لم يسبق لها نظير، في تاريخ التصنيف الشيعي، حول المهدي، في

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٧.

إحاطتها وشمولها، لقضية الإمام المنتظر من كل جوانبها، وفيها من سعة الأفق، وطول النفس العلمي، واستيعاب الكثير من النكات واللفتات، ممّا يُعبّر عن الجهود الجليّة، التي بذلها المؤلف في انجاز هذه الموسوعة الفريدة، واني لأحس بالسعادة، وأنا أشعر بما تملأه هذه الموسوعة من فراغ، وما تُعبّر عنه من فضل ونباهة والمعيّة، واسأل المولى سبحانه وتعالى، أن يقرّ عيني به، ويريني فيه علماً من أعلام الدين<sup>(١)</sup>.

وذكر السيد الشهيد محمّد الصدر (قدس سره)، في لقاء الحنانة ما مؤدّاه، انه يمكن أن تكون الموسوعة، دليلاً على الجتهاد.

وقد انتهى من إكمال الجزء الرابع، الموسوم بـ(اليوم الموعود)، بتاريخ (١٢/ محرم الحرام/ ١٣٩٦ هـ، الموافق لـ ١٤/ كانون الثاني/ ١٩٧٦ م)، وكان عمره الشريف آنذاك، اثنين وثلاثين عاماً.

---

(١) السيد محمّد الصدر، موسوعة الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، ج ١، ص ٤٠.

## المبحث الثالث

### المشروع التغييرى للمؤلف

#### أولاً: مشروعه التغييرى

عمد السيد الشهيد (قدس سره)، إلى قراءة الساحة العراقية، في ظل ظروفها الصعبة، التي أمتزجت بالظلم والإستبداد، ليُقَدِّم مشروعاً نهضوياً، يحمل عبق الفكر الإسلامى الأصيل.

وقد أقدم على هذا المشروع، وفق خطوات مُتسلسلة، وضوابط مُترابطة، أثارت جدلاً واضحاً في الواقع الإسلامى المُعاصر، من داخل العراق وخارجه، وكانت كالتالى:

أولاً: مارس هيمنته الفقهيّة، فاستطاع ان ينزع بعض الأدوات، التي احتكرتها السُلطة في سطوتها على الحوزة، بالقتل والتعذيب، فكان طرفاً نقيضاً لها، في صراع صعب، لِمَا تُمثّله هذه الدولة، من دموية وقمع<sup>(١)</sup>، فقدّم للأمة. إنموذجاً رائعاً، في تعايطى الفقيه مع السلطة الظالمة للحوزة. وكان ذلك من خلال بعض الخطوات، منها:

١- استرجاع المدارس الدينية، التي أغتصبها النظام الحاكم وأغلقها، فأعاد

---

(١) قاسم الكعبي، الثورة البيضاء، ص ١٩٠ - ١٩١.

فتحتها بالدرس والبحث والتحقيق، فغدت مركزاً إسلامياً، مُشعّاً بالفكر والعطاء.

ب - دعوة الشباب إلى الالتحاق بالحوزة العلمية، لنشر الدين والوعي الإسلامي عند المُجتمع، فلم تك منطقة، تخلو من طالب علم، او رجل دين مُعمّم، فانتشر الزري الحوزي والعمامة، في الأوساط الإجتماعية، وكان ظاهراً عند تجمع الناس في صلاة الجمعة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الشجاعة الإلهية، التي تحلّى بها (قدس سره)، فقد أثرت في الحوزة والمُجتمع، وكانت ظاهرة من خلال:

١ - خطاباته في صلاة الجمعة، بإخراج المعتقلين من طلبة العلم، وتحديّهِ للنظام الدموي، بالمسير نحو كربلاء، ودعوته لشرائح الظلم والاستبداد، بالعودة إلى الله، والتوبة من مسلكهم الوحشي، وغير ذلك.

ب - تمتع رجال الدين وأئمة الجُمع، بمعنويات عالية، بل وشجاعة فائقة، في التحرك والتواصل بين المجتمع، والخطابات التي تُقارع السلطات الدموية البعثية.

ج - إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بصورة مختلفة، كان أجلاها، وجود (١٠٠) إمام جُمعة، في مُختلف مناطق العراق، يدعون إلى طاعة الله، وتربية النفس ومحاربتها، من خلال الإلتزام بالتعاليم الإسلامية.

ثالثاً: بناء لقاعدة جماهيرية قوية ومتفاعلة، من خلال التحرك في الوسط

(١) قاسم الكعبي، الثورة البيضاء، ص ٢١٩.

الإجتماعي، بمختلف أطيافه والوانه، وكان من خلال:

أ - وجوده الشخصي بين الجماهير، وتجاوز خطاب الفقيه المكتوب، إلى خطاب الفقيه المسموع.

ب - التربية المباشرة للنُخب، والتي عُدَّت حلقة وصل، بين المرجع المجتمع، فاثارت التحرك على المفكرين، والعشائر والموظفين والكسبة، وغيرهم من طبقات المجتمع المُختلفة، وكانت النواة التي تشكّل منها، دعامة الربط بين الفقيه والمجتمع.

ج - اشراك الجماهير في أمور الحوزة، من خلال قنوات الإستفتاءات، لكل صغيرة وكبيرة، ومايدور في الساحة، من مستحدثات العبادات والمعاملات والعقود.

رابعاً: إقامته صلاة الجمعة المباركة، في عموم العراق، والتي كانت منبراً للحق، وصوتاً لرفض الباطل، وكانت خُطبه في شتى ميادين المعرفة، إضافة للجانب التربوي، والإعداد النفسي، فلم تكن إلا خمس وأربعون خطبة، أحدثت ثورة عمليّة، غيّرت الواقع العراقي المُعاصر بابعاده المختلفة، فكانت أثارها:

١- رصد العادات والممارسات السلبية في المجتمع، بواسطة أئمة الجُمع، ونبذ الأمور الجاهلية.

ب - فضح المحاولات التي يقوم بها النظام الدموي في سياسته، تجاه الحوزة وأبناء المذهب الشيعي، من قتل وتعذيب وتنكيل واعتقال، والتحذير

من المواجهة المُحتملة، ممّا شكّلت صلاة الجمعة لهم، خطراً يهدّد أركانهم، ويقضّ مضاجعهم.

ج - أنتشار الإلتزام الديني في المجتمع، بسبب منبر الوعظ والإرشاد، وخصوصاً الحجاب، الذي أصبح ظاهراً في المجتمع، وخصوصاً عند الطبقات الجامعية، ودوائر الدولة.

د - انخفاض نسب الجريمة والسرقات والفواحش والإعتداءات، وبشكل ملحوظ جداً.

**خامساً:** قدّم السيد منظومة مفاهيم مُبتكرة، أستطاع ان يؤسس منها، نسيجاً معرفياً على مختلف المستويات، فاعطى أنطباعاً مُختلفاً عن تجربته، ومحакاتها للمنظومة الإسلامية المُعاصرة، فكان على المستوى العلمي، حاضراً في شتى ميادين المعرفة، وترى ذلك جلياً من أثاره، وآراءه العلمية، ومناقشاته للنظريات الفيزيائية، كـ(نظرية انشتاين)، والطبية والكيميائية والبصرية، وغيرها ممّا هو في كتبه مسطور.

**سادساً:** خطابه النقدي لكل الميادين، بما فيها الحوزة، التي منها أنطلق حتى اتهمه البعض، بتقمّصه لمسلك الخطاب المتوتر الإنفعالي، بسبب النقد البناء، الذي مارسه على الموروث والأساطير، التي كانت حاكمه على الأذهان<sup>(١)</sup>، وكذا الحال على بقية الظواهر السلبية، التي يُمارسها البعض على الآخر، فكان مُمتّهجاً في الفكر والعمل، وممتازاً بعنصر المفاجئة في تحركاته،

---

(١) سالم شبيب بديوي، البحث القراني عند السيد الصدر، ص ١٧.

الرامية إلى بناء إنسانية الإنسان.

سابعاً: مثل هذا المشروع التغييري، عُصراً للمواجهة المباشرة مع النظام الدموي، الحاكم بقوة الحديد، لاستبعاد الفرد، ومحو الصورة الإسلامية من شخصه، فلم يك بُدّ إلا ان يرتدي الأكفان، صادحاً بظلمهم، وقد امتلك القلوب الشجاعة، والعقول النيرة، التي جذّرت هذا المشروع الإسلامي التغييري، ومهّد لختامه، بثقافة حسينية، ونبض عرفاني، فرواه بدم الشهادة، فكبرت أغصانه، وأينعت ثماره (قدس الله نفسه الزكية).

### ثانياً: استشهاد

دأب السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، على الجلوس في مكتبه (البراني) قبل صلاة الظهرين بساعة، وكذلك يومي الخميس والجمعة، بعد صلاة العشائين بساعة ايضاً، لاستقبال جمع المؤمنين، والإجابة على أستفتاءهم واستفهاماتهم، وقضاء حوائج المُحتاجين وغير ذلك، وفي أحد تلك الليالي، التي صادفت يوم الجمعة، أتمّ صلاة العشائين في الحرم العلوي المُطهّر، وعاد إلى البراني، ليجلس إلى الناس، ثمّ بعدها يخرج إلى بيته الواقع في الحنانة، بصحبه ولديه (السيد الشهيد مصطفى الصدر (قدس سره)، والسيد الشهيد مؤمل الصدر (قدس سره)).

وهم في طريقهم إلى الحنانة، في احد ضواحي النجف القريبة، وعند وصولهم إلى ساحة ثورة العشرين، إذ صادفتهم سيارة أمريكية الصنع، نزل منها مجموعة

من عناصر السلطة الظالمة، وبأيديهم أسلحة رشاشة، فأمطروا سيارة السيد بوابل من رصاصهم، ونُقلوا على أثر ذلك إلى المُستشفى، فاستشهد السيد مصطفى الصدر (قدس سره)، والسيد مؤمل الصدر (قدس سره)، وبقي السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، كما يُنقل عن البعض، قرابة الساعة، ثم فاضت روحه الشريفة إلى السماء، حيث موطنها الأصل، وكان ذلك يوم الجمعة، الموافق الرابع من ذي القعدة عام ١٤١٩ هـ - الموافق ١٩ / ٢ / ١٩٩٩ م<sup>(١)</sup>.

وبعد استشهادهم (قدس الله أسرارهم)، حضر جمع من مسؤولي السلطة إلى المستشفى، وذهب آخرون إلى بيته، ولم يسمحوا بتجمهر المُعزّين او الراغبين بتشييع جنازته، ولذا قام بمهمة تغسيله وتكفينه مع نجليه، مجموعة من طلابه ومريديه، ثم شيعوه ليلاً، ووارى الثرى في المقبرة الجديدة، الواقعة في وادي السلام، وقبته اليوم تناطح عنان السماء، بعدما أصبحت مأوى للزائرين، وملاذاً للمؤمنين، وروضة للعارفين، وقضاءً ببركته لحوائج السائلين، فسلام عليه يوم ولد، ويوم أُستشهد، ويوم يُبعث حياً.

### ثالثاً: بعض ردود أفعال محبيه

ولم تمضِ تلك الحادثة أدراج الرياح، فقد كانت هناك ردوداً من داخل العراق، تمثلت في إنطلاق تظاهرات واسعة في مدينة الصدر، وتحديدًا من

(١) رحيم كريم الشريفي، البحث الدلالي عند السيد مُحَمَّد مُحَمَّد صادق الصدر، ص ٢٨. مختار

(جامع المحسن)، تهتف بسقوط نظام الطاغية المقبور، والأخذ بثأر المرجع الشهيد، وحدثت مواجهات عنيفة، مع رجال الأمن والشرطة البعثية، المُدجّجين بالأسلحة الثقيلة، سقط على أثرها عشرات الشهداء، ومئات الجرحى، وقدّ هاجمت الجماهير الغاضبة، مقرّات أمن السلطة، ومقراتها الحزبية، وأحرقتها، وقتلت العديد من عناصرها، وكذلك وقعت مواجهات في مدينة النجف الأشرف، وكربلاء المقدسة، بين مرتزقة السلطة والجماهير الغاضبة، وراحت عشرات الدبابات تُحاصر المدينتين، وكذلك في الكوت والناصرية والديوانية والبصرة وبقية مدن العراق.

اما خارج العراق، فعلى الرغم من التعقيم الإعلامي، إلا ان مشاعر الغضب والسخط، مُقرّنة بالام الحزن والأسى، على مقتل الحلم الابيض، الذي أنار مسجد الكوفة، وامتدّ بظّلّه على صحراء العراق، لينير ظلام النفوس، فقد خرجت مظاهرات في سوريا ولبنان والأردن وإيران، وغيرها من الدول العربية الأخرى، بالإضافة إلى الدول الغربية، كبريطانيا والسويد، التي هاجم فيها ابناء الجالية العراقية، مبنى السفارة، التي أُخلّيت من مُتسبّيها، وكذا الحال في فرنسا والدنمارك والمانيا وبلجيكا، وحمل المتظاهرون، نعشاً رمزيّاً، ملفوفاً بالسواد، وأُلقيت كلمات وأشعار، فيما اقيمت صلاة الجمعة في الشوارع<sup>(١)</sup>.

(١) صلاح عبد الرزاق، الشهيد الصدر الثاني مرجع امة، ص ١١٣.

## المبحث الرابع التعريف بكتاب منة المنان

أولاً: الكتاب

عنوان ومقدمة الكتاب

حينما يختار المُصنّف، عنواناً لكتابه، يسعى لبيان قصد الحكاية، عمّا يكتنفه ويدور في ثناياه، وهو ما فعله السيد الشهيد (قدس سره)، حينما وضع تسمية للكتاب، بدقة مُتناهية، ليؤدي بدلالة مُستقلة، إلى هدفه الذي لأجله تحقق الداعي والباعث من كتابته، فحينما نُحاول تحليل البنية التركيبية للعنوان، نجده يتألف من مقطعين، الأول منها (منة المنان)، والثاني (في الدفاع عن القرآن).

اما الأول: فكان من مُفردتين، أُضيفت احدهما إلى الأخرى، فهو مركّب إضافي، وكلا المُفردتين من الفعل (مَنَّ - يَمُنُّ - مَنًّا - وَمَنَّةً)، بمعنى الإحسان والإنعام<sup>(١)</sup>، والعطاء والإكرام، وهو يعني: ان كل ما ورد في هذا الكتاب، هو من العطاء الإلهي في العلم والمعرفة، والكرم الرباني الدائم، في استحقاق الحكمة، والإحسان الوافر في تحصيل القُدرة، على تحليل بواطن الأشياء، بالتفكر

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة منّ.

والتدقيق والتحقيق، لاستنباط الوجوه المُحتملة، في تصريف معاني بواطن الآيات، والحصول على الإجابات، التي يُثيرها العقل البشري باستمرار، لتحليل النصوص الإلهية، حسب مُدركات العقل المُتفاوتة.

**والثاني:** فهو مؤلف من جار ومجرور (في الدفاع عن القرآن)، وهو أيضاً مُركَّب من مقطعين، حينما نسعى لتحليله، نرى ان اختياره لِبِعبارة (في الدفاع)، توحى إلى الخطر الذي يتهدّد القرآن.

**فإن قلت:** ان الدفاع لا يتحقّق إلا بعد الهجوم؟.

**أقول:** ان أشتعار أي خطر، ولو كان مُحتملاً، وبنسبة ضئيلة، يوجب على الفرد التهيء للدفاع، طبعاً وكلّما كان احتمال الهجوم أكبر، تصاعدت نسب الدفاع، هذا ان احتملنا وجود هجوم. اما إذا كان الهجوم مُتحقّق فعلاً، فينبغي على الفرد ان يدافع، بما يملك من عطاءات، لذا فإن الهجوم على القرآن، كان فعلاً وواقعاً، وعلى الصعيدين الخارجي والداخلي.

فعلى الصعيد الخارجي، وكما هو معلوم، بان الفكر العلماني بمسالكه المُتعدّدة، ومناهجه المُختلفة، وتسمياته البراقة، مارس ذلك الهجوم، منذ حُقب زمانية مُختلفة، ولا زال يسعى للإطاحة بقدسيته واعجازه، وقد أتخذ مساراً ومنهجاً مُعاصراً، أطلق عليه بالمسلك الحداثي<sup>(١)</sup>، وكان له مقاربات وإسقاطات وانتقادات وقراءات، أثرت على بعض المسلمين في العالم الإسلامي، ولا بدّ من مواجهته، والدفاع عمّا يُثيره من إشكالات ومغالطات،

---

(١) عمار التميمي، التواصل الحضاري مفهوم الحداثة في قراءة النص القرآني، ص ٧١.

وعدم فهم للنصوص، فانبرى السيد الشهيد (قدس سره)، للتصدي عن تلك الإستفهامات، إضافة إلى طرحه، لإحتمال استفهامات أخرى، قد تُثار مستقبلاً، مُجيباً عليها، بالتحليل والعرض والتحقيق.

واما على الصعيد الداخلي، وهو مُتحقق من القراءات، التي تكمن من الجهل بأساليب التعبير القراني، وعدم إدراك الوجوه والإحتمالات، التي يُعبّر عنها النص القراني، والإقتصار على المدلولات الظاهرية، وكما ورد في الاثر عن الإمام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)، حين أرسل ابن عباس إلى الخوارج، وأوصاه ان لا يجادلهم بالقران، لأنه حمّال أوجه<sup>(١)</sup>.

فعدم إدراكها، قد فتح الباب امام الأفكار المنحرفة، لتوجيه الطعون للنص المقدّس، ولم يك ذلك بقریب، بل منذ العصور الاولى، التي نزل القران الكريم إليهم، مُخاطباً وهادياً، فبدأ المسلمون بانتهاج مسارات مُتعدّدة، الكلّ منها يدعي الحقّ والحقيقة، فكان له الأثره في ظهور الكثير من التيارات الفكرية الإسلامية، والمذاهب العقائدية والكلامية المُختلفة، فكتبت العديد من التفاسير للنص القراني، طبعاً وبرؤية أحادية، لاثبات أحقيّة المُدعى.

وقد أطلع السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، على العديد منها، مستوعباً ما كتبه العلماء، على اختلاف مدارسهم، من دراسات وبحوث قرآنية، حيث قال: (فإن التفاسير بالتاكيد، لم تتعرض لكل المشاكل، والأسئلة الواردة حول آي القران الكريم، بل وجدنا ذلك أيضاً، حتى في الكتب المُخصّصة لذلك، ككتاب

(١) الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)، نهج البلاغة، خطبة ٧٧، ص ٥٤٥.

العكبري، وكتاب القاضي عبد الجبار<sup>(١)</sup>.

وقد كانت الإساءة فيها إلى القرآن الكريم، أما عن علم وعمد، لتحقيق اهداف بعيدة المدى، في الطعن بالكتاب المقدّس، والنيل من الدين الإسلامي، الذي يُمثّل القرآن الكريم دستورهِ المتكامل، لتنظيم حياة الفرد والمجتمع، او عن جهلٍ وقصور بأسراره ومضامينه العالية، وعدم المكنة من الغور في أسباره، للحصول على لألئ جواهره.

وكذا الحال حينما أراد التعبير عن العنوان، بقوله في المقطع الثاني (عن القرآن)، فهو ليس تفسير (كما سيأتي)، ولو أراد لقال: (عن تفسير القرآن) حيث يبيّن ذلك (قدس سره)، في المقدمة حينما قال:

(ولا ينبغي ان يلحق هذا الكتاب، بكتب التفسير العامّة، فانه ليس كذلك إطلاقاً، وقدّ تجنّب فيه عن عمد، كل ما يرتبط بالتفسير المحضّ - لو صحّ التعبير - إلا ما نحتاج إليه أحياناً، على سبيل الصدفة، وعلى القارئ الكريم، ان يرجع في التفسير إلى مصادره، وما أكثرها، إذ لعلّ تفاسير القرآن في فرق الإسلام، تزيد على المئة، بمقدارٍ مُعتدّ به، ولا حاجة إلى تكرار ما قالوه منها. وإنّما يلحق هذا الكتاب، بحقل الكُتب التي اختصّت، بمشاكل القرآن الكريم)<sup>(٢)</sup>. هذا على مستوى عنوان الكتاب.

أما المقدمة، فمن المعلوم ان المؤلف في العادة، يقوم بوضع مُوجزاً

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤.

تعريفياً، لما يحويه الكتاب من مباحث، عُقد لأجلها، ولهذا نرى ان السيد الشهيد (قدس سره)، في مقدّمة كتابه، قد وضع عشرون فقرة، على شكل أبواب ومقاصد، ليوقف القارئ، على مباحث الكتاب، ويمكن ان نوجزها بالتالي:

١- إن كتاب منة المنان، لا يُمكن ان يُعد من كتب التفسير بالمعنى الأخصّ، بل هو كتاب لرد الشُّبهات، والأسئلة التي يثيرها ذهن، حول بعض آيات القرآن الكريم.

٢- وضع حداً شرعياً لقراءة الكتاب، باشتراط مستوى خاص من الثقافة العامة، لدى القارئ.

٣- بيّن ان اهم فوائد هذا الكتاب، انه يفتح عين القارئ المُتشرّع، على مجالات جديدة، وعلى طرق من الفهم عديدة.

٤- إشراك القارئ في عملية التفكير، من خلال بيان الأوجه المُحتملة للنصوص القرآنية، وذلك عن طريق مواكبته للنص، ليفتح نافذة ذهنه، على الإحتمالات التي ترد إليه، وبيّن فوائد هذه الاطروحات.

٥- عرّف الاطروحة، وبيّن أهميتها.

٦- تطبيق أسلوب اللاتفريط في الكثير من مؤلفاته.

٧- بيانه لانواع الاطروحات المختلفة، والتي منها، الاطروحة الشاذة والنادرة.

٨- صياغته للكتاب بحسب المستوى العام، ولم يعطي للقارئ كل ما عنده، كما هو العادة عند المؤلفين، وذلك خوفاً عليه من الوقوع في الإشكال، وعدم الفهم.

٤٠ ..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان

٩- وضّح الأسباب، التي دعتّه أن يبدأ بالمصحف من الأخير، أي بالسور القصار، وذكر سببين لذلك، أحدهما نفسي، والآخر عقلي.

١٠- اهتم باسماء السور في مباحثه، ولم يهملها.

١١- اهتم بترتيب السور في مباحثه، ولم يهملها.

١٢- توقف السيد الشهيد (قدس سره)، عن الأخذ بروايات موارد النزول وأسبابها، وذلك لضعف سندها، وعدم صحة البعض منها.

١٣- قد يتكأ السيد الشهيد (قدس سره)، على مسألة اختلاف القراءات، في الإجابة عن بعض الإشكالات.

١٤- بيّن السيد الشهيد (قدس سره)، عدة أمور، منها: ان هناك موارد لا يحقّ للفرد التساؤل عنها، كطول بعض آيات سورة، وقصرها في أخرى، ومنها: ان قصور اللغة، يُفسّر لنا بعض الأمور، كالتكرار.

١٥- ذكّر باغراض السور القرآنية، وان هناك العام منها والخاص.

١٦- بيّن الفرق بين السجع والنسق في نهايات السور.

١٧- استخدم مباحث السياق في تفسيره، وقسّمه إلى: لفظي ومعنوي، وبيّن سبب استخدامه في مباحثه.

١٨- أرجع القارئ الكريم، إلى المصادر التي يمكن ان يستفيد منها، لفهم الكتاب، إضافة إلى ذكره أهم المصادر، التي أعتمد عليها في الكتاب.

١٩- وضّح الآراء التي عرضتها تلك المصادر، وقسّمها إلى قسمين: اراء ثابتة في الرتبة السابقة على القرآن. واءاء مُتحقّقة في الرتبة المتأخرة عنه.

٢٠- وضح مقاصد الكتاب في عرضه، فيكون المنهج العام في البحث، عناوين السور، ثم عرض الأسئلة لكل سورة، وأجوبتها، مُرتبة بترتيب آيات السورة.

### طريقته في ترتيب السور القرآنية

لم يماش السيد الشهيد (قدس سره) في تفسيره، المسلك المُتبع في الدراسات القرآنية، والذي يبدأ عادة من أوائل السورة، وانتهاءً بالسور القصار، فبعد حديثه عن البسملة، شرع في بيان سورة الناس والفلق، وهكذا نزولاً، للوصول إلى أوائل السور، وبطبيعة الحال فهو منهج مُبتكر، لم يسر فيه أحد من قبله، في تناوله لبيان السور القرآنية، سواءً على مستوى التفسير، أو الدراسات المُتعلّقة بالقرآن الكريم، فقال مُوضحاً السبب في ذلك، ما نصّه: (وسيجد القارئ الكريم، أنني بدأت من المُصحف بنهايته، وجعلت التعرض إلى سور القرآن بالعكس، فإن هذا ممّا التزمته في كتابي هذا، نتيجة لعاملين، نفسي، وعقلي:

أما العامل النفسي: فهو تقديم الطرافة في الأسلوب، وترك التقليد للأُمور التقليدية المشهورة، في ما يمكن ترك التقليد فيه.

وأما العامل العقلي: فلأن التفاسير العامة، كلّها تبدأ من أول القرآن الكريم، طبعاً فتكون أكثر مطالبها وأفكارها، قدّ سرده فعلاً، في حوالي النصف الأول من القرآن الكريم، وأما في النصف الثاني، فلا يوجد غالباً، إلا التحويل على ما سبق أن ذكره المؤلف.

الأمر الذي ينتج، أن يقع الكلام في النصف الثاني من القرآن، مُختصراً ومقتضباً، ممّا يُعطي أنطباعاً لطبقة من الناس، أنّه أقل أهمية، أو أنه أقل في المضمون والمعنى، ونحو ذلك.

في حين إننا لو عكسنا الأمر، فبدأنا من الأخير، لاستطعنا إشباع البحث في السور القصيرة، وتفصيل ما أختصره الآخرون، ورفع الإشتباه المُشار إليه، فإن لم نكن بمنهجنا هذا، قد استتجنا أكثر من هذه الفائدة، لكفى<sup>(١)</sup>.

### طريقته في عرض المادة العلمية

يمكن القول بان الطريقة التي انتهجها السيد الشهيد (قدس سره) في كتابه، تبدأ بالسؤال الذي يدور في الذهن، والمُحتمل الذي يُخالج الفكر، ومن ثمّ يأتي الجواب على تلك الاسئلة، على شكل أطروحات ووجوه واحتمالات، طبعاً ليس بالجواب القطعي على تلك الشبهات، بل يُعطي أجوبة مُتعدّدة لكل سؤال، ويترك في الأعم الأغلب، ترجيح احدها للقارئ، ومقدار استيعابه وثقافته، كما قال: (انني لم أعطِ الرأي القطعي او المُختار، بل يبقى الأمر قيد التفلسف في الأطروحات، والمفروض ان أيّا منها كان صحيحاً، كان جواباً كافياً عن السؤال، ويبقى اختيار الأطروحة الواقعية منها، موكولاً ظاهراً إلى القارئ اللبيب، وواقعاً إلى المقاصد الواقعية للقران الكريم)<sup>(٢)</sup>. اصف لذلك، فإن

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القران، ج ١، ص ١٨.

(٢) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في تفسير القران، ج ١، ص ٣٦.

استخدامه لاسلوب الاطروحات في التفسير، أثار العديد من الإستفهامات حول ذلك، وقد أجاب عنها، فقال: (ان هذا الأسلوب له مزايا ثلاث:

**الأول:** بقاء الباب مفتوحاً للزيادة في التفلسف والتفكير، فبدلاً من ذكر ثلاثة أطروحات مثلاً، يمكن بعد ذلك طرح خمسة أو عشرة، ممّا لم يتيسّر فورياً، الالتفات إليها، أو الإعتماد عليها.

**ثانياً:** الإلماع إلى أن الأسئلة المعروضة ضد القرآن الكريم، ليس لها جواب واحد، بل يمكن أن يتحصّل عليها عدة أجوبة، ومن جوانب متعدّدة، الأمر الذي لا يقتضي القناعة بمضمون القرآن وصحته، بل القناعة أيضاً بسقوط السؤال وذلته، وإنّ السائل من التدني والإهمال، بحيث لم يفهم شيئاً من هذه الأجوبة والأطروحات، ولم يلتفت إليها، فيكون مجرد عرض السؤال، مصداقاً لقول الشاعر:

إذا كنت لا تدري فتلك مُصيبةٌ      وأن كنت تدري فالمصيبةُ أعظمُ  
وهذه نتيجة صحيحة ولطيفة، ضد كل المتعصّبين ضد الدين، من كفارٍ وملحدين وفساقٍ ومعاندين.

**ثالثاً:** إنّنا بهذه الطريقة، لا نكون ممّن فسّر القرآن برأيه لكي نهلك، وإنّما يكون ذلك لمن بتّ بالأمر، وجزم بأحد الوجوه، وأما إذا عُرض الأمر في عدة أطروحات ومحتملات، فقد أبرأ ذمته من الجواب، وأرشد القارئ إلى الصواب، بدون أن يكون قد تورط في المضاعفات.

هذا، وأعتقد أن الأعم الأغلب من أساليب هذا الكتاب، هو ممّا اصطّلحنا

عليه بالأطروحة، سواء سمّيناه فعلاً، خلال حديثنا هنالك بالأطروحة أم لا، فإذا قلنا مثلاً: إنّ في جواب ذلك عدة وجوه أو محتملات، أو مناقشات، ففي الحقيقة يصلح كل وجه منها، أن يكون أطروحةً كافيةً في بيان الجواب<sup>(١)</sup>.

وهذه الأسباب، تبيّن استخدامه لهذا الأسلوب في التفسير، أكثر من غيره في بقية كتبه ومؤلفاته، فالباحث حينما يستعمل هذا الأسلوب، فانه إنّما يُريد به فتح الباب، امام آفاق جديدة من الإجابات الأخرى، التي يقول بها غيره، بمقدار الوان تفكيرهم، واختلاف اجتهاداتهم، وهذا ما ينسجم بطبيعة الحال مع النص القراني، وكما ورد في مضمون الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام)، ان للقران ظاهراً وباطناً، وعاماً وخاصاً، وناسخاً ومنسوخاً، ومُحكماً ومُتشابهاً، وإنه حمّال أوجه<sup>(٢)</sup>.

ومما يمتاز به أيضاً كتاب منة المنان، هو استخدامه اسلوب (اللاتفريط)، إذ يقول: (وقد عبّر بعض فضلاء طلابي عني، باني قد أخذت خلال هذه المباحث، بأسلوب اللاتفريط في القرآن الكريم)<sup>(٣)</sup>، وما مُحصّله: ان القران الكريم، يحتوي على كل ما في عالم الخلق والإيجاد، ظاهراً وباطناً، أستناداً لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

فيُمكن لنا من خلال هذا المسلك، ان نذكر ونبحث، كل ما يحتمل طوره

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في تفسير القران، ج ١، ص ٣٦ - ٣٧.

(٢) محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ٧، ص ٥١.

(٣) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في تفسير القران، ج ١، ص ٣٩.

(٤) (سورة الأنعام ٣٨).

على الذهن، حيث بيّن السيد الشهيد بانه: (باب واسع، يُمكن على أساسه، صياغة كثير من الأطروحات، لكثير من المشاكل، الني قد تثار في عدد من المواضع او المواضيع، وينسَدّ باب الاعتراض عليها، بان فيها اعترافاً بنقص القرآن الكريم)<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** شروط قراءة منة المنان قد يُثير الذهن إستفهاماً، لِمَ احتاج قراءة كتاب منة المنان، ان يكون بشرط شيء؟.

ولعل القارئ لا يجد الجواب في بداية مباحث الكتاب، ان اعرض عن قراءة مُقدّمته، فهذا الكتاب ليس كغيره من الكتب، التي تكون لا بشرط، بحيث تُمكن القارئ، من فهم المحتوى، فإن هناك مجموعة من المُصنّفات، التي تحتاج إلى مُقدّمة، بل إلى مُقدّمات لفهم مطالبها، واستيعاب مبانيها، وقد اوضح السيد الشهيد (قدس سره)، ذلك بقوله: (ولكن ينبغي الالتفات، إلى اني لم اكتب هذا الكتاب لكل المستويات، ولا يستطيع الفرد المُتدني، الاستفادة الحقيقية منه، وإنّما اخذت بنظر الاعتبار، مستوى معين من الثقافة والتفكير لدى القارئ، وأهمّها أن يكون في الثقافة العامة، على مستوى طلاب الكليات ونحوه، وأن يكون من الناحية الدينية قد حمل فكرة كافية، وان كانت مُختصرة عن العلوم الدينية المتعارفة، كالفقه والأصول والمنطق وعلم الكلام والنحو والصرف، ونحوها ممّا يُدرّس في الحوزة العلمية الدينية عندنا، في النجف الأشرف)<sup>(٢)</sup>.

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤.

فَلَمْ يُجَوِّزْ شَرْعاً، قراءة الكتاب بدون هذين الشرطين، ومن هنا يتضح الجواب عن السؤال، فنقول:

ان قراءة الكتاب بدون الشرطين المذكورين أعلاه، سوف يوجد احتمال ان يفهم القارئ السؤال، او الإشكال، او الشبهة، او الاعتراض، (الذي يثيره الذهن)، ولا يمكنه فهم الجواب، فتتعلّق الشبهة في ذهنه، ولا يستطيع دفعها، فيكون هذا الكتاب بدلاً من نفعه، أدى به إلى الضرر: (وهذا ممّا لا يريده الفرد لنفسه، ولا أريده لأي أحد، بل لا يجوز حصوله لأي أحد)<sup>(١)</sup>، فلغة الكتاب، والأسلوب المُعتمد، قائم على المصطلحات العلمية، والمعاني الإصطلاحية العميقة والدقيقة.

### ثالثاً: تصنيف الكتاب معرفياً

يرى المُصنّف، ان كتاب منة المنان، لا يصحّ ان يكون في درج كتب التفسير، وذلك لان الحقل التفسيري، يستلزم البحث عن المفردات والدلالات، وعن الناسخ والمنسوخ، وعن المُحكم والمُتشابه، وأسباب النزول وصحتها، وغير ذلك من اللوازم، ولا يعني حينها بالاختصاصات الأخرى، التي تتسابق في فهم النص القراني، وتجب على إستفهاماته الأخرى.

ولاجل ذلك، لم يبحث السيد الشهيد قَدَسُ بِمَا يتلائم وابواب ذلك الفن فقال: (هذا، ولا ينبغي أن يلحق هذا الكتاب، بكتب التفسير العام، فإنّه ليس

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٤.

كذلك إطلاقاً، وقد تجنبت فيه عن عمدٍ، كل ما يرتبط بالتفسير المحض - لو صحَّ التعبير - إلا ما نحتاج إليه أحياناً، على سبيل الصدفة، وعلى القارئ الكريم، أن يرجع في التفسير إلى مصادره وما أكثرها، إذ لعلَّ تفاسير القرآن في كل فرق الإسلام، تزيد على المئة بمقدارٍ معتدٍ به، ولا حاجة إلى تكرار ما قالوه منها<sup>(١)</sup>. بل ان كتابه يُمكن ان يُلحق، بحقل الكتب التي اختصَّت بمشاكل القرآن الكريم، كالكتب التي أخذها مصدراً في بحوثه ومناقشاته، ومنها كتاب العكبري، والرازي، والقاضي عبد الجبار، والشريف الرضي، وغيرهم ممَّا سنذكره لاحقاً في موارد البحث.

فلم يصطبغ بلون واحد، بل تعددت مشاربه، في التعرض لأي سؤال، وفي أي حقل معرفي يخطر على الذهن، فكاننا (نجد في هذا الكتاب، حديثاً من كل نوع: من الفقه، والأصول، وعلم الكلام، والنحو، والصرف، وعلوم البلاغة، وشيء من التفسير، مُضافاً إلى بعض العلوم الطبيعيَّة، كالفيزياء، والفلك، والتاريخ، وغيرها)<sup>(٢)</sup>.

ومع هذا فإن الكتاب يعتبر خليط منهجي، من كتب التفسير وكتب معاني القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، لكن النكهة العلمية للكتاب، لا تميل إلى كتب التفسير، بل إلى بيان التساؤلات والإشكالات المطروحة، والتي يمكن ان تطرح في

(١) السيد مُحمَّد الصدر، مئة المنان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) د. عبد الكاظم محسن الياسري، تعدد الاحتمالات النحوية واثرها الدلالي في كتاب مئة المنان،

المستقبل. ومع ذلك لا يمكن للباحث، ان ينكر وجوه اشتراك الكتاب مع

الكتب التفسيرية، في مواضع عدة، نذكر بعضها:

منها: أنَّ السيد الصدر (قدس سره)، ذكر في بعض المواضع، أنه تفسير، إذ قال: (إني فتحت هذا الباب، وأوضحته للبشرية، وللحوزة العلمية بالخصوص، أسلوباً في التفسير).

ومنها: اننا نرى الأسلوب الذي يعتمد في التفسير، واضحاً وجلياً في كتابه، كالإلتزام بتفسير كل الآيات، التي تضمّنتها السورة، ومراعاة ترتيبها، والحوادث التاريخية وغير ذلك.

إلا انه خالفهم في المادة العلمية، ولم يبحث كثيراً في تفسير المفردات، إلا إذا دعت الحاجة، ولم يعن بما عني به المُفسِّرون، من اسباب النزول، او القصص والروايات، وغيرها ممّا ذكرنا، فلا يكون تفسيراً.

اما بالنسبة لكتب معاني القرآن الكريم، وما يماثلها في أسلوب البحث، عن الإشكالات التي تعرض في دلالة الآيات القرآنية، من مختلف الوجوه الصرفية والنحوية والدلالية والصوتية وغيرها، فقد جانبهم في بحثه، عند التعرض للإشكالات، التي تُثار حول فهم الآيات القرآنية، ولكنه خالفهم في جوانب أخرى، فلم يكن منهجه مبنياً على اختيار الآيات وعرضها، كما هو منهج المعاني، بل بحث بشكل ترتيبى، مُستعرضاً السورة وآياتها، فكان منهجاً بكرةً، يكون في نفسه حقلاً مُنفرداً، وسيأتي الكلام عنه أن شاء الله تعالى.

## المبحث الخامس

### التعريف بالمنهج والتفسير

#### أولاً: التفسير

التفسير في اللغة: هو الإيضاح والتبيين، وجاء في القاموس المحيط، بأن المقصود من: (الفسر: الإبانة وكشف المغطى، كالتفسير)<sup>(١)</sup>، وذكر أيضاً في لسان العرب، هو: (البيان والكشف)<sup>(٢)</sup>، فتفسير الكلام، هو الكشف عن مدلوله، وبيان معناه، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

أما اصطلاحاً: فقد وردت الكثير من البيانات، لمفهوم التفسير، إلا أننا سنذكر البعض منها اختصاراً، حيث اختار الفناري في (كشف الظنون)، أن علم التفسير: (هو معرفة أحوال كلام الله سبحانه وتعالى، من حيث الآيات القرآنية، ومن حيث دلالاته على ما يعلم أو يظن، أنه مراد الله تعالى، بقدر الطاقة الإنسانية)<sup>(٤)</sup>، أما في مجمع البيان، فقد بين أن التفسير هو: (ما يبحث فيه عن

(١) مُحمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٢، ص ١١.

(٢) مُحمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، مادة فسر.

(٣) (سورة الفرقان ٣٣).

(٤) مُحمَّد بن حمزة الفناري، كشف الظنون، ج ١، ص ٢٩٨.

مراد الله تعالى، من قرآنه المجيد<sup>(١)</sup>، وفي البيان عند السيد الخوئي: (هو إيضاح مراد الله تعالى، من كتابه العزيز)<sup>(٢)</sup>، أما العلامة الطباطبائي في الميزان فقد عرفه بأنه: (بيان معاني الآيات، والكشف عن مقاصدها ومداليلها)<sup>(٣)</sup>.

إلا اننا لا بدّ لنا، من بيان الفرق بين المراد من كلام الله ﷻ، وبين المراد من كلماته، (فالكلمات تعني البحث اللغوي، في دائرة الوجود اللفظي للقرآن الكريم، وأمّا كلامه فإنّه يعني البحث في مضامين الجُمْل والأيات والسور، والمضامين المشتركة في وحدة موضوع واحد، وإن كانت مُتَشَرِّعة بين دفتي الكتاب، فالكلمة القرآنية، وإن كان لها نحو شركة في تركيبة الجملة، إلا أنّها لا تُمثّل هدفًا قرآنيًا، ولا تُشكّل مقصدًا تفسيريًا بحدّ ذاتها، بخلاف الجملة القرآنية، فإنّها تمثّل هدفًا قرآنيًا، ومقصدًا تفسيريًا، كما أنّ الجملة القرآنية، لا تمثّل هدفًا غائيًا، وإنّما هي حلقة تشترك مع حلقات أُخر، في رسم الموقف القرآني، إزاء موضوع من موضوعات القرآن، المبحوث فيها)<sup>(٤)</sup>.

اذن لدينا الفاظ، ولدينا تراكيب لفظية، تُمثّل بمجموعها، المعنى الظاهر لهذه الألفاظ المُنفصلة، فتكون لدينا مجموعة من المفاهيم المُختلفة.

ان قلت: هل يقع التفسير على الإستعمال اللغوي (اللفظي)، أو ينحصر فقط في التراكيب اللفظية، التي تمثّل بمجموعها بيانًا للمعنى؟.

---

(١) الفضل بن الحسين الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ١٥٩.

(٢) ابو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٣٩٧.

(٣) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣.

(٤) السيد كمال الحيدري، مناهج التفسير، ص ١٩.

قلنا: هناك اتجاهان في هذا الصدد:

**الأول:** الاتجاه الذي يُمثل الرأي السائد، لدى علماء أصول الفقه، والذي

يرى أن التفسير، لا يكون إلا في موردين:

أ - إظهار أحد مُحتملات اللفظ مع تساويها، وإثبات أنه هو المعنى المُراد.

ب - إظهار المعنى الخفي غير المتبادر، وإثبات أنه هو المعنى المراد، بدلاً من الظاهر المتبادر، وأما ذكر المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ، فلا يكون تفسيراً.

**الثاني:** واما الاتجاه الآخر، يرى أن ذكر المعنى الظاهر، قد يكون في بعض

الحالات تفسيراً أيضاً، وإظهاراً لأمر خفي، كما أنه في بعض الحالات الأخرى، قد لا يكون تفسيراً، لأن المعنى يكون واضحاً، وليس فيه خفاء، أو غموض، وقد اصطلح على الظهور الأول بـ(الظهور المُعقّد)، وعلى الثاني بـ(الظهور البسيط)<sup>(١)</sup>.

لذلك فإن كلا الموردين، يدخلان تحت المظلة التفسيرية، وهو يشمل

أيضاً، البحث في مفاهيم هذه الكلمات، وسبب اختيارها، والمعنى الإجمالي لها، والأثر في تحديد المصداق الخارجي، المُنطبق عليه ذلك المعنى، حيث أولى السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، اهتماماً بالغاً لهذا المورد، نذكر منها ما جاء في بيان الفرق، بين لفظ (إضلال)، و(تضليل)، في سورة الفيل، ولماذا عبّر بـ(تضليل)، ولم يقل بـ(إضلال)، فاجاب:

---

(١) السيد مُحمّد باقر الحكيم، تفسير سورة الحمد، ص ١٥.

(مقاله في الميزان<sup>(١)</sup>)، من أن التضليل والإضلال واحد، أقول: فالثلاثي ضلّ ضلّلاً، وهو لازم، والرباعي منه، يكون التضعيف: ضلّل ضليلاً والتهميز: أضلّ إضللاً، او يكون مُتعدّياً على النحوين، وكلتا المادتين موجودتان في القرآن، غير انه لم يرد بالتضعيف، إلا في هذا المورد، وذلك لأجل حفظ النُسق القرآني في السورة: الفيل، تضليل، ابابيل، سجيل<sup>(٢)</sup>.

اما البحث في مفاهيم المعاني، المُكوّنة من تراكيب الألفاظ، وتعيّن مصداق خارجي لها، فهو ما يُطلق عليه بتفسير المعنى، حيث نقرأ في القرآن الكريم، كلمات تصف الله ﷻ، بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر، وغيرها من صفاته عزّ شأنه، فكيف يسمع؟ وبأي جارحة؟ وكيف يعلم؟ وكيف يبصر؟. ومن هم أهل البيت؟. زوجاته؟. ام الخمسة المعصومين؟. وما النار والجنة؟ وغير ذلك كثير، من المعاني المختلفة الموارد.

لذا فإن الأهداف الأساسية للعملية التفسيرية، هو التعرف على مراد الله ﷻ أجمالاً وتفصيلاً، في ضوء المنظومة المعرفية التي يمتلكها المُفسّر، وبحسب المكنة والسعة، في التعاطي مع الخطابات والنصوص الإلهية، التي اعتمدها القرآن الكريم، في لغة الخطاب مع القارئ المُتخصّص، والقارئ المثقف، وصولاً للقارئ العادي، وهذا يمثل أحد وجوه الأعجاز القرآني. ومن هنا كانت القراءات الجدّية للخطاب الإلهي، تُمثّل الحلول الجذرية،

(١) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٦١.

(٢) السيد مُحمّد مُحمّد صادق الصدر، منة المنان في الدفاع القرآن، ج ١، ص ٢٤٩.

لكل ما يحيط اليوم بالواقع الإنساني، من أزمات وكوارث ونكبات، مع تقديم الحلول الناجعة، لانتشال المجتمع، والسمو به نحو التفاضل والتكامل، النفسي والعقلي.

وعلى كل حال، فإن الرؤية الكونية الإلهية، لا يمكن ان تنفك عن المُعطيات المعرفية القرآنية، والقراءة القرآنية، يتعسّر الوصول إليها، بدون العملية التفسيرية، وبذلك تبلور لنا أهميّة التفسير، فتتشكل لدينا رؤية جديدة لذلك، وهذا بدوره يُفضي، إلى تعميق وترسيخ مسؤوليتنا العلمية، تجاه هذا النمط المعرفي، وأعني به عملية التفسير.

## ثانياً: المنهج

منهج: بفتح الميم، ومنهج: بكسرهما، ويقال أيضاً: منهاج: بكسر الميم، وهو في اللغة الطريق الواضح، وأضاف إليه المعجم اللغوي العربي الحديث، معنى آخر، وهو: (الخطّة الموسومة)<sup>(١)</sup>.

وجاء في معجم الصحاح في اللغة والعلوم، المنهج: (هو خطوات مُنظمة، يتخذها الباحث، لمعالجة مسألة أو أكثر، ويتبّعها، للوصول إلى نتيجة)<sup>(٢)</sup>، اما البيان الإصطلاحي، فهو: (الطريق المؤدي إلى الكشف، عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، تُهيمن على سير العقل، وتحدّد عملياته، حتى

(١) المعجم الوسيط، مادة (نَهَج).

(٢) معجم الصحاح في اللغة والعلوم، ص ٦.

يصل إلى نتيجة معلومة<sup>(١)</sup>.

فالمنهج: هو مجموعة من القواعد العامة، التي يعتمد عليها الباحث، في تنظيم ما يخالجه من أفكار ورؤى، يمكن ان توصله للنتيجة المطلوبة، والمناهج متنوعة مُختلفة متعدّدة، لكل منها نمط خاص، في الكيفية المُعتمدة للإستدلال على إثبات المطلوب، وقد قيل: ان من يعتمد على الأدلة العقلية في إثبات مطلوبه، كان منهجه عقلياً، ومن أعتمد على الأدلة النقلية، فمنهجه نقلي، ومن أعتمد على التجربة في إثبات مدّعاء فمنهجه تجريبي، وهكذا الحال بالنسبة للمنهج الوجداني، والمنهج التكاملي والمنهج المقارن، والمنهج الجدلي، وغير ذلك ممّا ذكر في محله<sup>(٢)</sup>.

فمن سلك طريق البحث العلمي، لا بدّ ان ينصهر في قالب معين، وطريق واضح، لإثبات ما يدعي، ومع فقدان الدليل، فلا منهج، بل أدعاء يفضي إلى الوهم والخيال.

**فإن قلت:** هل يمكن للفرد ان يبتدع منهجاً ما؟.

**قلنا:** إذا وضعت له قواعد عامة، يتواضع عليها العقلاء، ويُحقّق مقبولة بحثية، في إثبات المُدّعى، أمكن ذلك، فيسوق الأدلة التي رسم لها منهجاً مُعيناً، في اثبات مطلوبه، وإلا كان فاقداً للصبغة العلمية، مُندرجاً تحت مفهوم التشويش والتخبّط.

(١) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص ٥.

(٢) الدكتور عبد الهادي الفضلي، اصول البحث، ص ٤٩ - ٦٩.

ومن هنا يتبين أهمية المنهج في البحث العلمي، ولكن قد تسأل: هل يمكن الجمع بين منهجين أو أكثر؟.

جوابه: ذلك ممكن، بحسب الموضوع البحثي، فتارة يمكن إثبات المدعى بالتجربة والبرهان، وتارة بالعقل، وتارة بالنقل، وتارة بالجدل وهكذا، فذاك ممكناً بطرق مختلفة، بشرط وحدة الموضوع، أما إذا كانت العملية الإستدلالية، تفرض منهجاً نقلياً، وقمت باستعمال المنهج التجريبي في ذلك، فهذا هو اللامنهجية بعينه، المُفسد للعملية الإستدلالية، والتي تُسمى بالفوضى البحثية.

### ثالثاً: الفرق بين المنهج والأسلوب

كما ان هناك ما يُسمى بالطريقة، او الأسلوب، او الإتجاه، وهي تماثل المنهج من حيث الضوابط، وتغايره من حيث السعة، حيث يقوم المُفسّر، بتسخير الإعتقادات الدينية، والكلامية، والسياسية، والإقتصادية، وغيرها، في أسلوب رسم الملامح العامة، للنصوص القرآنية، فيُعبر عن ذوقه الشخصي، وتخصّصه العام، في التعاطي مع الخطابات الإلهية.

وقد نشأت الإتجاهات التفسيرية، في القرن الثالث الهجري، بسبب ظهور المباحث الكلامية والفلسفية<sup>(١)</sup>، بين المدراس الإسلامية، فكانت كل من فرق المعتزلة والأشاعرة والمتصوفة وغيرها، تُفسر القرآن بما يتلائم والمباني التي

(١) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٥.

أُسست عليها، أضف لذلك فإن الاختلافات بين تلك الفرق والمذاهب، أسهمت في ولادة العديد من تلك الإتجاهات المُختلفة.

طبعاً وهناك العديد من العوامل، التي تبلورت بشكل فعّال، في انتاج بعض تلك الأساليب والإتجاهات التفسيرية، والتي منها - إضافة للاختلافات الفكرية والعقائدية - رغبة المُفسّر في استعمال الأدوات المختلفة، عند تحرير النصوص القرآنية، فمثلاً تخصّص المُفسّر في علم من العلوم، يُجبره - من حيث يشعر او لا يشعر - إلى ان يتبع أسلوباً أحادياً، قد اصطبغ بلونه، فترى الجانب الأدبي، او الكلامي، او الفلسفي، او الإجتماعي، هو السمة البارز له، وكذلك للبيئة المجاورة، والزمان المعاصر، أيضاً له الاثر البالغ، في تكوين رؤية وقناعة معينة في نفس المُفسّر، فتنعكس على عملية التعاطي مع النص.

وقد يرغب بعض المفسرين، في اختيار أسلوباً مُعيناً للكتابة، فيقوم بكتابة قراءاته للنصوص، اما على اساس ترتيبى، او موضوعى، او مزجى، او مُختصر، او مُفصّل، او مُجمل، او جامع، وغير ذلك ممّا يتعلّق بذوق المُفسّر وأسلوبه. او قد يختار نمطاً خاصاً محضاً، فيكون تفسيره فقهياً فقط، او تفسيراً أدبياً، او فلسفياً، او إجتماعياً، او أخلاقياً، او تاريخياً، او علمياً، وغير ذلك كثير.

#### رابعاً: دور المنهج في التفسير القرآني

الإتجاه يختلف عن المنهج، في التعاطي الحقيقي مع النص القرآني، في أستجلاء معانيه، والكشف عن أسرارهِ، والسبب بيّن واضح، ففي الإتجاهات،

فإن الظروف المحيطة بالمباشر لعملية تحليل النص، تُساهم في تكوين رؤية خاصة، على المنحى السياسي أو الإقتصادي أو الإجتماعي، فيباشر إسقاطات تلك الانعكاسات على النصوص، فلا يلتزم بقاعدة ما، وهو ما يُسمّى عند علماء التفسير (التفسير بالرأي).

لذا فإن الاختلاف المفهومي والموضوعي، بين الإتجاه والمنهج، يعطي مساحة واسعة لصاحب الإتجاه، في تطويع النص القرآني، ليحصل على دعائم دلالية، تُساير ذلك الإتجاه، وترفعه إلى حدّ المنهجية العامة.

فإن قمت بإستقراء بعض التفاسير القرآنية، فانك ستجد القليل ممّن يخرج من دائرتها، حيث كُرس البعض منها، لأثبات مبنى عقائدي، لمدرسة أو مذهب، أو لإضفاء الشرعية على بعض المراكز، كمن يُصور الخطابات الإلهية بأنها طيبة، أو مجموعة من النظريات الفيزيائية أو الفلسفية، وغير ذلك، فيعمد بالإنغلاق على الذات، وعدم تقبّل الرأي الآخر، المُباشر لعملية القراءات الأخرى، فلا يسعى في حينها إلى توفر الشرط الأول، والأساس في هذه العملية، إلا وهي التلبّس بقالب التجرّد، عن المُبتنيات والأهواء، في مرتبة سابقة، عن عملية تحليل الخطابات الإلهية، لأجل تقديم رؤية صحيحة، قائمة على أسس بحثية.

لذلك فإن كل حركة تفسيرية، غير قائمة على منهج مُعتبر، فإنها تُمثّل إتجاهاً مُعيناً، تُشكّل ترجمته السلبية على النص، مُعوّلاً في تهديم البنية المعرفية له.

فـ(المنهج التفسيري، هو الهيئة التي يقع عليها ذلك الكشف، فإذا كانت الهيئة والكيفية، علمية بحثية تحقيقية، فإن العملية التفسيرية سوف تكون مُمنهجة، وإلا فهي مجرد ركام معلوماتي، لا يزيد الباحث والمتوغل فيها، إلا بُعداً عن هدفه المعرفي والعلمي، الذي يصبو إليه، من وراء العملية التفسيرية. وعليه، فحيث إنّ المنهج التفسيري، هو الهيئة والكيفية الكشفية عن مقاصد القرآن الكريم، فإن هذه الهيئة والكيفية، قد اختلفت صورها ونتائجها، وهذا الاختلاف البحثي والتأججي، هو ما نُعبّر عنه أحياناً، باختلاف مناهج التفسير، فالهيئات والكيفيات التفسيرية، تعني تحديداً مناهج التفسير، أو مدارس ومذاهب التفسير، كما يرى البعض، التي اختلفت في عددها وحقيقتها<sup>(١)</sup>. وقد كُتبت العديد من الدراسات القرآنية، حول أرخنة المناهج التفسيرية، ونشؤها وبداياتها، وهل يمكن حصرها، وكان الأغلب الأعم منها، أُنْفَقَ على ان وصف العملية التفسيرية بهذا اللون المنهجي، يكون في رتبة متأخرة، وهذه الدراسات، هي من وضع الأسس والقواعد، والضوابط العامة لهذا القالب، فأطلقت التسمية الملائمة لهذه الضوابط، من خلال واقع إستقرائي، لممارسة الكشف عن الخطابات الإلهية، فعلى سبيل المثال، تم تسمية تفسير العياشي، وتفسير الصافي، وتفسير البرهان، بـ(التفسير الروائية)، لاعتمادها على المنهج الروائي، في بيان دلالات النص القرآني، وعلى تفسير التبيان ومجمع البيان بـ(التفسير العقلي)، لاعتمادها على المنهج العقلي، وعلى تفسير المحيط

(١) السيد كمال الحيدري، المناهج التفسيرية، ص ٣١.

الأعظم بـ (التفسير العرفاني)، لاعتماده على المنهج العرفاني، وعلى تفسير الميزان (بتفسير القرآن بالقرآن)، لاعتماده على المنهج القرآني، وهكذا.

أما أشهر هذه المناهج، التي تمّ الكشف عنها، من خلال هذه الدراسات، والتي تُسمّى بمناهج التفسير الناقصة، فهي:

منهج تفسير القرآن بالقرآن، ومنهج التفسير الروائي والأثري، منهج التفسير العقلي والاجتهادي، منهج التفسير الإشاري، منهج التفسير العلمي والتجريبي، منهج التفسير العرفاني.

**فإن قلت:** هل إن هذه المناهج توقيفية؟.

**قلنا:** إنها إستقرائية وحسب، حيث يتوافر العديد من المناهج الأخرى، كالادبية، والأخلاقية، والأصولية، والفقهية وغير ذلك، وهناك المنهج التفسيري الجامع، والذي يُعتبر هو المنهج الكامل، بحيث يستفيد من جميع المناهج التي ذكرناها سابقاً.



## الفصل الثاني

# المناهج التقليدية في التفسير



## المبحث الأول تفسير القرآن بالقرآن

### أولاً: التعريف بالمنهج

ويراد به: هو ان تكون النصوص القرآنية، بعضها مُفسّراً للبعض الآخر، وقد تحصّل لدينا اجمالاً ان التفسير، هو الكشف عن معاني الآيات، ومعرفة نصوصها، وفي ضوء هذا المنهج، سيكون كشف النص القرآني، مُنكشفاً بنص قرآني اخر، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، وعرفه البعض الآخر: (هو مقابلة الآية بالآية، وجعلها شاهداً لبعضها على الآخر، ليستدلّ على هذه بهذه، لمعرفة مراد الله تعالى من القرآن الكريم)<sup>(٢)</sup>.

حيث كان لنزول القرآن الكريم تدريجياً على النبي (صلى الله عليه واله)، أثراً بالغاً في توجيه الآيات، وبيان مداليلها، فجعل بعض الآيات مُفسّرة للبعض الآخر، فهو وحدة متكاملة، فما أُجمل في مكان، فقد فُصّل في مكان آخر.

ويعتبر علماء التفسير ان منهج تفسير القرآن بالقرآن، من أقدم المناهج التفسيرية، وهو أول وأعظم وأشرف وأنبل المناهج، التي سلكها اصحاب

---

(١) (سورة النحل ٨٩).

(٢) هدى ابو طبرة، المنهج الاثري، ص ٥٦.

التفسير، فلا تكاد ترى مُفسِّراً، قد تنصّل عنه، حتى الذين اعتمدوا منهجاً خاصّاً في تفاسيرهم، حتى قيل (أحسن طريق للتفسير، ان يفسر القرآن بالقرآن)<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: نبذة تاريخية عن تفسير القرآن بالقرآن

كان رسول الله (صلى الله عليه واله)، وأهل بيته الطاهرين، واصحابه الغر الميامين، يُفسِّرون القرآن للناس، على ضوء هذا المنهج، وقد جاء عنه (صلى الله عليه واله)، أنّه قال: (إن القرآن ليصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض)<sup>(٢)</sup>، كما جاء أيضاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله ولا يخالف بمصاحبه عن الله)<sup>(٣)</sup>.

وفي الروايات المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام)، أنه بيان للأحكام الشرعية الفرعية، والمسائل العقائدية وغيرها، من خلال الآيات القرآنية المباركة، نذكر منها:

سُئِلَ رسول الله (صلى الله عليه واله)، عن معنى (الظلم) في الآية الكريمة: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فأجاب صلوات

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٧٥.

(٢) علاء الدين الهندي، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، ج ١، ص ٦١٩.

(٣) مُحمَّد عبدة، شرح نهج البلاغة، الخطبة ١٢٩.

(٤) (سورة الأنعام ٨٢).

الله عليه واله، وبلاستناد إلى الآية: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، بان المقصود بالظلم في الآية الأولى، هو الشرك المذكور في الآية الثانية<sup>(٢)</sup>.

روى المفيد في إرشاده: أَنَّ عمرَ أُتِي بامرأة، قد ولدت لستة أشهر، فهمَّ برجمها، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): (إِنْ خَاصَمْتُكَ بَكْتَابِ اللَّهِ خَاصَمْتُكَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾<sup>(٤)</sup> فإذا تم، أتمَّت المرأة الرضاع لستين، وكان حملها وفصاله ثلاثين شهراً، كان الحمل منها ستة أشهر). فخلَّى عمر سبيل المرأة<sup>(٥)</sup>.

وقد سئل الإمام الباقر (عليه السلام)، عن مقصود الآية المباركة: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾<sup>(٦)</sup>، في مسألة القصر لصلاة المسافر، وبين حكمها الشرعي، أستناداً إلى الآية المباركة: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾<sup>(٧)</sup>، واثبت وجوب القصر عن هذا الطريق<sup>(٨)</sup>.

(١) (سورة لقمان ١٣).

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٤٤.

(٣) (سورة الأحقاف ١٥).

(٤) (سورة البقرة ٢٣٣).

(٥) مُحَمَّد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٤٠، ص ١٨٠.

(٦) (سورة النساء ١٠١).

(٧) (سورة البقرة ١٥٨).

(٨) مُحَمَّد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٥٣٨، الباب ٢٢ من ابواب صلاة المسافر،

عن زُرْقَان صاحب ابي داود قال: (رجع ابي داود ذات يوم، من عند المعتصم وهو مَغْتَمٌ، فقلت له في ذلك، فقال: وددتُ اليوم أنِّي قد متُّ منذ عشرين سنة. قال: قلت له: ولم ذاك؟. قال: لمّا كان من أبي جعفر مُحَمَّد بن علي بن موسى (عليهما السلام)، اليوم بين يدي أمير المؤمنين المعتصم. قال: قلتُ له: وكيف كان ذلك؟. قال: إنّ سارقاً أقرَّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر مُحَمَّد بن علي، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يُقَطَّع؟. قال: فقلتُ من الكرّسوع، (وهو طرف الزند الذي يلي الخنصر). قال: وما الحجّة في ذلك؟. قال: قلت: لأنّ اليد هي الأصابع والكف إلى الكرّسوع، لقول الله تعالى في التيمّم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، واتفق على ذلك معي قوم، وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟. قالوا: لأنّ الله لمّا قال: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾<sup>(٢)</sup>، في الغسل، دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد هو المرفق. قال: فالتفت إلى مُحَمَّد بن علي، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟. فقال: قد تكلم القوم فيه. قال: دعني ممّا تكلموا به، أي شيء عندك؟. قال: أعف عن هذا. قال: أقسمت عليك بالله لمّا أخبرت بما عندك فيه. فقال: أمّا إذا أقسمت بالله، أقول إنهم أخطأوا فيه سنة، فإن القطع يجب ان يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ، قال: وما الحجّة في ذلك؟. قال: قول رسول

(١) (سورة النساء ٤٣).

(٢) (سورة المائدة ٦).

(صلى الله عليه واله): (السجود سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين)، فإذا قُطعت يده من الكرّسوع، أو من المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، يعني به هذه الأعضاء ا لسبعة، التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup>، وما كان لله لم يُقَطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.

قال ابن أبي داود: قامت قيامتي، وتميّتُ أني لم أكُ حيًّا<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: خصائص وميزات منهج تفسير القرآن بالقران

كما يرى المُتخصّصون من علماء المناهج التفسيرية، ان العمدة في صدق المسلك، الذي يسير عليه المُفسّر، في بيانه لأيات القرآن الكريم، واظهار مكنوزاته، هو منهج تفسير القرآن بالقران، فإذا تعارضت اي محاولة تأويلية او تفسيرية، مع الآيات القرآنية المُفسّرة، فلا مناص من تقنين تلك المحاولة، بمسلك التفسير بالرأي في قبال النص، وسقوطها وبطلانها.

وقد اختلف العلماء حول هذا المنهج، فمن مُناصر ومعاخذ، ساق براهينه، مُستدلاً بآيات القرآن الكريم (كما سنذكره)، وبالأحاديث والروايات، وبناء العقلاء.

(١) (سورة الجن ١٨).

(٢) (سورة الجن ١٨).

(٣) ابي النصر مُحمّد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤٦.

اما المخالفين لهذا المنهج، فقد استدّلوا ببعض الأحاديث الضعيفة، في ضرب منهج التفسير بالقران، وإشكالات الاخباريين، حول عدم حجية ظواهر القران الكريم، ولم نتعرض لها، لاحتياجها إلى وقفة نقض وإبرام، ممّا يخرجنا عن مركزية البحث، وهو موجود في محله لمن أراد الإستزادة.

كما ان منهج التفسير الموضوعي، قائم على هذا المنهج، كما سيأتي بكل حيثياته، وعلى هذا الأساس يُعد من أنجع المناهج، وأقومها وأفضلها، وذلك لامتيازته بثلاث امور، منها:

**الأول:** انه صادر عن الواحد الأحد، ولا يوجد في مضامينه اي اختلاف، او تباين بين آياته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، فلو كان القران صادراً عن غير الله تعالى، فمن المُتيقّن وجود الاختلاف، لعدم إكتمال الصادر منه، فكل الوجودات مُتباينة في التفكير، وتسير نحو التغيير، فهي تختلف من آن، إلى آن اخر، بموجب قانون الحركة والتكامل، وبموجب القياس الإستثنائي، الموجب لبطلان المُقدّم وتاليه، وهو صدوره عن غير الله، ولازمه وجود الاختلاف، فهو يقيناً صادر عن الله، ولا يوجد في اي اختلاف، وتباين وتضاد بين آياته.

**الثاني:** وهو قائم على الأول، حيث ان القران الكريم، لا يوجد فيه اي اختلاف، فلا يمكن ان يسري إليه الباطل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ

عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ<sup>(١)</sup>، وقد اختلف العلماء في توضيحهم لمعنى الباطل في هذه الآية، فقد ذكر الشيخ الطوسي في تفسيره، خمس معاني:

**الأول:** انه لا تعلق به الشبهة، من طريق المشاكلة، ولا الحقيقة من جهة المناقصة، وهو الحق المخلص، والذي لا يليق به الدنس.

**الثاني:** قال قتادة والسدي، معناه لا يقدر الشيطان ان ينقص منه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً.

**الثالث:** ان معناه، لا يأتي بشيء يوجب بطلانه، ممّا وجد قبله، ولا معه، ولا ممّا يوجد بعده، وقال الضحّاك: لا يأتيه كتاب من بين يديه يبطله، ولا من خلفه، اي ولا حديث من بعده يُكذِّبه.

**الرابع:** قال ابن عباس، معناه لا يأتيه الباطل من أول تنزيله ولا من آخره.

**الخامس:** ان معناه، لا يأتيه الباطل في اخباره عمّا تقدّم، ولا من خلفه، ولا عمّا تأخر<sup>(٢)</sup>.

فلا يأتيه الباطل من جهة من الجهات، فلا تناقض في الفاظه، ولا كذب في إخباره، ولا يعارض، ولا يزداد فيه، ولا يغير، بل هو محفوظ، حجة على المكلفين إلى يوم القيامة، ويؤيد قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

(١) (سورة فصلت ٤١ - ٤٢).

(٢) مُحَمَّد بن الحسن بن علي الطوسي، تحقيق احمد حبيب قصير العاملي التبيان في تفسير القرآن، ج ٩،

لِحَافِظُونَ<sup>(١)</sup>، تنزيل من حكيمٍ عَلِيمٍ، اي هو تنزيل من عالم بوجوده الحكمة<sup>(٢)</sup>، فالقران الكريم، هو المعجزة الخالدة للنبي الاكرم (صلى الله عليه واله)، حين تحدّى به الأمم والشعوب، بفصاحته وبلاغته وإعجازه وبيانه، وفي هذه الآية بالذات، إشارة إلى حقيقة هذا التحدي، فكل ما يصدر من الممكن المحتاج، باختلاف قدراته الذهنية، فهو قابل للخطأ والسهو، واعتلاء الشبهة في مضائه، اما القران فهو تنزيل ممّن يتصف بالحكمة، والعلم المطلق، الحاوي لصفات الجلال والكمال، فمحال ان يشوب كلامه، ما يعتري الإنسان المخلوق.

الثالث: ان القران الكريم، هو كتاب هداية وصلاح، وفيه بيان واضح لمنهج الوصول إلى الكمال المنشود، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد استدلل العلامة الطباطبائي بهذه الالية، على تفسير القران بالقران، فقال: (وحاشا ان يكون القران تبياناً لكل شيء، ولا يكون تبياناً لنفسه)<sup>(٤)</sup>، كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(٥)</sup>، فجميع الآيات القرآنية، التي خاطب الباري عز شأنه بها خلقه، تهدف إلى إصلاح دينه ودنياه، باختلاف مستوى الفهم البشري. وعلى هذا الأساس كانت الآيات المباركة، مبيّنة احدها للأخر كما جاء في قوله تعالى:

---

(١) (سورة الحجر ٩).

(٢) امين الدين ابو علي الفضل بن علي الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القران، ج ٥، ص ١٤.

(٣) (سورة النحل ٨٩).

(٤) السيد مُحَمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القران، ج ١، ص ١٤.

(٥) (سورة البقرة ١٨٥).

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾<sup>(١)</sup>، فقد قسّمت هذه الآية، آيات القرآن إلى مجموعتين، مُحْكَمَات ومتشابهات، وكلمة المُحْكَم من الإحكام، أي المنع، ولهذا يقال للمواضيع الثابتة القويّة مُحْكَمَة، لأنها تمنع عن نفسها عوامل الزوال، كما أنّ كلّ قول واضح وصریح، لا يعترضه أيّ خلاف، يقال له (قولٌ مُحْكَم). وعليه، فإن الآيات المحكمة: هي الآيات ذات المفاهيم الواضحة، والتي لا مجال للخلاف والجدل حولها، أمّا الآيات المتشابهة: فهي الآيات ذات المعنى المُعقّد، أو التي تحتمل معاني مُتعدّدة، والتي لا يتّضح معناها المقصود، إلا في ضوء الآيات المُحْكَمَة.

وقد أطلق على الآيات المحكمة (أُمُّ الكتاب)، أي هي الأصل والمرجع للآيات الأخرى، لذلك فلا بد من ارجاع الآيات المتشابهات إلى المحكمات، لكي يتّضح معناها، ويستبان مدلولها، وهي إحدى طرق تفسير القرآن بالقرن.

#### رابعاً: أدوات منهج تفسير القرآن بالقرآن

هناك مجموعة من الأدوات، يحتاج إليها المُفسّر، في شروعه لاتخاذ هذا المنهج، مسلكاً في تفسيره للآيات القرآنية، والتي منها:

حفظه للقرآن الكريم، وتدبّر آياته، أو الإطلاع على كتب المعاجم المُفهرسة لألفاظ القرآن الكريم، أو المعاجم الموضوعية، والتي يكون الجمع فيها بحسب المواضيع، ليقوم بجمع الآيات التي تشترك في موضوع واحد ومقابلتها

(١) (سورة آل عمران ٧).

بعضها والخروج بيان واضح للاية المراد تفسيرها<sup>(١)</sup>.

وان يكون عارفاً بالوجوه والنظائر في القرآن الكريم، فالوجوه: هو استعمال اللفظ الواحد، في وجوه من المعاني، والسياق هو الذي يُبين المعنى على التخصيص، ومن ذلك لفظ الامة، فلها عدة وجوه او معاني، والتي منها (عصبة، ملة، قوم، امام، سنين، امة). والنظائر: استعمال اللفظ الواحد بمعنى واحد، في موضعين او اكثر، فلفظ الامة السابق من وجوهه، او معانيه عصبة، فقد ورد هذا المعنى في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>، فهذه الآيات تُسمّى نظائر؛ لاشتراكها جميعاً في معنى واحد، يجمع ما بينها، لهذا لا بد للمفسّر من معرفة هذا الاختلاف في المعنى، للفظ الواحد، بحسب الغرض من استعماله، حتى لا يخطئ بالتعميم والتنظير<sup>(٥)</sup>.

وأيضاً ان يكون عارفاً بالقراءات المتواترة، التي صحّت عن رسول الله (صلى الله عليه واله)، ففي اختلاف القراءات، قدّ يظهر الاختلاف في الأحكام، او تغاير المعنى الآخر فيتبنّ لها مدلول غير الأول<sup>(٦)</sup>.

(١) احمد البريدي، تفسير القرآن بالقران دراسة تاصيلية، ص ٣٤.

(٢) (سورة البقرة ١٣٤ - ١٤١).

(٣) (سورة آل عمران ١١٣).

(٤) (سورة المائدة ٦٦).

(٥) علي بن سليمان العبيد، تفسير القرآن الكريم اصوله وضوابطه، ص ٤٥.

(٦) مكّي بن ابي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها.

## خامساً: نماذج تفسيرية

ذكر السيد الشهيد (قدس سره)، الكثير من الشواهد القرآنية، في بيانه لبعض مرادات النصوص والخطابات الإلهية، حيث في الجزء الأول فقط، استدل (بما يقارب ٣١٥ آية قرآنية)<sup>(١)</sup>، وهذا يكشف عن أعماده بشكل كبير على هذا المنهج، وقد تنوع هذا الاستدلال، الذي أتخذ أشكالاً متعددة، كبيان بعض المطالب المبهمة والغامضة، أو الاستدلال على قاعدة نحوية، أو أثبات مطلب عقائدي أو فقهي وغير ذلك، ولذا سوف نسلک الطريق المعتمد، كما قرناه في مقدم الكتاب، وذلك بذكر شاهد أو اثنين، وعلى الراغبين بالإستزادة والتوسعة، الرجوع إلى الكتاب محور البحث.

فقد جاء في بيانه لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، بعدما استشكل المشهور<sup>(٣)</sup>، فقال: (إذ إنَّ المقام، قد يكون لاسم المكان، والله سبحانه وتعالى لا مكان له جزمًا، فكيف قال: مقام ربّه؟! فاحتاجوا إلى شيءٍ من التأويل، وقالوا بأنَّ المراد من المقام شيءٌ آخر، ينسجم مع كون الله سبحانه وتعالى لا مكان له)<sup>(٤)</sup>.

فاستدل (قدس سره)، على أستعمالات أخرى للمقام المعنوي، لا المادي

(١) سناء المحمداوي، المنهج التفسيري والبناء الفني في مئة المنان، ص ١٥٤.

(٢) (سورة النازعات ٤٠).

(٣) ابو عبد الله مُحَمَّد بن شمس القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج ٢٠، ص ٢٠٧-٢٠٨. وانظر أيضاً شهاب الدين الآلوسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ٢٣٧.

(٤) السيد الشهيد مُحَمَّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٤٠١.

كما زعم المشهور، فقال: (أقول: إنّ هذا التأويل لا حاجة له في الأساس، إذ لا يتعيّن ابتداءً أنّ المقام هو المكان الحسيّ أو المادّي، ولعلّ استعمالات المقام في القرآن، كلّها في المقام المعنوي لا المادّي، كقوله تعالى ﴿فَأَخْرَجَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾<sup>(١)</sup>، فليس المراد القيام مقامهما بمكانهما المادّي، وإنّما المراد أنّهما يعملان عملهما، ويتكفلان مسؤوليّتهما، وهو المقام المعنوي، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذُكُرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، فليس المراد منه مكانه المادّي أو الحسيّ، كما لا يخفى. والمقام في اصطلاح أهل المعرفة، يمثل بعض درجات الكمال، فكلّ درجة في الكمال هي مقامٌ، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فالملائكة وكذلك البشر المؤمنون، كلّ له مقامٌ معلومٌ، وكذلك المعصومون (عليهم السلام)، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(٤)</sup>، أي: ليس كلّهم في مقامٍ واحدٍ)<sup>(٥)</sup>.  
وأيضاً في بيان قوله تعالى: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾<sup>(٦)</sup>، والمراد بـ(فاعل الراضي) ومن يكون، وذكر في ذلك اطروحات متعدّدة، وقد كانت الأطروحة الثانية: (أن يكون الراضي هو الله سبحانه وتعالى)<sup>(٧)</sup>.

(١) (سورة المائدة ١٠٧).

(٢) (سورة يونس ٧١).

(٣) (سورة الصافات ١٦٤).

(٤) (سورة الإسراء ٥٥).

(٥) السيد الشهيد محمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٤٠١.

(٦) (سورة الفجر ٢٨).

(٧) السيد الشهيد محمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ٣٧٩.

وبيّن بان (رضا الخلق مهما كان عالياً أو متعالياً، هو من رضا الله سبحانه وتعالى، فلا يرضون إلا عمّن رضي الله عنه، ولا يسخطون إلا على من سخط الله عليه، ولا استقلالية لرضاهم عن رضا الله. ويدلّ على ذلك كثيرٌ من آيات الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(١)</sup> أي: رضي الله أولاً، ثمّ يحقّ لهم أن يشفعوا له بالمرتبة الثانية، أو المراد أنّه ارتضى الشفاعة، (بإضافة المفعول، وهو الشفاعة)، بمعنى: إجازة من رضي الله شفاعته بالشفاعة)<sup>(٢)</sup>، فاستدل بهذه الآية، لاثبات بطلان كل الوجوه المُحتملة، في (فاعل الراضي)، فإن شفاعتهم (عليهم السلام)، لا يمكن ان تحصل، حتى بنحو إستقلالي منهم، إلا برضاه ﷺ.

وأيضاً ماجاء في حديثه، عن سبب تسمية ليلة القدر، فقد عرض أطروحات ووجوه متعدّدة، كان منها: (الليلة التي يُقدّر فيها حوادث السنة، في مرتبة المحو والإثبات، ويحصل إنزال هذه الأوامر في النفس الفلكية، التي تطبقها خلال السنة، او ينزل الامام الظاهري (الحي)، لكي يمضيها ويوقع عليها، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ<sup>(٤)</sup> (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ<sup>(٣)</sup> (٤).

(١) (سورة الأنبياء ٢٨).

(٢) السيد الشهيد مُحَمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ٣٧٩.

(٣) (سورة الدخان ٣ - ٥).

(٤) السيد الشهيد مُحَمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٤٠١.

## المبحث الثاني التفسير الموضوعي

### أولاً: التعريف بالمنهج

وردت تعاريف مُتعدّدة للتفسير الموضوعي، حيث عرّفه السيد الشهيد مُحَمَّد باقر الصدر (قدس سره)، بانه: (الدراسة الموضوعية، التي تطرح موضوعاً من موضوعات الحياة، العقائدية او الاجتماعية او الكونية، وتتّجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية، للخروج بنظرية قرآنية بصده)<sup>(١)</sup>، اما الشيخ جعفر سبحاني، فقد عرّفه بانه: (تفسير القرآن حسب الموضوعات الواردة، بمعنى جمع الآيات الواردة في سور مختلفة، حول موضوع واحد، ثمّ تفسيرها جميعاً، والخروج بنتيجة واحدة)<sup>(٢)</sup>، اما الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، عرّفه بانه: (هو الذي يلتزم فيه المُفسّر موضوعاً موضوعاً، لا موضوعاً بعينه، فيجمع الآيات الكريمة من مواضعها، ويقيم منها بناءً متكاملاً، يُقرّر موقف القرآن من قضية ما)<sup>(٣)</sup>.

وكل هذه التعاريف وغيرها، التي عيّنت ببيان التفسير الموضوعي، ترمي

---

(١) السيد مُحَمَّد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ٢٧.

(٢) جعفر سبحاني مفاهيم القرآن الكريم، ج ١، ص ٨.

(٣) صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص ٤٠.

إلى معنى واحد، وهو: ان يقوم المُفسّر بجمع كل ما يتعلق بالموضوع من آيات، ثمّ يستفيد من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، بأن يجعل كل آية قرينة علي فهم الآيات الأخرى، ثمّ الخروج برأي نهائي، حول هذا الموضوع، ببيان قراني.

وقد تُسمّى هذه الطريقة أيضاً، بالتفسير التقطيعي، ويعود سبب هذه التسمية، إلى ان المُفسّر يقتطع مجموعة من آيات القرآن الكريم، ويفصلها عن الآيات الأخرى، ويبحثها بصورة مُستقلة، لتكون قرائن دالة على إثبات موضوع بحثه<sup>(١)</sup>، وقسّم بعض المفكرين<sup>(٢)</sup> التفسير الموضوعي، إلى قسمين:

**القسم الأول:** التفسير الموضوعي الإتحادي، حيث يهتم ببحث ودراسة، أحد المواضيع القرآنية، مثل (المعاد، والإمامة، وغيرهما).

**القسم الثاني:** التفسير الموضوعي الإرتباطي، وهو الذي يهتم ببحث ودراسة الإرتباط بين المواضيع القرآنية، (مثل علاقة الإيمان والعمل).

### ثانياً: نبذة تاريخية عن منهج التفسير الموضوعي

يعتقد اغلب الباحثين، ان التفسير الموضوعي ظاهرة جديدة في عالم التفسير، نضج وتطور في العقود الاخيرة عند المُفسّرين والمحدّثين، إلا انه عند مراجعة الكتب التاريخية، ومصادر التفسير القرآنية، نجد ان له جذوراً وأسساً وضعها الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك في أحاديث أهل البيت

(١) ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، ج ١، ص ١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨.

(عليهم السلام)، والتي تُعبّر عن نوع من أنواع التفسير القرآني، كما مر ذكره سابقاً، ويمكن القول بأنه من الرواد الأوائل في هذا المضمار، العلامة المجلسي، حيث نراه قد تصدّى، لجمع كل الآيات المرتبطة بالموضوع، عند دخوله في كل فصل، من فصول بحار الأنوار، ثم يلقي عليها نظرة شاملة، ويُنسّق أحياناً بين آراء المُفسّرين، ويسعى لتوضيح ما يذكره من آيات.

وتعتبر بعض الكتب، امثال أحكام القرآن (مُحمّد بن السائب الكلبي، ٦٤٦هـ)، وزبدة البيان (المحقّق الأردبيلي)، وكنز العرفان (الفاضل المقداد)، وفقه القرآن (الراوندي ٥٧٣هـ)، والنحاس والجصاص وغير ذلك، من النماذج الرائدة في كتابة التفسير الموضوعي، بل ان الكتب الفقهية للشيعة والسنة، التي بحثت فيها المواضيع القرآنية، مثل (الصلاة، الصوم، الزكاة...)، في ضوء الآيات والروايات، تُعتبر نوعاً من أنواع التفسير الموضوعي، وقد تطورت هذه الطريقة في التفسير، في العقدين الأخيرين، ودونت كتب مُتعدّدة، في مواضع مُختلفة.

### ثالثاً: خصائص ومميزات التفسير الموضوعي

من اهم المسوغات، الداعية إلى التفسير الموضوعي، في هذا العصر، هو الحاجة لمعرفة موقف الإسلام، في كثير من القضايا، سواءً على المستوى العقائدي او الفقهي او الاجتماعي وغيرها، وتحديد الموقف العملي تجاهه، حيث ان المسلمين الذين كانوا يعيشون عصر النص، على اطلاع واسع، وفهم

بيّن، بالنظريات القرآنية، من خلال الموقف التطبيقي، الذي كان يمارسه الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله)، وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ولم يكونوا يشعرون بالحاجة، إلى أهمية البحث الموضوعي حينها، ولهذا برزت الحاجة إليه، بعد الابتعاد عن عصر النص، وعلى هذا الأساس، يمكن القول بأن أهم خصائص هذا التفسير هو:

- ١- جمع ودراسة الآيات المُتعلّقة بموضوع واحد، فمثلاً نقوم باستخراج جميع الآيات المُتعلّقة بالتوحيد، أو المعاد أو غيرها، بالاستفادة من الفهارس الموضوعية، أو المعاجم المُفهرسة، وتفسير بعضها البعض الآخر.
- ٢- ان الهدف النهائي لهذا التفسير، هو الخروج برأي نهائي للقرآن، لفهم الموضوع قيد البحث.
- ٣- جعل الآيات المُحكّمة في القرآن، هي المحور، وإرجاع الآيات المتشابهة إليها.
- ٤- عادة ما يكون التفسير الموضوعي، تفسيراً عملياً، يرتبط بالتجربة الحياتية للبشر، حيث يسعى إلى حل المشكلات والأسئلة المطروحة.
- ٥- من خصائص التفسير الموضوعي، هو الإنسلاخ من قيود الزمان والمكان، حيث يلغي الخصوصيات الزمانية والمكانية للآيات، (كما هو الحال في قصص القرآن)، ويستخرج لبّ المعنى من الآية، ويستخدمها كقاعدة وقانون كلي، للإجابة على الأسئلة والمشاكل، التي تواجه الفرد والمجتمع<sup>(١)</sup>.

---

(١) الدكتور مُحمّد علي رضائي اصفهاني، المناهج والاتجاهات التفسيرية، درس ٣٢، ص ٣.

لذلك يمكننا الحصول على الرأي النهائي للقرآن، حول موضوع معين، بعد الإجابة على الاسئلة المحورية، التي تدور وتثار حوله، كما يمكننا أيضاً رفع الإيهام الابتدائي، في آيات القرآن، وتوضيح الآيات المُتشابهة (والإطلاع على شرائط وأسباب ونتائج الموضوعات، والمسائل المختلفة، المطروحة في القرآن، وكذلك الحصول على الأسرار، والمعاني الجديدة للقرآن، عن طريق ضم الآيات بعضها إلى البعض الآخر، والحصول على تفسير جامع حول الموضوعات المختلفة، مثل التوحيد، وجود الله، المعاد)<sup>(١)</sup>.

وهناك بعض نقاط الضعف، التي أوردتها العلماء، على استعمال هذا المنهج في العملية التفسيرية، حيث ان العملية التقطيعية للنص القرآني، لأجل ممارسة البحث الموضوعي، سيعمل على فصل الآيات عن القرائن الموجودة ضمن السياق واغفالها، لذلك لابدّ من مراعاة ترتيب السورة مع بعضها، لإحراز القرائن العقلية والنقلية، التي قد توجد في سياق الآية، فعلى المُفسّر، إعمال خبرته في جمع الآيات، المُتعلّقة بالموضوع ومناقشتها، وإعلان الرأي عنها، قبل العمل بنظره.

#### رابعاً: أدوات منهج التفسير الموضوعي

هناك مجموعة من الأدوات، يحتاج إليها المُفسّر، في شروعه لأخذ هذا المنهج، مسلكاً في تفسيره للآيات القرآنية، ومنها:

ان يكون مُطلّعاً على التفسير الترتيبي في المرحلة الأولى، لان اقتصاص

(١) ناصر مكارم الشيرازي، بياض قرآن، ج ١، ص ٢٢ - ٢٣.

الآيات، للخروج بنظرية حول الموضوع المنشود، قد يخلّ بالسياق اللفظي لها، وبالتالي يمارس عملية التفسير بالرأي الممنوع، فعليه اجراء مقارنة بين التفسير الترتيبي والموضوعي، حتى يتمكن من اجتياز هذا الخلل.

وايضاً معرفة المفاهيم القرآنية، التي وردت بالفاظ أخرى في القرآن الكريم، وعدم الإعتماد على المعاجم المفهرسة فقط، في بحثه المنشود.

فإن عملية فهم النص وتفسيره، لا يمكن ان تكون بمعزل عن اللغة والظهور، وموقع النص بين سائر النصوص المماثلة، ومعرفة باب المُحكم والمتشابه، وباب الناسخ والمنسوخ، وظروف النص وأسبابه ودواعيه، وفق المنظور الزماني والمكاني، وغيرها.

وأيضاً يحتاج المُفسّر إلى التعرف على نظرية المفاهيم الإسلامية، من خلال التوغّل في بناءاتها التحتية ومرتكزاتها، لتكوين صورة خالية من الضبابية عن الموضوع المبحوث.

ان التفسير الموضوعي، عندما يقوم بعملية توحيد المداليل اللفظية، يحتاج في ذلك، إلى فهم نفس المداليل الأولية، بنحو تجزيئي، ثمّ ينتقل بعدها إلى عملية الربط، وإيجاد العلاقات الصحيحة بين تلك المدالي الجزئية<sup>(١)</sup>.

لهذا يعمد الكثير من الباحثين، إلى توثيق الربط بين التفسير التجزيئي والموضوعي، (وينبغي أن يُعلم، أنّ التفسير الموضوعي، رغم ما أحدثه من طفرة معرفية نوعية في عالم التفسير، إلا أنّه يبقى في أمس الحاجة إلى معطيات

(١) السيد كمال الحيدري، مناهج تفسير القرآن، ص ١٧٧.

التفسير التجزيئي، فإن المداليل اللفظية الجزئية، وإن كانت لا تُحدّد موقفاً قرآنيّاً عامّاً، تجاه موضوع مبحث العملية التفسيرية في التفسير الموضوعي، إلا أنّها تمارس دوراً إيجابياً وفاعلاً، في تحديد وتوجيه الصياغات الأوّلية، للنتاج المعرفي للنصّ القرآني والذي يتوخّاه المُفسّر في تفسيره الموضوعي<sup>(١)</sup>.

### خامساً: نماذج تفسيرية

من البين الواضح، ان الكثير من الآيات القرآنية، رسمت قوانين إرشادية، لمواضيع مختلفة، تتعلّق برابطة الإنسان بخالقه، وعلاقة الإنسان بالإنسان، وكيفية تعامل الإنسان مع الطبيعة، وكل من تلك الروابط الكلّية بمجموعها، تتحلّل إلى مواضيع جزئية مختلفة، وقد وضح الخطاب الإلهي، كيفية التعامل مع تلك المواضيع المتعدّدة، حسب تصنيفها الخاص، لذلك فإن المُفسّر (يجلس سائلاً ومستفهماً، فيبدأ مع النصّ القرآني حواراً، حول هذا الموضوع)<sup>(٢)</sup>.

فمحاولة إستقراء وجوه تلك المواضيع، مُتَعَسِّرٌ جداً، لطحها وبيانها، كشاهد بين على المنهج المُستعمل في تحليله، ونذكر منها:

حينما وضع السيّد الشهيد (قدس الله سره)، الآية المباركة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾<sup>(٣)</sup>، على طاولة البحث الجاد مع المُفسّرين، مُسلّطاً الضوء فيها، على

(١) السيّد كمال الحيدري، منطق فهم القرآن (الأسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء اية الكرسي،

ج ١، ص ٦٩.

(٢) السيّد مُحَمّد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ٢٩.

(٣) (سورة الانشراح ١).

موضوع معين، يتعلّق (بالصدر)، وما يكمن في طياته من مباحث مُختلفة، واستفهامات مُتعدّدة، أستعرضها على شكل اسئلة تُثار، ويجب عليها في بعض الأحيان، ويتقد في أخرى، على شكل أطروحات ووجوه مُختلفة.

حيث بدأ بالنقاش مع المشهور<sup>(١)</sup> القائلين بـ(إنّ ظاهر الصدر، هو الصدر الجسدي أو المادّي، وهذه هي العصا التي يتوكأ عليها، أصحاب الأطروحة الأولى، أعني: أنّ ظاهر الصدر هو المادّي، ما يلزم معه، أن يكون شرح الصدر بمعنى: قطع الصدر المادّي للنبي، مع أنّ السياق أيضاً، ظاهرٌ في توجّه الخطاب للنبي، كما أنّ القلب ظاهرٌ في القلب المادّي، وهو العضو الصنوبري، الموجود على يسار القفص الصدري.

أقول: إنّ سائر استعمالات الصدر والقلب في القرآن الكريم، لا يُراد منها الصدر والقلب المادّي، الذي هو ظاهر اللغة، بل المراد منها الصدر والقلب المعنوي، وإليك نُزراً منها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذُوْهُ يَعْلَمُهُ اللهُ﴾<sup>(٣)</sup>. قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾<sup>(٤)</sup>. قال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر لذلك، ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣. شمس الدين القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج ٢١، ص ١٠٤.

(٢) (سورة غافر ٥٦).

(٣) (سورة آل عمران ٢٩).

(٤) (سورة الأعراف ٤٣).

(٥) (سورة الشعراء ١٣).

قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

وهنا أستدل السيد الشهيد (قدس سره) بالأيات المباركة، على ان الصدر في جميع هذه الآيات، لا يُراد منه الصدر المادّي، بل المراد الصدر المعنوي. فقال: (ولتوضيح ذلك، من غير أن ندخل في جهات الأسرار الإلهيّة، نقول: إنّنا نجد فعلاً أنّ العواطف موجودة في صدورنا، وكذلك التفكير نجده فعلاً، ونحسّ به إحساساً داخليّاً، بأنّه في دماغنا. والإنسان يحكّ رأسه عند التفكير، كما أنّ العواطف محلّها الصدور أو القلوب؛ لأنّنا نجد الحبّ والبغض والغضب والرضا والكره في الصدر، لا في الظهر ولا في الرجل ولا في الرأس، بل في الصدر خاصّة، وهكذا شاء الله بحسب الخلقة، وهي خلقة بشريّة، يتساوى فيها جميع الناس.

وعليه فالصدر هو محلّ العواطف أو إنائها، والرأس إناء العقل والتفكير، وكأنّ الله تعالى ربط القوّة الدراكة بالمخ، وربط القوّة العاطفيّة النفسيّة بالقلب، وهكذا هي الحكمة في خلقه جلّ جلاله، فالرأس المادّي هو هذا العضو المعروف، والرأس المعنوي هو القوّة الدراكة، وهو ما يرتبط بالرأس من القوّة، وهو حصّة من الروح، وكذلك الصدر. فهناك صدرٌ مادّي وآخر معنوي، يمثل

(١) (سورة الزمر ٢٢).

(٢) (سورة النحل ١٠٦).

(٣) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٥.

ما يرتبط بحصّة خاصّة من الروح؛ لأنّ ما يحصل فيه من كرهٍ وحبٍّ وبغضٍ، إنّما هو في النفس حقيقةً، وهذا الصدر المادّي، لو فتحناه لا نجد فيه شيئاً من هذه الأمور، كما لا يخفى<sup>(١)</sup>.

فالصدر مُتّجِعاً للفضائل والرذائل، ويكمل السيد الشهيد (قدس سره)، حيثيات هذا الموضوع وأبعاده، ليؤسس أطروحات مُتعدّدة، تُغطي مساحة الاستفهام، للتفريق بين الصدر والعقل، وهل هما مختلفان، أو أحدهما عين الآخر، وهل القلب المذكور في الآيات، هو نفس مفهوم الصدر في المنظور القراني، وأيهما أوسع حاكمية، القلب أو العقل أو الصدر، وهل هما متضادان أو متشابهان أو متطابقان، وغير ذلك من البحوث المُتعدّدة.

المحاولة الثانية: التي نعرض لها، هي اختلاف المُفسّرين في بيان قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>، وما المقصود بـ(النبا العظيم) في الآية المباركة، فقال في ذلك الشأن (قدس سره): (وأما النبا، فهو إثباتٌ يراد به الثبوت، فالنبا هو الخبر والبيان، فيكون المراد به الخبر العظيم، إلّا أنّ ذلك ليس مقصوداً قطعاً، بل يُراد به الثبوت، أي المُخبر عنه أو المنبأ به، لا الخبر بما هو خبرٌ، وإن اكتسب الخبر أهمّيّته وعظمته من المُخبر عنه. والغرض: أنّه لا يُراد بالنبا جانب الإثبات الذي هو البيان، وإنّما يُراد به جانب الثبوت، أي: الشيء الذي يتحدّث عنه هذا البيان، وإنّما عبّر بالنبا، لأنّ المقدار الواصل إلى

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٥.

(٢) (سورة النبا ١ - ٢).

المتسائلين، هو النبأ، أو أنّه وصل إليهم بهذا المقدار، ولم يعرفوا كنهه، ولو عرفوا كنهه، لما تساءلوا عنه ولما اختلفوا فيه. وعليه فالمراد هو المنبأ عنه، أو واقع الأمر الذي يتحدّث عنه النبأ، وهذا هو الذي يحتاج إلى بيان، وإلا فالمراد بالنبأ لفظاً واضحاً، لا غموض في معناه، ويبدو أنّ اختلاف المُفسّرين في ذلك مشهورٌ، وقد يصل إلى ثمان أطروحات أو عشر<sup>(١)</sup>.

ويبدأ (قدس سره) باستعراض تلك الأطروحات، التي تحتوي كل منها على مجموعة مُحتملات، في كل مُحتمل منها وجوه، فيها جمع من الأدلة القرآنية والروائية، والقرائن المُتعدّدة لاثباتها، ثم يناقشها بشكل مُفصّل، لينتقل إلى الأطروحة الأخرى، كل منها، يستدعي موضوعاً للبحث والمدارسة.

---

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج٥، ص ٤٤١.

## المبحث الثالث

### الإستدلال بروايات أهل البيت (عليهم السلام)

#### أولاً: التعريف بالمنهج

المقصود من هذا التفسير، هو: ان يعتمد المُفسّر إلى الإستفادة من سُنة النبي (صلى الله عليه واله)، وأهل بيته (عليهم السلام)، والتي تشمل قولهم وفعلهم وتقريراتهم، الرامية إلى توضيح معاني القرآن، وشرح مفرداته، وقد أطلق العلماء على هذا المنهج بـ(التفسير بالمأثور)، ليشمل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسُّنة، ووقع خلاف بين المُفسّرين، في تشخيص مصدريّة الحديث، سعة وضيقاً. فمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، اقتصرّت في التفسير، على الروايات الواردة عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله)، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، في حين انطلقت مدرسة الصحابة من السعة والشمول، لتضم جميع الصحابة والتابعين، قاصدة بذلك إخراج أهل البيت (عليهم السلام) من هذه الدائرة، فكل صحابي مُعاصر - بغض النظر عن التعديل والتجريح - يقع تحت نطاق هذا المنهج، وهو المعنى المراد من مفهوم التفسير الروائي<sup>(١)</sup>. ولذلك فقولنا التفسير بالمأثور، يكون المراد به: هو تفسير القرآن

---

(١) مُحمّد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٢١.

بالأحاديث النبوية، وروايات المعصومين (عليهم السلام).

وقد وقع الكلام في كون التفسير الروائي تفسيراً أصطلاحياً؟. او هو من شعبة من شعب الحديث؟.

فكما ان هناك روايات فقهية وعقائدية، وأخرى أخلاقية، كذلك توجد روايات تفسيرية، شارحة وموضحة لبعض آيات القرآن الكريم، وسيأتي ان الاستفادة من التفسير بالمأثور، يتوقف حينها على تحقيق إسناد الروايات، وتوافر شروط حُجّيتها، لكثرة ورود الإسرائيليات والأخبار المدسوسة، كما نقل ذلك عن ابن خلدون: (إنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنّما غلبت عليهم البداوة والأُمّية، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء، ممّا تتوق إليه النفوس البشرية، في أسباب المكوّنات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدون منهم، وهؤلاء مثل: كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتثلت التفاسير من المنقولات عنهم، وتلقّيت بالقبول، وتسأهل المفسرون في مثل ذلك، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كلّها - كما قلنا - من التوراة أو ممّا كانوا يفترون)<sup>(١)</sup>.

اقول: ومع ذلك، يُجانبون هذه الروايات المسمومة والمدسوسة، ويعرضون عن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وما ذلك، إلا لحقدهم وابتعادهم عن الدين الحق، ومحاولة لاخفاء فضل ال مُحمّد (عليهم السلام)، الذين رفعهم الله في الدنيا والآخرة.

(١) عبد الرحمن بن مُحمّد ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ص ٤٣٩.

على كل حال، فقد صُنِّفت الكثير من الكتب، التي أُتخذت من التفسير بالمأثور، منهجاً عاماً، في بيانها للنص المقدّس، ونذكر منها:

١- تفسير مُحمَّد بن مسعود العياشي، المعاصر للكليني، الذي توفي عام (٣٢٩هـ)، وقد طُبِع في جزأين، غير أنّ ناسخ الكتاب في القرون السابقة، جنى على الكتاب، جناية علمية لا تغتفر، حيث أسقط الأسانيد، وأتى بالمتون، وبذلك سدّ على المحقّقين باب التحقيق.

٢- تفسير علي بن إبراهيم القمي، الذي كان حيّاً عام (٣٠٧هـ)، وتفسيره هذا مطبوع قديماً وحديثاً، غير أنّ التفسير ليس لعلي بن إبراهيم القمي وحده، وإنّما هو تفسير ممزوج من تفسيرين، فهو مُلَفَّق ممّا أملاه علي بن إبراهيم، على تلميذه أبي الفضل العباس، وما رواه تلميذه بسنده الخاص، عن أبي الجارود عن الإمام الباقر (عليه السلام).

٣- وكذلك تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني، ونور الثقلين للشيخ عبد علي الحويزي، وغيرها كثير.

## ثانياً: نبذة تاريخية عن منهج التفسير الروائي

نشأ التفسير الروائي، مُقارناً لعصر الرسالة الإسلامية، ومزامناً لنزول الوحي الإلهي على الرسول الأعظم مُحمَّد (صلى الله عليه واله)، وهو أوّل مفسر، ومبيّن للقرآن الكريم، حينما جاء الأمر الإلهي بهذا الخصوص، كما في

قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد كان الصحابة يرجعون إلى النبي (صلى الله عليه واله)، في تفسير القرآن، ويأخذون منه معانيه، وقد روي عن ابن مسعود، انه قال: (كان الرجل منّا اذ تعلّم عشر آيات، لم يجاوزهن، حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن)<sup>(٢)</sup>، وكذلك كانت سيرته العمليّة (صلوات الله عليه واله)، تفسيراً للقران وبيان لمعانيه، كما روي عنه بشأن الصلاة (صلوا كما رأيتموني أصلي)<sup>(٣)</sup>، وقال: (خذوا عني مناسككم)<sup>(٤)</sup>، فكانت كل أفعاله (صلوات الله عليه واله)، تطبيقاً لجزئيات (الحج والصلاة والصوم والزكاة والخمس و...)، التي أنزلت إلينا في القرآن بكليّاتها، وقد قام (صلى الله عليه واله) بتوضيح عموماتها، وبيّن مطلقها ومقيدها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وغير ذلك، (فجميع هذه الأمور، كانت تفسيراً للقران، وصلتنا بواسطة الروايات، التي لا تزال موجودة، كمصادر للتفسير الروائي)<sup>(٥)</sup>.

واستمرت طريقة التفسير الروائي للقران الكريم، لتصل النوبة إلى عصر

---

(١) (سورة النحل ٤٤).

(٢) الاسكافي، المعيار والموازنة، ص ٣٠٦. مُحمّد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ١٧٥.

(٣) مُحمّد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٨٥، ص ٢٧٩.

(٤) المصدر السابق، ج ١٠٧، ص ١٠٨.

(٥) للإطلاع على أحاديث النبي (صلى الله عليه واله) يُراجع: مُحمّد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ١٨١ - ١٩٩.

المعصومين (عليهم السلام)، وكان امير المؤمنين (عليه السلام)، تلميذ رسول الله (صلى الله عليه واله)، يُبَيِّن للناس آيات القرآن الكريم، ويوضح ما اشتبه عليهم، في الكثير من الأمور والمسائل، وقد أتبع أهل بيته (عليهم السلام)، هذا المنهج، فكانوا ينقلون للناس الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه واله)، والامام علي (عليه السلام)، ويستدلّون بها، حتى ورد عن أحد الباحثين<sup>(١)</sup>، ان عدد الروايات المروية عنهم، تصل إلى بضعة الأف حديث.

وكذلك أهل بيته (عليهم السلام)، وهم عدل القرآن الكريم، كما جاء في حديث الثقلين، المتواتر عن النبي (صلى الله عليه واله)، أنّه قال في آخر خطبة خطبها: (إني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فاما الأكبر، فكتاب ربي، واما الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيهما، فلن تضلوا ما ان تمسكنم بهما).

والحديث دال على حجية قول أهل البيت (عليهم السلام)، ووجوب اتباع ما ورد عنهم في تفسيره، وإلا لزم التفرقة بينهم وبين القرآن، فعندهم تأويله وتفسيره.

فعن جابر قال: سمعت ابا جعفر الباقر (عليه السلام) يقول: (ما ادّعى أحد من الناس، انه جمع القرآن كله كما أنزل، إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزل).

---

(١) نقل اية الله معرفة، في التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٨١، عن نجل السيد هاشم البحراني، انه قام بجمع ما أسند إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، من التفسير المروي عن أهل البيت (عليهم السلام)، فبلغ لحد الآن أربعة الأف حديث.

الله تعالى، إلا علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، والائمة من بعده (عليهم السلام)<sup>(١)</sup>، وغير ذلك من الأحاديث الواردة، والتي تحتاج إلى بحث مُستقل بنفسه.

اذن فإن التفسير الروائي من التفاسير القديمة (عليهم السلام)، (بل يكاد أن يكون التفسير الروائي، هو التفسير الحاكم، والمُهيمن على الساحة التفسيرية، طيلة القرون الثلاثة الأولى، من الهجرة الشريفة، ولعلّ من أسباب هيمنة هذا المنهج التفسيري، الذي اقترن عادةً بالأسلوب التجزيئي، هو هيمنة النزعة الروائية والحديثية آنذاك)<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: آراء العلماء حول منهج التفسير الروائي

كان من المفترض ان تُبيّن، حينما تعرضنا لمنهج تفسير القرآن بالقران، إلا ان المساحة المُخصّصة، حالت دون ذلك، وبما ان المنهجين - اعني الموضوعي، والتفسير بروايات المعصومين - يعتبران امتداداً لمنهج تفسير القرآن بالقران، فاننا سنبين - وبشكل إجمالي - الآراء التي طرحها العلماء، في توثيقهم لهذا المنهج المُتبع، حيث انقسموا إلى ثلاث طوائف:

**الطائفة الأولى:** استقلال القرآن، وعدم احتياجه إلى الأحاديث في التفسير، حيث يقولون بمحورية القرآن، وعدم إمكانية الرجوع إلى مصدر آخر غير

(١) مُحمّد بن يعقوب الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٢٢٨، كتاب الحجة.

(٢) السيد مُحمّد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ٤٢.

القران، فالقران يُفسَّر نفسه بنفسه، وهم الذين يُصطلح عليهم باصحاب (حسبنا كتاب الله)، ويستدلون بان القران نزل بلسان عربي مفهوم ومبين، ولا نحتاج للحديث، ليكون له مُبينًا وشارحًا وموضحًا.

وجوابه بعدة وجوه، منها:

**الوجه الأول:** هناك الكثير من الآيات القرآنية، التي يَبِّت إحتياج الناس إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله)، ليوضح للناس ما خفي عنهم، من أسرار القران الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك، إضافة إلى حديث الثقلين، الدال على وجوب الأخذ بروايات المعصومين (عليهم السلام)، في التفسير.

**الوجه الثاني:** ان القران الكريم، قد كَلَّف المسلمين بالعبادات والمعاملات، بمفاهيم كَلِّية (كالصلاة والحج والزكاة والبيع..)، كان ولا بد من الرجوع إلى السيرة النبوية، التي تكفَّلَت ببيان التفاصيل الجزئية.

**الوجه الثالث:** ان العمل بظواهر القران، في الأمور التشريعية والتكليفية، دون الرجوع إلى الروايات والأحاديث، يعتبر نوعاً من التفسير بالرأي، المنهي عنه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) (سورة النحل ٤٤).

(٢) (سورة النحل ٦٤).

(٣) السيد ابو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القران، ص ٢٦٩.

**الطائفة الثانية:** عدم جواز تفسير القرآن إلا بالروايات، وهي نظرية محورية السنة، حيث لا يمكن تفسير القرآن الكريم، إلا بروايات المعصومين فقط، وذهب إلى هذا الرأي الإخباريين، مستندين إلى مجموعة من الأدلة، منها انه لا يمكن لبشر ان يفهم القرآن، إلا من خطب به، كما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام)، انه قال لِقُتَادَة: (يَأْتِيَادَة ان كنت إنّما فسرّت القرآن من تلقاء نفسك، فقد هلكت، وأهلك، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلك وأهلك. ويحك يا قُتَادَة إنّما يعرف القرآن من خطب به)<sup>(١)</sup>. ومنها ان الظواهر القرآنية ليست بحُجّة، ومن أعتمد عليها، فقد أعتمد على دلائل عقلية واجتهادية، وهو من التفسير بالرأي، فلا بدّ من الرجوع إلى الأحاديث الشريفة، حيث يوجد للقرآن بواطن ومعاني عميقة، كما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام)، حينما قال لجابر: (ان للقرآن بطنًا، وللبطن بطن، ثمّ قال: يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه)<sup>(٢)</sup>.

وجوابه: ان الروايات التي تحدثت عن عدم فهم القرآن، إلا من خطب به، فالمراد منها الفهم الكامل للنص القرآني، ظاهره وباطنه، وهو بطبيعة الحال مُختصّ بأهل البيت (عليهم السلام)، دون سواهم، اما المراتب الدنيا، فهي لا تختصّ بالمعصوم، بل يمكن للفرد أستيعابها، واما ما يخصّ الظواهر القرآنية وحُجيتها، فقد قام علم الأصول، على البحث حول حجية ظواهر القرآن، ونقد

(١) مُحمّد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٣، وأيضاً ص ٢٠١.

(٢) مُحمّد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٨٩، ص ٩١، وأيضاً ص ٩٥.

أدلة الإخباريين<sup>(١)</sup>، واتضح عدم المانع من العمل بها، ولا يعد كونه من التفسير بالرأي كما يقولون.

**الطائفة الثالثة:** تفسير القرآن بالأحاديث، أي محورية القرآن والسنة معاً فإن أحاديث النبي (صلى الله عليه واله)، وأهل بيته (عليهم السلام)، تُعتبر قرائن لتفسير القرآن، وتوضيح مقاصده، وبيان معانيه، وقد تأتي هذه الروايات أيضاً، لبيان سبب النزول، وتوضيح مصداق الآيات، وبيان تأويلها، والتعرف على وباطنها، وشرحاً لجزئياتها كما مر بيانه.

#### رابعاً: خصائص منهج التفسير الروائي

يلاحظ أن منهج التفسير الروائي، قد شاع استعماله عند مفسري الفرق الإسلامية، ويندر أن نجد مُفسراً، يخلو بيانه من الاستفادة منه، إلا أن استعماله بين تلك الطوائف الإسلامية، كان مُتفاوتاً، حتى داخل الطيف الواحد، حيث أن الاختلافات الأساسية، هو بين التفسير الروائي الشيعي، والتفسير الروائي السني، بالإضافة إلى الاعتماد على الروايات التفسيرية، المنقولة عن رسول الله (صلى الله عليه واله) عند الشيعة والسنة.

فإن الشيعة الإمامية، يعتمدون على الروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام)، بينما يعتمد أهل السنة والجماعة في الغالب، على آراء الصحابة والتابعين ومن تبعهم، ويندر استنادهم إلى روايات أهل بيت النبي

---

(١) مُحَمَّد كاظم الخراساني (الآخوند الخراساني)، كفاية الاصول، مبحث حجية الظواهر.

(عليهم السلام)، وقد ثبت في المصنّفات الكلاميّة والعقدية، وفي المذاهب التفسيرية، (أنّ أهل البيت (عليهم السلام)، هم المُفسّرون، العارفون بمعاني كتاب الله الظاهرية والباطنية، والمعصومون من الخطأ، وقد ورثوا عن رسول الله (صلى الله عليه واله)، تفسير ما يحتاج إلى توضيح، وتفسير من معاني القرآن<sup>(١)</sup>). على كل حال، فإن هناك العديد من الخصائص، التي أمتاز بها هذا المنهج، نذكر:

منها شرح بعض الآيات القرآنية المُجملة، وكشف الغطاء عن مرادها الجدي من خلال المعصوم، وان مرادها ينحصر في هذا المفهوم، التي يبيّنه الرواية، من غير الحاجة إلى استعمال التفسير بالرأي، للوصول إلى مراد الآية المباركة.

ومنها توضيح شأن النزول وأسبابه، حيث تعرضت الكثير من الأحاديث، إلى بيان مكان نزول الآية، ونوع الحادثة التي وقعت، والتي أدت إلى سبب نزولها، وهو أمر مهم، له تأثير على معرفة مناخ الآية، وتوضيح مفادها، وبالتالي الحصول على بيان مُنحصر بتلك الواقعة.

وأيضاً ساهم هذا المنهج، في بيان جزئيات الأحكام الفقهية، التي وصلت إلينا عن طريق الأحاديث، فالكثير من الآيات المباركة، تُحاكي العقل البشري بنحو العموميات، فتأتي الروايات والأحاديث، شارحة ومُفصّلة لِمَا أُبهم، فتقيّد الآية المطلقة، وتُخصّص عمومها، بالرواية.

(١) علي أكبر بابائي، المذاهب التفسيرية، ص ٦٤ - ٧٨.

وأيضاً ساهم هذا المنهج، في بيان ومعرفة بواطن الآيات وأسرارها، من خلال تأويل معناها، بما يتلائم مع العقل البشري، فيتحصل فهم أعمق لِمُرادها<sup>(١)</sup>. ومنها بيان الآيات المنسوخة، التي أنتهى حكمها، وحلّ حكم الآية المنسوخة محلّها، من خلال الأحاديث التي صرّحت بذلك.

وغير ذلك ممّا امتاز به هذا المنهج، إلا انه يمكن القول، بان هناك بعض المضاعفات، التي يتعرّض لها، من قبيل دسّ الإسرائيليات، والأخبار غير الصحيحة، بحيث لا تخلو من ملاحظات وتأمّلات، كتلك الروايات التي تتحدّث عن هبوط هاروت وماروت إلى الأرض، وابتلائهما بشرب الخمر، والشرك والقتل والزنا، وتعذيبهما في الهواء، ومسح المرأة التي أبتلي بها هاروت وماروت، إلى نجمة الزهرة، والرواية المتضمّنة لحلّ سراويل النبي يوسف (عليه السلام)، الواردة في تفسير العياشي<sup>(٢)</sup>.

وخبر أنّ النبي (صلى الله عليه واله): قد سُجِرَ، والحديث الذي يحكي عن أنّ الأرض على حوت، والحوث على ظهر ثور، والثور على صخرة، والروايات المُشعّرة بحذف كلمة من بعض الآيات، وغيرها كثير من الغث والسمين، فتلك نماذج من الروايات، التي وجدت طريقها إلى تفسير فرات الكوفي<sup>(٣)</sup>، والروايات التي لا تتناسب مع عصمة الأنبياء والأوصياء ومقامهم،

(١) مُحمّد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٢٤.

(٢) مُحمّد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ٥٣ - ٥٥.

(٣) ابي القاسم بن فرات الكوفي، تفسير الكوفي، ص ٦١٩ - ٦٢١.

والروايات الدالّة على القراءات الشاذة، ونسخ التلاوة، نوع من التحريف (فقدان آية أو تغيير حرف أو كلمة)، الوارد في تفسير البرهان<sup>(١)</sup>، ونور الثقلين<sup>(٢)</sup>، وغيرها من الكتب الأخرى، المُختصّة في التفسير بالمأثور، اُضف لذلك قيام بعض المفسرين، بتقطيع المتن، وحذف السند، ممّا أدى إلى ضعف اعتبارها. مع ذلك فقد كانت الروايات التفسيرية، المنقولة عن المعصومين (عليهم السلام)، أحد المصادر المُعتبرة للتفسير، وأكثر الطرق وثاقّةً في الوصول إلى جزءٍ كبير من معاني القرآن، بالأخص ان أُخذت الرواية، بمعزل عن الآية القرآنية، وخضعت للمُختبر البحثي، كما فعل السيّد الشهيد الصدر، (وسنورد نماذجاً تفسيرية لهذا المنهج)، وكذلك السيّد الطباطبائي في الميزان<sup>(٣)</sup>، وغيرهم، فلا شكّ أنّ التفسير الروائي، من أفضل المناهج التفسيرية، ويُمكن القول إنّهُ من المناهج الضرورية في التفسير، لأنّ فهم بعض معاني القرآن، لا يتحقّق بغير هذا الطريق.

### خامساً: أدوات منهج التفسير الروائي

يحتاج المُفسّر إلى مجموعة من الأدوات، ليتحصّل له المِكنة، من تطبيق أفضل للروايات على مصداق الآية القرآنية، والخروج ببيان روائي، لمفهوم الآيات، ومن هذه الأدوات:

(١) السيّد هاشم البحراني، تفسير البرهان، ج ٢، ص ٣٧٦.

(٢) عبد علي بن جمعة الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٤١٩ - ٤٢١.

(٣) السيّد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٥٠ و ٢٧٧ و ٢٧٨.

السعي الحثيث لدراسة سند الروايات، والتحقق من مفادها، وملاحظة موافقتها ومخالفتها لنصوص وظواهر القرآن الكريم، والسنة القطعية، والروايات المعتبرة، وضروريات الدين والمذهب، والقواعد العقلية، وبيان ميزان إعتبارها، بملاحظة ذلك كله، وحذف الروايات الموضوعة والإسرائيليات، وتصنيف الروايات، من حيث مرتبة إعتبارها، وترتيب الأثر على كل رواية وفقاً لذلك.

ومنها تمييز روايات الفضائل، وخواصّ السور والآيات، وروايات القراءات، عن الروايات التفسيرية، والمتعلقة بمعنى الآيات ومضمونها، وتبيين دلالة كل رواية، من حيث بيان الظاهر والباطن، والمفهوم والمصداق للآيات، وكذلك تخصيص المعنى وتقييده، وتوسيعه وتعميمه.

ومنها الإحاطة بمضمون الأخبار، من خلال الإطلاع العميق على علوم الرجال، لأجل دراسة حُجِّيَّتها، وسندها ودلالاتها، وتقسيم الروايات وتصنيفها، على إعتبار التواتر المعنوي أو اللفظي، ومقدار تحصّل الفوائد في عرضها على الآيات، وكذلك إيجاد مصداق انطباق الرواية، المحفوفة بالقرائن من أخبار الآحاد، وغير المُعتبر منها، وأيهما له ملاك الحُجِّيَّة في التفسير، عند دراسة تقسيمها إلى صحيحة وحسنة وموثقة، وغير ذلك ممّا له مدخلة في حُجِّيَّتها.

وكذا الإطلاع على الكتب الروائية المعروفة، وعدم تحصيل الإطمئنان من عدمه بالكلية، فلا نجري حكماً تضعيفاً على كل كتاب البحار مثلاً، أو الأخذ بكل ما يورد في الوسائل، وغير ذلك من الكتب الأخرى، فيمارس المُفسّر

عملية الترشيح لكل رواية بمضمونها الأنطباقي على الآية، بشرط الاتفاق معها دون المخالفة.

### سادساً: نماذج تفسيرية

أستعمل السيد الشهيد (قدس سره) آليات مُتعدّدة، حينما تعاطى مع النصوص القرآنية وفق هذا المنهج، مُجليّاً عن غوامضها، بما جاد به أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، في كشف مُراداتها حسب المُقتضى.

فمن الأحاديث المباركة للرسول الاعظم (صلى الله عليه واله)، إلى روايات أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، ليتنقل إلى نمط آخر، تمثّل في الأدعية الواردة عنهم (عليهم السلام)، ثمّ الإستدلال ببعض الأحاديث القدسيّة، وأيضاً ما ورد بطريق مُعتبر عن بعض الصحابة، كابن عباس وابن مسعود وغيرهم.

ومنها: في بيان معنى (العرش)، في قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾<sup>(١)</sup>، وبعد مناقشات واسعة، ووجوه مُحتملة، ذكر اطروحة بـ(إنَّ العرش تعبيرٌ عن علم الله سبحانه، حسبما ورد في حديث سؤال الجاثليق عليّاً (عليه السلام): قائلاً: أخبرني عن الله عزّ وجلّ: يحمل العرش أو العرش يحمله؟. فقال (عليه السلام): الله عزّ وجلّ حامل العرش والسموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، وذلك قوله الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا

وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا<sup>(١)</sup>، قال: فأخبرني عن قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فكيف قال ذلك، وقلت: إِنَّهُ يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام)، إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَنْوَارٍ أَرْبَعَةٍ... وهو العلم الذي حَمَلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ، وذلك نُورٌ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ، فَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ، أَبْصَرَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ عَادَاهُ الْجَاهِلُونَ، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ ابْتَغَى مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنْ جَمِيعِ خَلَائِقِهِ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، بِالْأَعْمَالِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَدْيَانِ الْمَتَشَتَّةِ، فَكُلٌّ مَحْمُولٌ يَحْمِلُهُ اللَّهُ بِنُورِهِ، وَعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا. فَكُلُّ شَيْءٍ مَحْمُولٌ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُمَسْكُ لِهَمَا أَنْ تَزُولَا<sup>(٣)</sup>(٤).

وناقش السيد هذه الأطروحة، بمناقشات ذُكرت في ثلاثة إتجاهات، قابل كل منها بإشكالات مُحتملة، وردَّ عليها.

ومنها: في بيان معنى (حافظ) في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾<sup>(٥)</sup>، حيث ذكر مجموعة من الإحتمالات، في بيان (فاعل) حافظ، كان

(١) (سورة فاطر ٤١).

(٢) (سورة الحاقة ١٧).

(٣) مُحَمَّد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٢٩ - ١٣٠. الشيخ المجلسي، بحار الانوار، ج ٣٠، ص ٦٩.

(٤) السيد مُحَمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٤٤١.

(٥) (سورة الطارق ٤).

الثالث منها، ان المراد من الحافظ هم الملائكة، والملائكة ينقسمون في باب الحفظ إلى ثلاثة أقسام كان (القسم الثالث: الملائكة الحافظون من الشرور، كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(١)</sup>، أي: ندفع عنكم الشرور المحتملة.

وورد عن أمير المؤمنين (سلام الله عليه) أنّه قال: (إنّه ليس من عبدٍ، إلا وله من الله حافظٌ وواقيةٌ، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل، أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كلّ شيءٍ)<sup>(٢)</sup>، يعني: إذا تخلّيا عنه، يصير هدفاً لأوّل ضربةٍ، ولن يتخلّيا عنه، إلا بأمر من الله تعالى)<sup>(٣)</sup>.

وفي نفس المورد ذكر (قدس سره) احتمالاً رابعاً، لفاعل (حافظ)، مستدلاًّ عليه، برسالة بعثها الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، إلى الشيخ المفيد، حيث ورد في (الإحتمال الرابع: المعصومون الأربعة عشر (سلام الله عليهم) فقط، لا الأنبياء السابقون، ولا المعصومون بالعصمة الثانوية، بل المراد المعصومون الأربعة عشر، الذين هم خير الخلق على الإطلاق، فهم حافظون بكلا المعنيين: حافظون للخلق وللشريّة. وإلى هذا المعنى أفاد مولانا الحجة (عجل الله فرجه الشريف)، في رسالته إلى الشيخ المفيد: (إنّا غير مهملين

(١) (سورة فصلت ٣١).

(٢) مُحمّد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٥٨. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٠٣، الباب السابع، الحديث، ٢٠٢٨٢.

(٣) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ١٤٠.

لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك، لنزل بكم اللاؤاء<sup>(١)</sup>، واصطلمكم<sup>(٢)</sup> الأعداء<sup>(٣)</sup>، والغرض الإشارة إليه، مع أنه لا يختص بالإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه)، بل يشمل كافة المعصومين (عليه السلام)، ولا سيما النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه واله)، والوصي الخاتم علي (عليه السلام)، كما أنهم حافظون من الحفظ والمراقبة، فإمامنا الحجة (عجل الله تعالى فرجه) - الذي هو إمامنا - يتحمل هذه المسؤولية، إذ ورد في الروايات، أن أعمال العباد، تُعرض عليه، قبل صدورها من العباد في ليلة القدر<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>.

وأيضاً: يباشر السيد الشهيد (قدس سره) استدلالاً، بآية، ورواية، ودعاء، في إثبات اطروحة (شرح الصدر)، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾<sup>(٦)</sup>، حيث ان شرح الصدر هو (توسيع القابلية، لتلقي العلوم الدقيقة والمعمّقة والباطنية، إذ لا شك أن العلم يحتاج إلى تحمّل، والعقل في الحقيقة إناء للعلم، ولا بد للعلم أن يكون نازلاً في إناء قابل له، ولا بد أيضاً أن يكون الإناء واسعاً، بحيث يسع العلم، وإلا فلو كان ضيقاً أو صغيراً أو غير مستعد لكل صورة، كان

(١) اللاؤاء: الشدة وضيق المعيشة.

(٢) اصطلمه: استأصله.

(٣) الشيخ المجلسي، بحار الانوار، ج ٥٣، ص ١٧٤، الباب ٣١، الحديث ٧. الطبرسي، كتاب الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٩٥.

(٤) انظر الأحاديث الواردة في بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٣٣٣ - ٣٥٤. كتاب الامامة، الباب ٢٠، عرض الاعمال عليهم (عليهم السلام) وانهم الشهداء على الخلق.

(٥) السيد محمد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ١٤١.

(٦) (سورة الشرح ١).

نزول العلم فيه باطلاً ولغواً، بل يكون ضاراً غير نافع، نظير التلميذ الذي يدرس في المرحلة الابتدائية، فإنّه لا يفهم العلوم التي تُدرّس في الكليات، أو الدراسات العليا مثلاً، ونحوه الكلام في العلوم الدنيّة، والعلوم الباطنيّة، فهي ذات مراتب، ولا يمكن أن يصل الفرد إليها، إلا بالاستحقاق، أي: بقوة تحمّلها، وبظرفٍ قابلٍ لتحمّلها<sup>(١)</sup>.

اما الدليل القرآني: ففي قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

واما الدليل الروائي: فـ (كما تدلُّ عليه رواية المعراج عندما بلغ النبي (صلى الله عليه واله) إلى سدرة المنتهى، فأنتهى إلى الحُجب، فقال جبرائيل (عليه السلام): تقدّم يا رسول الله، ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنملةً لاحترق)<sup>(٤)</sup>.

طبعاً وهذا الرأي كان للسيّد الطباطبائي (قدس سره)، قد ناقشه السيّد الشهيد (قدس سره)، لأن (المعنى الأول، غير المعنى الثاني تماماً، فإن تحمّل البلاء هو الصبر، أو يكون بالصبر، وتحمّل العلوم الباطنيّة يكون بالقوّة، كما يُعبّر القرآن عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾<sup>(٥)</sup>، فأحد

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ٨.

(٢) (سورة مريم ١٢).

(٣) (سورة التكوير ٢٠ - ٢١).

(٤) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج ١٨، ص ٣٨٢، الباب الثالث.

(٥) (سورة التكوير ٢٠).

المعنيين غير الآخر. نعم، قد يقال: إنَّ أخذ العلوم الباطنيّة، معنى من معاني التحمّل، وإلى هذا المعنى الواسع، أشار السيّد الطباطبائي، لكن حسب ما نسير عليه من المنهج، سيكون لكلّ معنىً أطروحةً، تختلف عن الأطروحة الأخرى، ولا ينبغي التلفيق أو التركيب بينهما<sup>(١)</sup>.

ثمّ استدل هنا بالدعاء: لاثبات ذلك التباين بين المعنيين، حيث قال (قدس سره): (وفي هذا الصدد، يمكن الإشارة إلى شيءٍ نافعٍ أيضاً، وهو قوله (عليه السلام) في دعاء الصباح: (اللهم صلّ على الدليل إليك في الليل الأليل، والماسك في أسبابك بحبل الشرف الأطول، والناصر الحسب في ذروة الكاهل الأعبل، والثابت القدم على زحاليقها في الزمن الأوّل)<sup>(٢)</sup>. والكاهل: الظهر، والأعبل: القوي أو المتين جداً، فالكاهل الأعبل، هو الظهر القوي، والنبي (صلى الله عليه واله)، كان له ظهرٌ قوي، يتحمّل سائر المسؤوليّات الباطنيّة والظاهريّة من العلوم، فظهره أقوى من كلّ ظهرٍ، ومسؤوليّته أيضاً أعظم من كلّ مسؤوليّة)<sup>(٣)</sup>.

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ٩.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج ٨٤، ص ٣٣٩، الباب ١٣، الحديث ١٩.

(٣) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٠.

## المبحث الرابع المنهج الحواري

### أولاً: التعريف بالمنهج

حيث يعتمد المصنف، على مجموعة من القرائن والأدلة، التي يتناولها بالبحث، حين بيانه لموضوع معين، فيقوم بعملية أستعراض تلك المباني والقرائن والأدلة، فتارة يناهضها ناقضاً، لإثبات مايدعي، وأخرى يوافقها مُثبتاً لما يبتني، وقد عرّفه فريد الأنصاري، فقال: (هو منهج البحث، الذي يقوم على الدراسة المنظمة، للعلاقة بين ثمرات الفكر في النصوص الشرعية، وذلك من حيث المقارنة بينها، وإدراك التأثير المتبادل لبعضها في بعض، من حيث تطورها ودفع بعضها ببعض)<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك نفهم ان المنهج الحواري، قائم على بيان واستعراض لآراء المُفسّرين ومناقشتها، (فليس هناك توافق براني، يطمس فيه الاختلاف بين المتحاورين، ولا هناك إخماد لوجهة نظر الآخر، تطمس فيه هويته، وإنّما هناك عملية تبادل تحدث، من خلال لعبة الهوية والاختلاف)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) فريد الانصاري، ابجديات البحث في العلوم الشرعية، ص ٩٣.

(٢) سعد توفيق، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، ص ١٠٣.

## ثانياً: أسلوبية السيد الشهيد في الحوار

الحوار كاشف عن ملامح الشخصية العامة وأبعادها، وطريقة تفكيرها، وما يدور في خواطرها، لذلك فإن السيد الشهيد (قدس سره)، أستعمل الأسلوب الحواري كثيراً في كتابه، جمعه بدقة عالية، من بين مؤلفات العلماء في حقل التفسير، فعمل على أنتقاء مجموعة من الأعلام، على الرغم من سعة البعد الزمني بينهم، فعمد في اختيار مجالسيه من أصحاب الاختصاص، فاختار السيد الشهيد (قدس سره)، في مجال تفسير القرآن السيد الطباطبائي، وفي مجال إعراب القرآن الكرباسي، وفي معاني الألفاظ العكبري، وفي مفردات القرآن الراغب الاصفهاني، وفي علوم القرآن الجرجاني والسيوطي، وغير ذلك ممّا ذكره (قدس سره)<sup>(١)</sup>. فكانت تلك المحاورات والجلسات، تدور في غرفة مفتوحة، كان هو المُنظّم لها، وقد اتخذت قنوات مُتعدّدة، باستفهامات مختلفة، أظهرها للقارئ بأشكال وصور مُختلفة، منها:

**الشكل الأول:** اعتمد السيد (قدس سره) في هذا الشكل، على استنطاق أصحاب الاختصاص، على مختلف توجهاتهم، من خلال اثاره السؤال، فيبدأ معهم تلك الرحلة، المليئة بالتفريعات والتشقيقات، فيسأل العلماء على شكل مداخلة، راداً على البعض ومؤيداً للآخر، وان لم يحصل على الجواب، الذي يتلائم وروح المعنى المراد للآية حسب القرائن، يبادر إلى إبراز جواباً حليّاً، وفي أحيان أخرى، يسأل بلسان أحد المدعويين لهذه الجلسة، فيجيب بالجواب

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٢٥ - ٢٧.

النقضي على ما صدر منه، ويبدأ بحلّه، بعد عرضه على موازين الاختصاص الأدبي أو التفسيري أو النحوي وغيرها ممّا يوائم، وبمجرد ان يسري لنفسه أستشعاراً، بان جوابه غير مقنع، انتقل إلى الشكل الثاني مُبادراً.

**الشكل الثاني:** (قال... أقول)، فيفتح باباً لاستنهاض أحد المدعويين لجلسته الحوارية، فيبدأ هو بإدارة الحوار، ويستفهم حينها بلسان ذلك المُختصّ، مُناقشاً ومُبيّناً، لان (الحوار، يسمح للعبة السؤال والجواب، بتعديل الفهم المُتبادل تدريجياً. ومادام الأمر كذلك، فانه من دون الحوار يظل النص يتيماً بعبرة افلاطون، وفاقداً لايه الذي كان يدافع عنه، مواجهاً بذلك وحده، مغامرة التلقي والقراءة)<sup>(١)</sup>، فيُثبت مدّعا، وينقض تارة، ليولّد بياناً ومعنى جديداً، في ذلك الحقل الإختصاصي.

**الشكل الثالث:** (ان قلت... قلنا)، (هو حوار دائري، يخرج من النفس ويعود إليها... هو السؤال وهو الإجابة)<sup>(٢)</sup>، ولطالما كان استفهاماً سُقراطياً، يولّد الأسئلة، لينجب أجوبة على شكل أطروحات، مُستبطنة لكل واحد منها، سؤال يُجيب عليه بسؤال وأطروحة، فتتزايد الإستفهامات، لنصل إلى النتيجة التي أحالها إلى القارئ، ليستنطق من فكره، ما يلائمه من تلك الأطروحات.

**الشكل الرابع:** (قد يُقال - لعلّك تقول)، أستفهام للمجهول أو البعيد، حيث

---

(١) زيوس ليونارد، الهرمنوطيقا عند بول ريكور، ترجمة علي سعيد، مجلة مسارات العدد ٤، السنة الاولى، ص ٤٣.

(٢) زينة حمزة شاكر، الأنا والآخر في روايات عبد الحمّن منيف، رسالة ماجستير، ص ٧٥.

يبدأ السيد بإثارة السؤال، الذي قد يخطرُ على الذهن، اي بعيداً عن ذهن القارئ العام، بخلاف الشكل الثالث، حيث من الممكن ان يطرح السؤال شخصاً عادياً، فيجيب عليه بعد عرضه على المرشح النقدي المُنهج، فيتلبس بإذهان مُختلفة التفكير، والتي من الممكن لها، ان تسبب ما قد يطرأ على الذهن، من أستفهام مقدّر، فيُجيب باحتمالات مُتعددة بموجبها.

اذن فالمنهج الحواري الذي تبناه السيد الشهيد، لا يهدف إلى قمع الفكر المحض، بل أنطلق إلى سعة أفق، للحصول على رؤية جديدة من مُختلف طوائف المتحاورين، وليس بالضرورة ان يكون هذا الآخر حقيقياً، (لأن المُتحدّث بمجرد الإعلان عن نفسه، يكون قد وضع شخصاً آخر أمامه، وحدّد لكلامه المقام الخطابي، بين أنا وأنت، حتى وان كان أنا وأنت، لا يضمران مفهوماً ولا شخصاً مُعيّنين، لكنهما يسمحان للمُتكلّم، من إحتلال منزلة الفاعل في الخطاب، مع علاقة تتوفّر بينه وبين المُرسل إليه)<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: الحوار الصّدري والحوار السقراطي

يُستفاد من المصادر التاريخية<sup>(٢)</sup>، ان أول ظهور لمخاضات الحوار المُنهج، أنبثقت مع محاولات سقراط في استعراض آرائه، من خلال أسلوب التهكّم، الذي كان يُمارسه مع طبقات المجتمع الإغريقي آنذاك، فكان يدور في

(١) آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي، ص ١٠١.

(٢) د. مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفة سقراط، ص ٣٤-٨٠.

الأسواق باحثاً عن إنسان، ليعقد جلسته الحوارية، بأسلوب تصنّع الإستفهام والجهل، مُبادراً بالسؤال، مُعتمداً على براعته في الرد وما يمتلك من بدهاة، ومع ذلك فيذكر التاريخ، أن اغلب شخصيات سقراط، كانت من العامة، يسهل التغلب عليهم، وبذلك يُمرّر ما يريد إثباته من نظرية، بعد عجز خصمه عن نقضه، ومحاورته مع طغرون في قاعة المحكمة، خير دليل في تسفيه الهتهم المُتكررة والمُتعدّدة، فخرج مُتّصراً للإله الواحد<sup>(١)</sup>، فكان يولّد من التناقضات والإضطرابات في إجابات خصمه، أسئلة تهكميّة رصينة، تثبت مُبتناه.

اما المنهج الصدري في الحوار، فلم تكن هناك مُقابلة حقيقية خارجية مع المُتّحاور، لانه قد يترأى المُتّحاورين، ويتواضعان على وحدة التفكير، اي يتعرف كل منهما على مستوى وحدود تفكير الآخر، اما السيد الشهيد، فكانت جلساته الحوارية، قد انمازت بثلاث خصائص عن سابقه:

**الأول:** ان المُتّحاورين على نُسق متقابل من التفكير، اي ان الحوار الجاري، كان بين أصحاب الاختصاص المُتعمّقين في فنّهم، وبين السيد، معقود على مستوى عالٍ من التفكير، في ذات المبحوث، وإذا سئل السيد بالنيابة عنهم، فلا بدّ ان يكون سؤاله الافتراضي النيابي، على مستوى فكر السيد الطباطبائي في التفسير، والعكبري في المعاني، والزجاج في النحو وهكذا، في حين تجد ان المحاوره التي تُعقد هناك، كانت بين العقل المُختصّ اي (سقراط)، وبين عوام الناس البُسطاء.

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٦٥.

**الثاني:** ان الذهن الذي يحمل ويراعي، هذه الجلسات الإستثنائية بين المتحاورين، ومدخلات بعض الضيوف، ويسأل بالنيابة عن الضيف بحسب بعده الزماني، ومستوى خطابه ولون تفكيره ولغته، هو بطبيعة الحال أعمق وأدق وأقوى، من الذهن الذي أصطبغ بلون تفكيري واحد ببعده المكاني، فهذه الإنتقالات الذهنية، والتشعبات العقلية، تتم عن وجود مساحة شاسعة جداً، من العمق والإجادة في الفكر، بلحاظ الزمكان.

**الثالث:** إضافة للسابقتين، فانه أمتلك القدرة الواسعة، على السفر بذاك العقل الوقادّ، في أرجاء معمورة التفكير البشري، لفتح نافذة في جدار التفكير، فلعلّ الذهن في يوم ما، سيبادر للسؤال ويسأل، ويبدأ من هاهنا، بتعميق تلك الفتحة، متخذاً منها، مسلكاً جديداً للحوار، على نظرية (قد يُقال).

ولم يفرض المنهج الصدري، ما تبنى في جميع حواراته، بل يُقدّمها للقارئ، ويعطيه حق اختيار ما يُلائم فكره ومستواه، ومن المعلوم انه قد تعلّم ذلك الأسلوب الأدبي، من المنهج القراني في الحوار.

#### رابعاً: بعض الشخصيات المشاركة في الحوار

كما بيّنا فيما مضى ان السيد الشهيد (قدس سره)، عقد الجلسات الحوارية، لأجل الحصول على مكتنزات النص القراني، والدفاع عن ما يعترى الذهن من اشتباهات، لذلك عمد إلى أنتقاء أصحاب الاختصاص في فنون التفسير، ولا بدّ من التعرف على البعض هذه الشخصيات، قبل استعراض صور لتلك

الجلسات، ونذكر منهم:

السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، ولد في ايران سنة (١٨٩٢ م) وتوفي سنة (١٩٨١ م) عالم وفقه وفيلسوف آلهي، له العديد من المُصنّفات<sup>(١)</sup>، التي أُتخذ البعض منها، منهاجاً للتدريس في الحوزات العلمية، كـ(كتابي بداية ونهاية الحكمة)، واشتهر بكتابه (الميزان في تفسير القرآن)، الذي عُدّ من أفضل التفاسير، وقد كان أكثر من حاوره السيد الشهيد في مباحثه وآراءه.

ابو البقاء العكبري عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ولد في بغداد سنة (١١٤٣ م) وتوفي (١٢١٩ م)، عالم أديب، مُتضلّع باللغة العربية، وكان من أكبر اللغويين في عصره، وذكر صاحب الأعلام، انه اصيب في صباه بالجذري فعُمي<sup>(٢)</sup>، كانت مداخلات السيد معه، في كتابه (إملاء ما منّ به الرحمن).

الراغب الاصفهاني ابو القاسم الحسين بن محمد، ولد ايران بمدينة اصفهان في سنة (٣٤٣ هـ) وتوفي سنة (٤٠٠ - ٤١٠ هـ)<sup>(٣)</sup>، وكان فاضلاً مُتبحراً في اللغة والأدب والحديث والشعر<sup>(٤)</sup>، وقد حاوره السيد الشهيد في كتابه (مُفردات الفاظ القرآن).

---

(١) السيد مُحمّد حسين الطهراني، الشمس الساطعة، حيث عقد المُصنّف (قدس سره) ذلك الكتاب، لبيان حال السيد مُحمّد حسين الطباطبائي (قدس سره).

(٢) خير الدين الزركلي، الاعلام، ج٤، ص ٨٠.

(٣) الدكتور عمر بن عبد الرحمن الساسي، الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب. وهناك خلاف في وفاته، فالأغلب يصرّح انها (٥٠٢ هـ)، ويمكن مراجعة كتب التراجم بهذا الخصوص.

(٤) الشيخ عباس القمي، الكنى واللقاب، ج٢، ص ٢٦٨.

الشریف الرضی السید ابو الحسن مُحمّد بن الحسن الموسوي، ولد في بغداد سنة (٣٥٩هـ) وتوفي بها يوم الاحد المصادف ٦ محرم سنة (٤٠٦هـ)<sup>(١)</sup> عالم وأديب وشاعر وفقه، حاوره السيد الشهيد في كتابيه (حقائق التأويل في مجازات القرآن الكريم)، و(تلخيص البيان في مجازات القرآن).

القاضي عبد الجبار احمد بن عبد الجبار المعتزلي، ولد في بغداد سنة (٣٥٩هـ) وتوفي سنة (٤١٥هـ)، وهو احد أعلام المدرسة الاعتزالية، له العديد من المُصنّفات<sup>(٢)</sup>، وقد حاوره السيد الشهيد في كتابه (تنزيه القرآن عن المطاعن).

إضافة إلى ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين)، حيث حاوره السيد في كتابه (لسان العرب)، وأيضاً سيد قطب (ابراهيم بن حسين الشاذلي)، وقد حاوره السيد في كتابيه (في ظلال القرآن)، و(مشاهد القيامة في القرآن)، والأخفش (ابو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي)، وأيضاً الزجاج (ابو اسحاق ابراهيم)، وملا هادي السبزواري (صاحب المنظومة)، والشهيد الثاني (زين الدين البجعي العاملي)، والكسائي، والاصمعي، والكرباسي، وابن سيده، وبطليموس وغيرهم.

## خامساً: جلسات حوارية

ذكرنا فيما سبق، ان أحد الأطروحات المُحتملة في تسمية الكتاب (الدفاع

(١) الشيخ الاميني، كتاب الغدير، ج ٤، ص ٢١٠.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ١١٣ - ١١٥.

عن القرآن)، هو ممارسة الدور الريادي لهذا المنهج، في تحليله للأراء التي تبنت شرح الخطابات الإلهية، لذلك عبّد السيد الشهيد (قدس سره)، البنية الفنية للكتاب، من خلال مناقشاته المختلفة، في كل آية تقريباً، مع شخصيات مختلفة، ونحن ننقل صوراً بسيطة من تلك الجلسات، كي لا نُثقل كاهل البحث.

حيث وردت مناقشة مع القاضي عبد الجبار، في المراد من كلمة (سجّل) في قوله تعالى: ﴿بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾<sup>(١)</sup>، فقال: (وقد ذكر القاضي عبد الجبار<sup>(٢)</sup> في هذا الصدد سؤالين:

سؤال: كيف يصحّ في الطير الصغير، أن يُرسل الحجر، فيؤثر في الناس، التأثير الذي ذكره تعالى في هذه السورة؟. جوابه من وجوه:

**الوجه الأول:** بأن يزيد الله تعالى في قوة الطيور، بحيث يؤثر ذلك الحجر، ذلك التأثير العظيم.

**الوجه الثاني:** أن يكون الله تعالى عند رمي الطير، جعل فيه الإنحدار الشديد، بحيث يؤثر هذا التأثير.

أقول: الوجه الأول لا يكفي، وذلك لأنّ قدرة الطير، لا يعني قدرة الحجارة من الطين، بحيث تكون قاتلة، والوجه الثاني غير تام بمجرد أيضاً. إلا أن نذكر له وجهين آخرين، وهما:

---

(١) (سورة الفيل ٤).

(٢) القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٤٨٠.

**الأول:** ما ذكرناه سابقاً من السرعة الشديدة للحجر وفي الطائر، كأن تكون كسرعة الضوء، وبالتالي تخترق الجسم البشري.

**الثاني:** وجود الحرارة العالية جداً في الحجارة، باعتبارها من (سَجِيل)، فلا تكن قابلة للإنطفاء، فتبقى متوقّدة إلى حال خروجها، ولا تنالها رطوبة جسم الإنسان. ويمكن الجمع بين هذين الوجهين أعني السرعة والحرارة<sup>(١)</sup>.

ونعرض أيضاً لصورة، من مئات الصور المُنَعَّدَة من حواراته (قدس سره)، مع السيد الطباطبائي (قدس سره)، وذلك في بيان قوله تعالى (فسوّاها)، عند استعراض المُحتملات، لتفصيل الكلام في قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾<sup>(٢)</sup>، حيث قال: (إنَّ في مرجع الضمير في (فسوّاها) عدّة أطروحات:

**الأولى:** ما في (الميزان)<sup>(٣)</sup>، من أنَّ الظاهر، أنَّ الضمير لثمود، باعتبار أنَّهم قبيلة أي: فسوّاها بالأرض. وهذا ينافي سياق الضمائر المتأخّرة، وإن كان مرجعه موجوداً، إلا أن يقال: إنَّ ضمير المذكر (هم) الجماعة، والمؤنث ثمود.

والجواب عنه: أنَّ هذا ينافي قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾<sup>(٤)</sup>؛ لأنَّ العذاب عامّ قطعاً، فيكون مرجع الضميرين واحداً، فلا وجه لاختلافهما في التأنيث والتذكير.

(١) السيد مُحمَّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) (سورة الشمس ١٤).

(٣) السيد مُحمَّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٢٩٩.

(٤) (سورة الشمس ١٤).

**الثانية:** ما في (الميزان)<sup>(١)</sup> أيضاً، من عوده إلى الأرض، والمعنى تسوية الأرض، وهو تسطيحها وإعفاء ما فيها من ارتفاع وانخفاضٍ.  
أقول: الإعفاء هنا من عفى عليها الزمن، ولا يكون للضمير مرجعٌ لفظي، ومثله المدينة أو المنطقة، إلا أنّه مفهومٌ ضمناً. ولا بأس به.

**الثالثة:** ما في (الميزان) أيضاً: وقيل الضمير للدمدمة المفهومة من قوله (دمدم)، والمعنى: فسوّى الدمدمة بينهم، فلم يفلت منهم قوي ولا ضعيف، ولا كبير ولا صغير<sup>(٢)</sup>.

أقول: سوّى هنا بمعنى: فعل وأنجز أو خلق. ونحوه قولهم في اللغة العاميّة، إلا أنّه لم يرد في اللغة الفصيحة.

فإن قيل: فإنّه ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿رَفَعَ سَمُكَهَا فَسَوَّاهَا﴾<sup>(٥)</sup>، قلنا: أوضح جوابٍ عن ذلك، لزوم التكرار في (خَلَقَ فَسَوَّى)، (سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ)، لأنَّ مُحَصِّلَ الفعلين يكون واحداً، وهو غير محتملٍ، فلا بدّ من حمله على المعنى اللغوي الأصلي، وهو التسوية بين الأمور المختلفة: إمّا بالتضادّ كالنفس، وإمّا بالارتفاع والانخفاض كالأرض. ومثله قوله: ﴿رَفَعَ

(١) السيد مُحمَّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) (سورة الأعلى ١ - ٢).

(٤) (سورة الحجر ٢٩).

(٥) (سورة النازعات ٢٨).

سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا»، إذ يستلزم التكرار ما لم نفهم منه معنى آخر، أي: جانسها بالرغم من اختلافها بالحجم والتجرد. اللهم إلا أن يُراد تسوية العقوبة والدمدمة مع الطبيعة، وهو بعيدٌ.

الرابعة: ما ذكره العكبري من: أن المرجع هو العقوبة<sup>(١)</sup>، ويرد عليه الإشكال المتقدم.

الخامسة: النفس، وهو من الفهم الباطني، فتكون الدمدمة البلاء الدنيوي، المنتج للتربية والتسوية والتكامل، للحق أو للباطل، لأنَّ الجهة المعاندة تموت وتزول.

السادسة: الناقة والمراد: أرجاعها إلى الاعتدال بعد العقر. إلا أنَّه خلاف المشهور وخلاف السياق<sup>(٢)</sup>.

---

(١) العكبري، املاء مامن به الرحمن، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٢) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٧٨.

## المبحث الخامس

### السياق اللفظي والمعنوي

#### أولاً: مفهوم السياق

من اجل حفظ النظام الاجتماعي، القائم على العلاقات وتبادل المنافع، لا يمكن ان يعيش الإنسان بنفسه مُعزلاً عن ذلك النسيج المُنتظم، إذ لا بد له من مُمازجة لآبناء جنسه، لنفع وانتفاع، كذلك هو الحال في الكلمة، فلكي نصنع منها معنى متناسقاً، لا بد ان ننحتها بالطريقة الملائمة من الألفاظ والعبارات، وذلك لأن (الألفاظ لا تتفاضل، من حيث هي الفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، ان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة، لمعنى التي تليها. فلا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب تلك)<sup>(١)</sup>.

اما تعريف نظرية السياق، فإن السيد مُحمّد باقر الصدر (قدس سره)، قال: (السياق: كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه، من دوال أخرى، سواء كانت لفظية، كالكلمات التي تُشكّل مع اللفظ الذي نريد فهمه، كلاماً واحداً مُترابطاً، او حالة كالظروف والملابسات التي تُحيط بالكلام، وتكون ذات دلالة في الموضوع)<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، ص ٩٩ - ١٠٦.

(٢) السيد مُحمّد باقر الصدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ١٤٣.

وأما السيد مُحَمَّد تقي المدرسي، فيعرّفه بأنه: (موضوع السورة المحوري، الذي تدور حوله أفكارها، فهو الخيط الفكري الناظم للأفكار الفرعية، وهو القضية (والإشكالية) الرئيسية، التي تعالجها الآيات)<sup>(١)</sup>.

والشيخ فاجر المبيدي، قال: (ان السياق عبارة عن قرينة مُتصلة بالكلام، تجعله كلاماً واحداً مترابطاً ومتناسباً، وتوجب الظهور فيما يراد به من معنى)<sup>(٢)</sup>.

فالعنصر المشترك بين تلك التعاريف للسياق تكشف عن معنى مشترك، يمكن لنا ان نضع له بياناً مستقلاً، فالسياق: (هو ما يطلق على اللفظ والسابق له، او اللاحق، او كلاهما، وما تشكل منه المعنى، والسابق له، او اللاحق له، او كلاهما).

## ثانياً: تطور نظرية السياق

بيّن السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، الدور المهم لنظرية السياق في أبحاثه العلمية، فقال: (ان السياق باب مهم، من أبواب فهم اللغة عموماً، والقران الكريم خصوصاً، وقد استخدمناه بكثرة في أبحاثنا، فينبغي ان نحمل فكرة كافية عن حقيقته، وعن نتائجه)<sup>(٣)</sup>، فالقران الكريم يحتوي على مفاهيم دلالية مخلفة الأوجه والإحتمالات، لذلك أستشعر علماء المسلمين، باهمية

(١) مُحَمَّد تقي المدرسي، من هدي القران، ج ١، ص ١٢٧.

(٢) مُحَمَّد فاجر المبيدي، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، ص ٢٨٠.

(٣) السيد مُحَمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القران، ص ٢٧.

هذه النظرية، كأداة لفهم النص القرآني وكلمات العرب، فبدأت بواكيرها كما قال أحد الباحثين: (ويبدو لي أن أول من ذكر السياق، بمعناه لا بمُسَمَّاه، هو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، وذلك في مقولته: (ما أضمر أحد شيئاً، إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)<sup>(١)</sup>، ولو توقفنا قليلاً وتأملنا كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإننا نجد أنها تشير إلى السياق، فعندما يقول: في فلتات لسانه، إشارة منه إلى السياق اللفظي، وعندما يقول وصفحات وجهه، إشارة منه إلى سياق الحال، لأن سياق الحال، هو الأحوال والظروف والملابسات، التي تصاحب النص، وتحيط به)<sup>(٢)</sup>.

واستمر اهتمام العلماء بالسياق، وأثره الدلالي في تحديد معاني الألفاظ المشتركة، كابن عباس (ت ٦٨هـ)، ومجاهد (ت ١٠٤هـ)<sup>(٣)</sup>، وليس الأمر مُقتصرًا على السياق اللفظي، بل كانوا معنيين بشقيه اللفظي والحالي، (فقد صرح ابن القيم (ت ٥٧١هـ)، أن السياق يرشد إلى تبين المُجمل، وتعين المُحتمل، وتخصيص العام، وتقييد المُطلق، وتنوع الدلالة، فيما يؤكد أسلوب الشاطبي (ت ٥٩٠هـ)، على وعيه بالظروف والملابسات المُحيطة بالنص، من أحداث وأزمان، لها الأثر الواضح في توجيه دلالة الألفاظ)<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن أبي الحديد، مُحمَّد عبده، صفوة شرح نهج البلاغة، ص ٧٥٨.

(٢) الشيخ اسعد جواد المعموري، البحث النحوي عند السيد مُحمَّد الصدر في كتابه منة المنان، رسالة ماجستير، ص ٧٩.

(٣) د. محمود الحاجي، النسق القرآني، ص ٣٥٠.

(٤) د. صاحب ابو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، ص ٢١١.

وقد عكف العلماء على تحديد آلياته الدلالية، كما فعل ابن قُتيبة (ت ٢٧٦هـ)، في كتابه (تأويل مشكل القرآن)، وأيضاً ابن جني وسيبويه والجاحظ وعبد القادر الجرجاني وغيرهم<sup>(١)</sup>.

أما اللغويون الغربيون، فتعدّ مدرسة لندن، هي الرائدة في توجيه علم الدلالة، التي أسّس لها العالم (فيرث)، وطوّر نظرية سياق الحال، والتي تُعنى بالجانب الدلالي للغة الطبيعية، من حيث هي وسيلة للتواصل الاجتماعي، مُعتمداً على جهود رائد اللسانيات البنيوية، العالم الصوتي (دانيال جونز) حيث كان يرى فيرث، إنّ دلالة المُفردة لا تنكشف، إلا بعد وضعها وتنسيقها في تراكيب لغوية<sup>(٢)</sup>، ليُثبت صدق المقولة بان: (المعنى وظيفة السياق)<sup>(٣)</sup>.

ولقد تعدّدت المناهج اللغوية الغربية المُختلفة، لدراسة المعنى، كالنظرية الإشارية، التي قامت على يد كل من (أوجدن)، و(ريتشاردز)، والنظرية التصورية أو العقلية للفيلسوف (جون لوك)، والنظرية السلوكية التي يُعدّ (بлумفيلد)، المسؤول عن تقديمها إلى علم اللغة<sup>(٤)</sup>.

أما (اولمان) فقدّ وسع مفهوم السياق، فقال: (إن السياق على هذا التفسير، ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل

---

(١) د. عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، ص ١٥٧.

(٢) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٦٨.

(٣) مُحمّد أبو السعود، دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط، عدد ٧، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٤) د. أحمد مختار عمر ظاهرة الترادف بين القدماء والمحدثين، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت عدد ٦، ربيع سنة ١٩٨٢م.

والقطعة كلّها والكتاب كلّهُ<sup>(١)</sup>، وهو ما يُطلق عليه (سياق النص).

إلا ان فيرث لم يأت بجديد على مستوى النظرية، بل اِشار إلى دلالات تركيب الالفاظ، فإن الجرجاني قد ذكره قبل ثمانية قرون، حينما قال في كتابه (دلائل الاعجاز): (أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يُعلّق بعضها ببعض، ويبيّن بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك)<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: دور السياق في التفسير

لم يكن السياق من مُختصّات القران الكريم، بل هو أصل للتعامل العقلائي، المُعتمد في الخطابات البشرية، وباب مهم للاتصال اللغوي، في إيضاح دلالات المخاطب.

لذلك فإن احتمال أغفال المؤلف - في تفسيره للقران - عن السياق، يُزيد من فرصة وقوعه في الخطأ، وعدم إعطاء رؤية واضحة عن مفهوم الآية القرانية، وقد أولى السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، اهتماماً بالغاً في التطبيقات السياقية لتحليل المعنى، حيث نراه كثيراً ما يُقدّم وحدة السياق على القاعدة النحوية، على خلاف النُحاة (فالمهم عندهم، ان القاعدة أولى من المعنى السياقي)<sup>(٣)</sup>، كما هو الحال في بيانه لقوله تعالى: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا﴾<sup>(٤)</sup>، فهو

(١) د. كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي (مدخل).

(٢) عبد القادر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص ٥٥.

(٣) السيد الشهيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القران، ج ٢، ص ٣٣٩.

(٤) (سورة الشمس ١٢).

يخالف قاعدة نحوية مشهورة عند النحاة، وهي: (أن إذا)، يجب أن تدخل على الجمل الفعلية، ولا تدخل على الجمل الاسمية<sup>(١)</sup>، إلا أنه يُجيز دخولها على الجمل الاسمية، بسبب الحفاظ على السياق، فقال: (وما ندركه من المصلحة في ذلك - أي: في مجيء الجملة الاسمية بعد إذا - عدة أمور، منها: الحفاظ على وحدة السياق اللفظي في باب الآيات، وهذا ما أكدت عليه في عدد من المواضيع أيضاً، فإن الإخلال بالسياق اللفظي، كذلك يُفسد المراد)<sup>(٢)</sup>.

**فإن قلت:** هل يتوافق المنهج التجزيئي، الذي اتبعه السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، مع حفظ السياق اللفظي والمعنوي، حيث يقول: (من جملة أساليب الفهم للقران الكريم، ان نفهمه مُتفصلاً، وغير مُتعلق بسياق قبله)<sup>(٣)</sup>؟

**قلنا:** ان أهمية السياق عند السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، تظهر في توضيح مراد النص على نحو الأطروحة، لان المعنى البنائي للفظة، لا يمكن ان يؤدي بمفرده ظهوراً للمعنى الخاص، إذ لا بد له من ضمّ جملة من القرائن السياقية، للحصول على المعاني.

أضف لذلك، فإن قوله (جملة الأساليب)، لا ينفي عمّا سواه، فمع وجود القرائن السياقية، يمكن فهم النص في محل آخر، مُنفرداً بدونها، ولذا فإذا تمعنت في تلك الأساليب، ستجد سيلاً هائلاً من الاحتمالات والأطروحات، تضع بين

(١) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ج ١، ص ١١٣.

(٢) السيد الشهيد مُحَمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القران، ج ٤، ص ١٢.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨١.

يديك ولادات مُتَظَرّة، لإطروحات وأحتمالات ومستويات وتقريبات.  
 فمثلا في بيانه لمعنى (أحوى) في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾<sup>(١)</sup> يرد  
 على السيد الطباطبائي، حينما ذهب في بيانه لمعنى (أحوى) فقال: هو الأسود،  
 أي النبات إذا ييس صار أسود<sup>(٢)</sup>.

أما السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، فيقول: (والمراد ان (أحوى) يرجع  
 إلى الآية السابقة: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا يكون معنى (أحوى)  
 أخضر لا أسود، ومعنى الآية حينئذٍ: (الذي أخرج المرعى أخضر، ثم جعله غثاء  
 أحوى، أي شديد الخضرة لا شديد السواد)<sup>(٤)</sup>، ولذلك قال الراغب: والحوّة  
 شدة الخضرة<sup>(٥)</sup>، فالسيد الصدر (قدس سره)، يرفض أن تكون (أحوى) بمعنى  
 السواد، لأنها لا تتناسب مع سياق الآية المُتَقَدِّمة عليها، والتي تقتضي أن يكون  
 معنى (أحوى) أخضر، وهو الملائم مع المرعى، لا السواد، (فالسيد الصدر  
 (قدس سره)، جعل سياق النص، قرينة حاكمية في تحديد المعنى الملائم لتلك  
 المفردة، دون غيره من المعاني، التي تحملها تلك المفردة)<sup>(٦)</sup>. وغير ذلك من

(١) (سورة الأعلى ٥).

(٢) السيد مُحمَّد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٢٠، ص ٢٩٩.

(٣) (سورة الأعلى ٤).

(٤) السيد الشهيد مُحمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ١٠٨.

(٥) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (حوا)، ص ١٤١.

(٦) الشيخ اسعد المعموري، البحث النحوي عند السيد مُحمَّد الصدر في كتابه منة المنان، رسالة

الأمثلة البيانية على نظرية السياق، وتطبيقاتها على النصوص القرآنية، والتي سنذكرها في نماذج مُستفادة من السياق.

#### رابعاً: أقسام السياق

قسّم السيد الشهيد الصدر (قدس سره) السياق إلى قسمين، حيث قال: (فإن السياق على قسمين: سياق المعنى وسياق اللفظ: أمّا السياق المعنوي: فهو يمثل الإتصال والتماثل في مقاصد المُتكلّم، والمعاني الذي يريد بيانها والإعراب عنها، فإذا شككنا في أيّ مقصود من مقاصده، أمكن جعل المقاصد الأخرى دليلاً عليه، كقرينة متصلة عرفيّة وصحيحة، وهذه هي قرينة وحدة السياق، التي تُستعمل عادة في الإستدلال الفقهي والأصولي).

فلو وردتنا في السنة الشريفة، عدة أوامر في سياق واحد، وكان بعضها أكيد الإستحباب، وبعضها مشكوك الوجوب، قلنا باستحبابه، لأجل وحدة سياقه مع المُستحب.

وأما السياق اللفظي: فهو أمر آخر تماماً، وإن كان كل لفظ، فله معنى، ومن هنا فكل سياق لفظي، له سياق معنوي، إلا أنّ العمدة هنا، اختلاف الجهة الملحوظة في السياق.

ومرادنا من السياق اللفظي: تناسقه العرفي في الذوق واللغة، بحيث لو زاد شيئاً أو نقص، لكان ذلك إخلال به، ومن ثمّ يكون ذلك قرينة كافية على عدم وجوده، وعدم قصده من قبل المُتكلّم.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>، بدون وجود الواو بينها، فلو وجد الواو، أختل السياق اللفظي بكل تأكيد، ولعل أوضح منه إختلال السياق، لو وجد الواو في البسملة. وهكذا بينما نجد أموراً أخرى غير مُخلّة بالسياق لو تبدلت، ومن أمثلة ذلك الفاء بالواو في قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا. فَأَنْزَلَ بِهِ نَفْعًا. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾<sup>(٢)</sup>. فإن الجمال اللفظي، يبقى مُستمرّاً، بحسب ما ندرك من الذوق اللغوي العرفي، وهكذا.

وعلى أيّ حال، فكلا الشكليين من السياق: اللفظي والمعنوي، يمكن استعماله في أبحاثنا هذه، وجعله قرينة على مختلف الأمور، إلا أنّ السياق اللفظي فيها أهم وألزم، كما كان السياق المعنوي في تلك العلوم أعني: الفقه والأصول أهم وألزم<sup>(٣)</sup>.

فالسيد الشهيد الصدر (قدس سره)، بيّن ان أكثر أستعمالات السياق المعنوي، يكون عادة في الأبحاث الأصولية والفقهية، فإن ظهور الألفاظ لها، حجية في مراد المتكلم، ما لم توجد قرينة على خلافه، وهو ما يُسمّى بـ(حجية الظهور)، وبتعبير أوضح، لو أخذنا قول رسول الله (صلى الله عليه واله): (افشوا السلام، وصلوا الأرحام، واطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا

(١) (سورة الناس ١ - ٣).

(٢) (العاديات ١ - ٥).

(٣) السيد الشهيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٢٨.

الجنة بسلام)<sup>(١)</sup>، وهو خطاب من المعصوم إلى المُكَلَّفِين، من الأعلى إلى الأدنى، بصيغة الأمر، فيكون ظاهراً في الوجوب.

إلا أن هذه الخطابات، يمكن أن تُستعمل في موارد الاستحباب (واستعمالها في الاستحباب، استعمال مجازي، يُبرّر الشبه القائم بين الوجوب والاستحباب)<sup>(٢)</sup>، فالمحدّدات اللفظية، التي تدعوا إلى العمل مع الإلزام أو بدونه، غير موجودة على سطح النص، بل يمكن أن نستفاد من الظهور السياقي، هو الدعوة والترغيب إلى العمل، والحث على هذا الفعل المُثمر الذي سيؤلّ عاقبته إلى خير ونعمة، حيث تساعد على تربية الفرد، والسعي إلى تكامله الاجتماعي والأخلاقي، بإفشاء السلام، وصلة الرحم، ونمو العلاقات الاجتماعية، وبذل الطعام للمُحتاجين، وغير ذلك من فقرات الحديث الشريف. فلو أراد المولى الوجوب، لكان الخطاب يختلف بسياقه ودلالاته، كما صرّح السيد محمد باقر: (ولو كان واجباً، لكان الأولى استعمال طريق التخويف من العقاب، بدلاً من الترغيب في الثواب، فالدلالة هنا دلالة سياقية، وظهور الكلام في الاستحباب، يقوم على أساس هذه الدلالة)<sup>(٣)</sup>.

وقد حقّق السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، إنجازات رائعة على المستوى النحوي، في تطبيقه للسياق اللفظي والمعنوي، وما تداخل بينهما، وقد أثرى

---

(١) غلام حسين المجيدي، نهج الفصاحة، ص ٤٧١.

(٢) السيد مُحمّد باقر الصدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ١٦٤.

(٣) السيد مُحمّد باقر الصدر، بحوث اسلامية، ص ٨٠.

المكتبة الإسلامية، على صعيد هذه النظرية، التي لا مجال لبيانها وذكرها<sup>(١)</sup>. إذن فالتقسيم المُستفاد لنظرية السياق، يقع على قسمين، كما أورده السيد الشهيد الصدر.

أما المدرسة الغربية، فكانت رؤيتها للسياق من زاوية مُختلفة، (حيث قسمه ك. أمير K. Ammer إلى أقسام أربع وهي:

١- السياق اللغوي: وهو البيئة اللغوية، التي تُحيط بصوت، أو فونيم، أو مورفيم، أو كلمة، أو عبارة، أو جملة، فيمكن التمثيل له بكلمة الإنجليزية (ومثلها كلمة (حسن) العربية، أو زين (زين) العامية)، التي تقع في سياقات لغوية مُتنوعة.

٢- السياق العاطفي: وأما السياق العاطفي، وهو السياق الذي يتولّى الكشف عن المعنى الوجداني emotive meaning والذي قد يختلف من شخص إلى آخر. ودوره أنه يُحدد درجة القوة والضعف في إنفعال المُتكلم، ممّا يقتضي أكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً، ومثال ذلك كلمة love فهي غير كلمة like مع أنهما مشتركان في أصل المعنى، وكذلك كلمة يكره، فهي غير كلمة يبغض، رغم اشتراكهما في أصل المعنى، وكذلك كلمة يود، غير كلمة يحب.

٣- سياق الموقف: ويعني الموقف الخارجي الذي يُمكن أن تقع فيه

---

(١) وقد تكفل الباحث الشيخ أسعد المعموري، في رسالته الموسومة (البحث النحوي عند السيد مُحَمَّد الصدر في كتابه منة المنان)، رسالة ماجستير، على بيان إبداعات السيد الشهيد الصدر على المستوى النحوي، ص ٩١ - ١٣٩.

الكلمة، مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تسميت العاطس: (يرحمكم الله) (البدء بالفعل) وفي مقام الترحم بعد الموت: (الله يرحم) (البدء بالإسم). فالأول تعنى طلب الرحمة في الدنيا والثانية طلب الرحمة في الآخرة. وقد دلّ على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي، المُتمثل في التقديم والتأخير.

٤- السياق الثقافي: وأما السياق الثقافي، وهو السياق الذي يكشف عن المعاني الاجتماعية، فيقتضي تحديد المحيط الثقافي، او الاجتماعي الذي يمكن أن تُستخدم فيه الكلمة. فكلمة مثل looking glass تُعتبر في بريطانيا، علامة على الطبقة الاجتماعية العليا، بالنسبة لكلمة mirror وكلمة (عقيلته)، تعد في العربية المُعاصرة، علامة على الطبقة الاجتماعية المُتميّزة بالنسبة لكلمة زوجته مثلاً<sup>(١)</sup>.

وهذا التقسيم، يأخذ النزعة الإنفعالية، التي لملم شملها، الفاظ تعبيرية عمّا يُخالج المُتكلم، كما في القسم الثاني، وهو في حقيقته يعود للسياق المعنوي بأبعاده المُختلفة، اما بقية الأقسام، فمردّها إلى التعبير اللفظي بلحاظ الجانب الطبقي، في المخاطبات السياقية، ودخول علم الاصوات (الفونتيك والفونميك)، في مخارج الحروف وتراكيب اللفظ، لتحقيق سياقات لغوية، وهو مُشابه لما فعله أحد الباحثين (طبعاً مع وجود الاختلاف في النزعة والرؤية)، حينما قسّم السياق إلى اقسام خمسة:

(١) ايبي مزيدة بخاري، النظرية السياقية، المبحث الاول، ص٧، رسالة ماجستير في علم الدلالة.

- ١- (سياق الحروف: والمراد به تنظيم المواد وتركيبها من الحروف، التي تكون بمنزلة المواد لبنائها.
- ٢- سياق الكلمات: والمراد به نظم الكلمات، والأسلوب القائم في تراكيبها، ومن ثمّ تأليف الجملة منها، بل هي الخصائص المودعة في الجمل، من المبتدأ والخبر، او الفعل والفاعل، او نائبه، او الحال والتمييز.
- ٣- سياق الجمل: والمراد به النظم الكامن في تركيب الجمل، ومن ثمّ تأليف الآية من تلك الجملة.
- ٤- سياق الآيات: والمراد به كون الآية، قرينة عن تفسير الآية الأخرى.
- ٥- سياق السور: والمراد به ترابط السور القرآنية، وتناسب بعضها مع البعض الآخر<sup>(١)</sup>.

#### خامساً: نماذج مُستفادة من السياق

منها: في جواب له على سؤال، حول سبب تقديم الفجور على التقوى في قوله تعالى: ﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر لذلك خمس أطروحات، كان الأخير منها، (مراعاة السياق اللفظي، والنسق أيضاً)<sup>(٣)</sup>.

ومنها: جوابه عن في سبب وجود الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَنْقَضَ

(١) مُحمّد فاكّر المبيدي، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، ص ٢٩١.

(٢) (سورة الشمس ٨).

(٣) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٦٢.

ظَهَرَكَ<sup>(١)</sup>، فذكر أربعة وجوه كان (الوجه الأول: أنَّ هذه الهمزة لحفظ السياق اللفظي للقرآن، لأنَّه لو قال (الذي نقض ظهركَ) لاختلَّ السياق في الجملة)<sup>(٢)</sup>. ومنها: ذكره لمعاني مُتعدِّدة، لمفهوم (الشقاوة) في قوله تعالى ﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ قَدَّمَ (للشقاء معنيان عُرْفِيَّانِ آخران: أحدهما: البلاء الدنيوي: كالفقر والمرض، فَإِنَّهُمَا شَقَاءٌ، إِلَّا أَنَّهُمَا لَيْسَا بشقاوةٍ عرفاً.

وثانيهما: كون الفرد بصفاتٍ تافهةٍ، بلا دينٍ ولا إنسانيَّةٍ، فنسميَّه شقاوة، وعندنا (يتشاقى) أي: يدَّعي الشقاوة، لأنَّه يُطلق على المُضاحكة، ويغلب عليه قول الزور، فيكون من الشقاء. وحيث إنَّه صالح في نفسه حسب الفرض، فيكون شقاؤه ادِّعائياً، ومن هنا نقول: (يتشاقى).

والمهمَّ الآن، هو عدم صدق الشقاء بالمعنى العرفي الأول، على عاقر ناقة صالح؛ فَإِنَّهُ خلاف السياق المعنوي قطعاً)<sup>(٤)</sup>.

ومع ان هذا النموذج الذي سنذكره، يمتاز بشيء من الإطالة، إلا انه من أجلِّ وأجمل مصاديق السياق وأروعها، في اعطاء دلالات مُختلفة للنصوص القرآنية، حيث قال (قدس سره): (أمَّا السياق الذي نحن فيه - أعني: هو السياق

---

(١) (سورة الشرح ٣).

(٢) السيد مُحمَّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ص ٢٩.

(٣) (سورة الشمس ١٢).

(٤) السيد مُحمَّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ص ١٧٢.

المعنوي لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾<sup>(١)</sup>، فهو إشارة إليه تعالى، وفيه بيان بسط قدرته عز وجلّ، وهو الذي فهمه المشهور، كما فيه بيان وصف نعمة الله، وفضله على البشر، وهذا ممّا لم يفهمه المشهور، غير أنّ المشهور ركّز على دلالتها، على إمكان يوم القيامة من قبله تعالى، فالقادر على إفاضة هذه الأمور والنعم، المرتبطة بالقدرة، قادرٌ أيضاً على إيجاد يوم القيامة.

والخطوة الأخرى هنا أن يُقال: إنّ هذا السياق وقع في ضمن سياقين، وحينئذٍ يكون عندنا أربعة احتمالات، بحسب ارتباطه بالسياق السابق واللاحق، ويمكن الإشارة إليها كما يلي:

الأوّل: سياقٌ مرتبطٌ بالسياق اللاحق.

الثاني: سياقٌ مرتبطٌ بالسياق السابق.

الثالث: سياقٌ مرتبطٌ بهما معاً.

الرابع: سياقٌ غير مرتبطٍ بأيّ منهما.

وتوضيحه: أنّ بيان قدرة الله ونعمه: إمّا أن يكون مطلوباً وضرورياً في نفسه، أي: إنّهُ غيرُ مرتبطٍ بالسياق السابق ولا اللاحق، وهذا لا بأس به، وإمّا أن يكون مطلوباً مرتبطاً بالسياق السابق، فيكون كالدليل على صحّة فهم المشهور، من أنّ المراد بالنّبأ العظيم يوم القيامة، باعتبار أنّه أوجد الكثير من العجائب والموجودات، فلا يبعد عن قدرته إيجاد يوم الحساب، ولا موجب لمن رأى قدرة الله في الكون، أن يتساءل أو يختلف في صحّة يوم القيامة.

وهذا ترتيبٌ فكري لطيف، إلا أنَّ الأمر لا ينحصر بتفسير النبا العظيم يوم القيامة، وأنَّ كلَّ أطروحة ذكرناها في تفسير النبا العظيم، يصلح أن يكون هذا السياق الجديد، بمنزلة القرينة والبرهان عليها، وهذه التفريعات نوكلها إلى فطنة القارئ الكريم.

كما يمكن أن يكون هذا السياق، مُرتبطاً بالسياق الذي بعده، الدالٌّ بصراحة على يوم القيامة بقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿لِلطَّائِفِينَ مَبَا﴾<sup>(٢)</sup>، فيكون السياق الذي نتكلّم عنه - الذي نحن فيه بمنزلة المقدّمة البرهانيّة، على ما يلحقه بنفس التقريب السابق - هو أنَّ قدرة الله تعالى في الكون، ملازمةٌ لقدرته على إنجاز يوم القيامة.

كما يمكن أن يكون السياق الذي نحن فيه، مُرتبطاً بما قبله وبما بعده، وهذا واضحٌ، إذا قلنا والتزمنا بفهم المشهور من: أنَّ النبا العظيم هو يوم القيامة. وعليه فكلا السياقين يُراد به يوم القيامة، أعني: السياق الواقع في أوّل السورة، والسياق الملحوظ في نهايتها، ويكون السياق المتوسط بينهما، برهاناً على ذلك، وكأنّه ذكر يوم القيامة، ثمّ برهن عليه، ثمّ استنتج من البرهان صحّته، الذي هو عبارة عن السياق الذي بعده، فكرّر ذكر يوم القيامة مرّتين.

وفي قبال ذلك، أن نفهم من النبا العظيم غير يوم القيامة، ويكون السياق الذي نتكلّم فيه كالدليل عليه، كما يكون دليلاً على السياق الذي بعده، وهو يوم

---

(١) (سورة النبا ١٧).

(٢) (سورة النبا ٢٢).

القيامة. ومعه فالسياق المتوسط بينهما، يقع بين أمرين، أي: إنّه مرتبطٌ بما قبله، الذي هو غير يوم القيامة، ومرتبطٌ بما بعده، الذي هو يوم القيامة، فيكون دليلاً على ما قبله، ودليلاً على ما بعده، وهما أمران مختلفان لا أمرٌ واحدٌ.

وبتعبيرٍ آخر: إنّ بيان قدرة الله سبحانه، كما يبرهن على صحّة يوم القيامة، وهو السياق الآتي، كذلك يمكن أن يبرهن على أمور أخرى نفهمها من النّبأ العظيم، الذي هو السياق السابق، كساعة الموت أو ساعة البلاء الدنيوي مثلاً.

والوجه فيه: أنّ القادر على إيجاد الكون، قادرٌ على هذه الأمور، فيكون السياق برهاناً على ما قبله وما بعده، على أن لا يكون ما قبله وما بعده شيئاً واحداً، بل هما شيئان مختلفان<sup>(١)</sup>، انتهى كلامه (قدس سره).

ومنها: اجتماع السياق اللفظي والسياق المعنوي، ليس فقط لحفظ النسق، بل لأعطاء فهم جديد، فأننا: (إذا قارنّا هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾<sup>(٢)</sup>، مع الآية التي بعدها ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾<sup>(٣)</sup>، أمكن أن نستفيد مدلولاتٍ آخر من الآية الأولى، فتكون الآية الثانية، بمنزلة القرينة المتّصلة على فهم الآية الأولى، فإنّنا تارةً لا نفهم المقابلة بين المعنيين (لباساً) و(معاشاً)، بل نقول: حصل هذا لمجرّد حفظ السياق القرآني، كما لعلّ هذا هو فهم المشهور.

إلا أنّ هذا ليس بتامّ، لأنّ الليل والنهار متقابلان، إذن فالسياقان متقابلان في

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٤٥٦ - ٤٥٨.

(٢) (سورة النّبأ ١٠).

(٣) (سورة النّبأ ١١).

الآيتين، إذ لو كان التقابل مجرد حفظ النسق القرآني (لباساً، معاشاً)، لأمكن استعمال ألفاظٍ أخرى، مع أنه ذكر هذين اللفظين بالخصوص، مع كثرة الألفاظ العربيّة، فيمكن له أن يأتي بأيّ لفظٍ آخر لحفظ النسق.

وعليه فيوجد لدينا سياقٌ لفظي وسياقٌ معنوي، وهما حفظ النسق وحفظ المقابلة، إذ لا ضرر من ذلك، فإن حفظ النسق لا ينافي المقابلة، وكلٌّ من الحكمتين مُرادة لله عزّ وجلّ<sup>(١)</sup>، وسنخرج ببيان جديد، مُستفاد من وحدة تقابل السياق، فتكون (الآية الثانية، قرينةٌ على الأولى، لفظاً ومعنى، وهما متقابلتان، فأَيّ تفسير نذكره للمعاش، يكون مقابلاً ومضاداً لقوله: ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: سيكون ترك المعاش هو اللباس، لأنَّ العمل إذا تُرك فكأنَّه قد غُطي واختفى، أي: جُعِل الليل لباساً للعمل، بمعنى: أنَّ الليل غطّى عمل النهار وأخفاه، ف(جعلنا الليل لباساً) أي: هروباً من العمل وتركاً له.

والمهمَّ أنَّ الليل يأتي بنتائج عديدة، مضادةٌ للنتائج التي يأتي بها النهار ومقابلة لها، وبذلك تكتسب آية ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، معاني مقابلة للمعاني الموجودة في الآية الأخرى ﴿النَّهَارَ مَعَاشًا﴾، فنوكلها إلى فطنة القارئ اللبيب<sup>(٢)</sup>. هذا ما اخترناه بشكل مُقتضب، وإلا فهناك العديد من التطبيقات المذكورة في الكتاب.

(١) السيد مُحمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٤٨٦.

(٢) المصدر السابق.



## الفصل الثالث

# الطرق والأساليب المبتكرة في التفسير



ألمعنا في المباحث السابقة، إلى المناهج والطرق القديمة في العملية التفسيرية، وكان للسيد الشهيد الصدر (قدس سره) لمحات تطبيقية، حين استعراضه لبيان ما يكتنز النص، من مباني وأوجه، إلا إننا في هذا الفصل، سنخالف المسار الذي تطبعنا عليه هناك (اعني الفصل الثاني)، باعتبار الملائمة بين الصورة الإجمالية للبحث، والألوان التي رُكّب منها.

وفي هذا الفصل هناك ثمة وقفة، يصاحبها شيء من التفصيل والاستعراض، لكون المباحث يقتضي السعة والشمولية، وأيضاً فالطرق التي سار عليها السيد الصدر (قدس سره)، تُعتبر من إبداعات فكره، وإن لم يكن له سبق النظر في التأسيس والتأصيل، فسابقه في هذا المسلك، الشيخ الطوسي في التبيان، والطبرسي في مجمع البيان وغيرهم، إلا أن تلك المحاولات، لا تتعدى تقديم أطروحة أو اثنين، أو ثلاث في بعض الأحيان، وقد لا تتعدى بضع آيات مُتشابهات، أما بالنسبة للسيد الشهيد (قدس سره)، فإنه غدّى تلك الرؤى، بأطروحات وأفكار أتسمت بالعمق والدقة، لِيُعبّد لنا طريقاً نحو الفكر المتين من الدلالات والألفاظ، في مواجهة النص القرآني، كانت بالحق أن تُعتبر مناهج حديثة ومبتكرة.

ومايلفت نظر الباحث، عند امعانه في المنهج العلمي للسيد الشهيد الصدر

(قدس سره)، أستعماله لأسلوب او طريقة الأطروحات، في تعاطيه للأفكار والرؤى المختلفة.

ولاهميته، كان لابدّ من تخصيص مساحة أكبر من البحث، لبيان هذا الأسلوب في تداولاته العلمية العامّة، والخاصة في استعماله على النصوص القرآنية، فإن كان من المُقدّر لك، ان تفتح كتاب منة المنان، وتتصفح أوراقه، فلا تكاد تجد من صحائفه، ما يخلو من استعمال الأطروحة، وان كانت في أحيان أخرى على شكل احتمالات او وجوه عدة، باختلاف المطلب طبعاً، كما سنقف ان شاء الله على علّة ذلك التعبير. على كل حال، فقد وددت استعراض ذلك الداعي، للتفصيل في مبحث الأطروحات، كونها الدعامة التي أرتكز عليها البناء العلمي والفني، لكتاب منّة المنان.

## المبحث الأول طريقة الأطروحات الأول: طريقة الأطروحات

أولاً: معنى الأطروحة

المعنى اللغوي والإصطلاحي للأطروحة

جاء في لسان العرب: (وَالطَّرْحُ بِالْتَحْرِيكِ الْبُعْدُ وَالْمَكَانُ الْبَعِيدُ)<sup>(١)</sup>، أما في تاج العروس فقال: (يَطْرَحُهُ طَرْحًا: رَمَاهُ وَأَبْعَدَهُ)<sup>(٢)</sup>، وأما في مُعْجَم الْعَيْنِ (طَرَحْتُ الشَّيْءَ فَأَنَا أَطْرَحُهُ طَرْحًا، وَالطَّرْحُ: الشَّيْءُ الْمَطْرُوحُ لَا حَاجَةَ لِأَحَدٍ فِيهِ)<sup>(٣)</sup>، وتشترك هذه المعاني، في الحكاية عن المبنى المادي لمدلول اللفظة، وجاء أيضاً في معاجم ومقاييس اللغة، بعض المعاني المعنوية لهذه اللفظة، فقد ذكر في أساس البلاغة: (ومن المجاز ما طرَحَ إلى هذه البلاد، وما طرَحَ هذا المطرَح، أي ما أوقعك فيما أنت فيه)<sup>(٤)</sup>، كما جاء أيضاً في مُخْتَارِ الصَّحَاحِ:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ج ٢، ص ٥٢٨.

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَاقِ الْمُرْتَضَى الزَّيْدِيُّ، تاج العروس، ج ١، ص ١٦٨١.

(٣) الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِي، معجم العين، ج ١، ص ٢٠٤.

(٤) مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَحْمَدَ، الزَّمْخَشَرِيُّ، أساس البلاغة، ص ٣٨٦.

(مطارحة الكلام...المطارحة القاء القوم المسائل بعضهم على بعض)<sup>(١)</sup>، من المباحثة وتبادل الأفكار والرؤى في مختلف المسائل، وقريب من هذا المعنى، ما ذكره أيضاً ابن منظور: (الأطروحة هي المسألة تطرحها)<sup>(٢)</sup>، وكذلك الحال في المعجم الوسيط: (طارحه الحديث ونحوه، حاوره وبادله، تطارحا الحديث، ونحوه تحاورا، وتناظرا...الأطروحة ما يُطرح، والمسألة تطرحها للنظر والبحث)<sup>(٣)</sup>.

وقريب من هذا المعنى، يمكن الاستفادة من معنى الأطروحة في الدراسات الأكاديمية، فانت تُقدّم مسألة للمناقشة والبحث، وتطرحها بعنوان رسالة للماجستير، او الدكتوراه ونحوه<sup>(٤)</sup>، لغرض النظر والمناقشة في مدى استيعابها لما طُرح لأجله، وعادة ما تكون مادة البحث، (هو قول مطروح لا يلتفت إليه)<sup>(٥)</sup>، وهذا ما نراه في تعريف آخر لابن منظور، حيث قال: (الطرح: الشيء المطروح، لا حاجة لاحد فيه)<sup>(٦)</sup>، فيكون معنى الأطروحة حينها: الفكرة التي تطرأ على الذهن، ممّا لم يلتفت إليه سابقاً، حيث تأتي باستدلالات وقرائن، لتحرير صدقها ونسبة أنطباقها.

(١) مُحمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٥٢٩.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٥٣.

(٤) احمد رضا، معجم متن اللغة، ط رح، ص ٥٩٤.

(٥) محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، اساس البلاغة، ص ٣٨٦.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٥٢٩.

## معنى الأطروحة في فكر السيد الشهيد

أعتمد السيد الشهيد الصدر (قدس سره) في قراءة النص القراني، على تبني أسلوب الأطروحات في الجعل العام لكتاب منّة المنان، حيث قال: (وأعتقد أن الأعم الأغلب من أساليب هذا الكتاب، هو ممّا اصطّلحنا عليه بالأطروحة، سواء سمّيناه فعلاً خلال حديثنا هنالك بالأطروحة أم لا، فإذا قلنا مثلاً: إنّ في جواب ذلك عدّة وجوه أو محتملات أو مناقشات، ففي الحقيقة يصلح كل وجه منها، أن يكون أطروحةً كافيةً في بيان الجواب)<sup>(١)</sup>، فلعل الألفاظ تختلف في محاوره الفكرة، إلا أنها تشترك في مفهوم واحد، قد أطلق عليه بالأطروحة.

وقد وضع (قدس سره) ثلاثة تعاريف للأطروحة، كان لكل منها مؤدّى:

**الأول:** (بأنّها فكرة مُحتملة، تُعرض عادة فيما يتعذر البت فيه من المطالب، ويحاول صاحبها أن يجمع حولها، أكبر مقدار مُمكن من القرائن والدلائل على صحتّها، لكي يرجح بالتدريج على أنّها الجواب الصحيح. وعلى هذا، لا يتعيّن أن تقع الأطروحة في مجال الجواب على السؤال، بل يمكن أن يُبيّن بها الفرد، أيّ شيء يخطر في البال.

ولكن لا ينبغي أن ندعي أن كل المحتملات، بالتالي تصلح أن تكون أطروحة بهذا المعنى، بل ما يصلح لها هو، ما يمكن للفرد تكثير القرائن على صحته، وتجميع الدلائل على رُجحانه، وإلا لم تكن أطروحة، بل احتمالاً،

(١) السيد الشهيد الصدر، منّة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣٧.

ومن الواضح جداً أنّه ليس كل المُحتملات على هذا المستوى<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** (إلا أنني عرفتُها ثانياً: بأنّها الإحتمال المسقط للإستدلال المضاد من باب القاعدة القائلة: إذا دخل الإحتمال بطل الإستدلال، من حيث أنّ الإستدلال لا بدّ وأن يكون قائماً على الجزم، ومنتجاً لليقين بالنتيجة. إذن، فأَيّ فكرة طعنت في ذلك، واستطاعت إزالة اليقين به، كافيّة في الجواب على السؤال، وإسقاط الإستدلال)<sup>(٢)</sup>.

أقول: يمكن لنا ان نضع إشارات، لتمييز التعريف الأول واستعمالاته، عن الثاني:

فقد رسم لنا السيد الشهيد (قدس سره) في تعريفه الأول، مجموعة من الصور لإسلوب الأطروحات، وبيّن الداعي الإستعمالي لهذا المسلك، في الأمور النظرية والعقائدية، وغيرها (مما يحتاج إلى قرائن ودلائل، تؤكد صحة ماهو مُحتمل)<sup>(٣)</sup>، والصورة الأخرى انها فكرة مُحتملة - وسياتي الفرق بين الإحتمال والإطروحة - تبرق على الذهن، كحلول لأستفهامات مُختلفة، تكون ذا اثر ناجع، إذا التصقت بالقرينة، فتولّد لنا من هذا الإحتمال أطروحة، تجد طريقاً للجواب عن تلك الفكرة.

اما البيان الثاني لتعريف الأطروحة، التي حصر السيد الشهيد (قدس سره) أستعمالاتها في الجواب عن الأسئلة، وليس كل ما يُثار في الذهن، أضف لذلك،

---

(١) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) علي جاسم الخزاعي، قراءة النص القراني عند السيد الشهيد مُحَمَّد الصدر، ص ٢٨.

فقد عبّر (قدس سره) عن الأطروحة هنا، بالإحتمال المُسقط للإستدلال المُضاد، أي الإحتمال المحفوف بالقرائن المُختلفة، ليرتقي إلى مستوى أسقاط الأستدلال المُضاد، الذي كان من إعتبارات الإحتمال قبل عدمه، فقد اشترط فيه - أعني الإستدلال المُضاد - ان يكون موجداً لليقين، الذي يخرمه الإحتمال المُنتج، فيكون حينها مُسقطاً للإستدلال<sup>(١)</sup>.

**الثالث:** حيث أستطاع السيد الشهيد (قدس سره)، ان يولّد معنى آخر، عندما زواج بين التعريفين، لِيُنْجِبَ لنا تعريفاً ثالثاً، كان هو الأدق والأعمق في حكايته، عند التعامل مع النص القراني، فقال: (وإنّما تقتصر هنا على الإشارة، إلى إمكان الجمع بين هذين التعريفين، من حيث أنّ الإحتمال مهما كانت صفته وقيّمته، يكون مُسقطاً للإستدلال لا محالة، ما دام مُرتبطاً بموضوع السؤال، كما هو منطوق التعريف الثاني، إلا أن هذا لا يعني تحول معنى الأطروحة إلى مجرد الإحتمال، بل تبقى الأطروحة هو ذلك الإحتمال المُحترم، الذي يمكن أن نجمع حوله، أقصى مقدار مُتيسر من الدلائل والإثباتات، وبذلك يكون أشدّ إسقاطاً للإستدلال بطبيعة الحال)<sup>(٢)</sup>.

إذن لتكون الأطروحة أشدّ أستدلالاً (حسب تعبيره) فهي تمر بمرحلتين، الأولى منها، ان تُعدّ إحتمالاً مُحترماً، والمرحلة الثانية ينضج هذا الإحتمال بعدما يُحاط بالدلائل والأثباتات.

(١) سيأتي بيان طريقة الإحتمالات في المبحث السابع من الفصل الثالث، ان شاء الله تعالى.

(٢) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣٨.

## ثانياً: مُقَوِّمات الأطروحة

### الأول: الإحتمال

سيأتي في المباحث القادمة ان شاء الله تعالى، التعرض لاسلوب الإحتمالات، الذي استعمله السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، في إعطاء مفاهيم دلالية، حول بيان بعض الأوجه المُحتملة للنص القراني، ونتطرق لمفهوم الإحتمال كما قرّره السيد الشهيد مُحمّد باقر الصدر (قدس سره) في كتابه (الأسس المنطقية للاستقراء) بعد بيان مقدّماته، حينما بيّن ان لكل علم معلوم، وهذا المعلوم اما ان يكون مُشخّصاً، فيُسمّى حينها بالعلم التفصيلي، اما ان يكون غامضاً وغير بيّن، اي يكون مُردّداً بين مجموعة أشياء تعتد من طرفين فاكثر، فيكون إجمالياً، حيث قال: (ان الإحتمال يقوم دائماً على اساس علم إجمالي، والقيمة الإحتمالية - لاية قضية - تُحدّدها نسبة عدد الأعضاء، التي تستلزم تلك القضية، من مجموعة أطراف العلم الإجمالي، إلى عددها الكلي)<sup>(١)</sup>. فالإحتمال (إذن علم إجمالي، يتردّد معلومه بين مجموعة أطراف، يُحتمل ان يكون كل واحد من هذه الأطراف، هو المُمثّل الحقيقي لمعلوم العلم الإجمالي)<sup>(٢)</sup>، وهذا المعنى قد بيّنه السيد الشهيد (قدس سره) وارتضاه، بعدما قرّره في كتابه بقوله: (وقد أتخذت في جواب الأسئلة، أسلوب الأطروحات، على ما سوف أقول في معناه، الأمر الذي أستوجب في الأعم الأغلب، انني لم

(١) السيد الشهيد مُحمّد باقر الصدر، الاسس المنطقية للاستقراء، ص ٢٢٣.

(٢) علي جاسم الخزاعي، قراءة النص القراني عند السيد الشهيد مُحمّد الصدر، ص ٣١.

أعطِ الرأي القطعي أو المُختار، بل يبقى الأمر قيد التفلسف في الأطروحات. والمفروض إن أياً منها كان صحيحاً، كان جواباً كافياً عن السؤال<sup>(١)</sup>.

## الثاني: القرائن

طبعاً لا يمكن ان يستقيم اي إستدلال بدون قرينة، وإلا كان أدعاءً أجوفاً، لا يتلائم والفكر العقلاني، وقد أستخدم السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، مجموعة من القرائن المُختلفة، في إبراز البعض من وجوه الإحتمالات المترجمة للنصوص القرآنية، أتخذت أشكالاً مُختلفة، وتحت أقسام متنوعة، حيث ناقش منها، ما يستلزم الإستدراك والأشتباه على الدليلية، وافضى إلى قبول ما ينطبق، على ما وقع تحت جنسها، فمن غير المُمكن الإستشهاد على النصوص، التي تنساق تحت الفهم العرفي، بقرائن فلسفية، او المُحتمل الذي يحتاج إلى دليل روائي، بقرينة شعرية، وهكذا.

إذن فلا بدّ من عرض البعض من هذه المُحتملات، التي رافقت القرائن المُنساقة تحت موضوعها، لتتعرف على آليات تجذير هذه الإحتمالات، للحصول على ثمار الأطروحة المُحاكية للنص، ونذكر منها:

القرينة القرآنية: حيث استعمل السيد الشهيد (قدس سره) هذه القرينة، في بيان المراد من (العشير)، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾<sup>(٢)</sup>، بعدما ذكر ما أفاده

(١) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣٨.

(٢) (سورة التكوير ٤).

الراغب مناقشاً إياه، فقال: (أقول: أمّا أن نقول بأنّ مجموع العشيرة عشرة، فسُمّيت عشيرةً، أو أن نقول: إنّ العشيرة هو العدد الكامل، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، فكأنّما الإنسان حينما تُحيط به عشيرته وأقربائه، يكون كاملاً. وعشر بمعنى: عاشرته، أي: صرت له كالعشيرة. قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٢)</sup>، وبمعنى العشير، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَبَسَ الْعَشِيرُ﴾<sup>(٣)</sup> (٤).

القرينة الروائية: حيث استعمل السيد الشهيد (قدس سره) هذه القرينة، حينما حاول التعامل مع (فاعل) حسابهم، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، فذكر مجموعة من الأطروحات والوجوه المحتملة في ذلك، فكان الوجه الرابع منها: (إنّ المعصومين (عليهم السلام) هم الذين يحاسبون الخلق. ولعلّ هذا الوجه أقرب، فالملائكة ليس عملهم الحساب، مع أنّه ورد ما يدلّ على أنّ المعصومين (عليه السلام)، هم الذين يتولّون حساب الخلق. منها: ما ورد عن النبي (صلى الله عليه واله) أنّه قال: (وسمّاني في القيامة حاشراً، يُحشر الناس على قدمي، وسمّاني الموقف، أوقف الناس بين يدي الله عزّ وجلّ، وسمّاني العاقب)<sup>(٦)</sup>، ونحوها ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنا

(١) (سورة البقرة ١٩٦).

(٢) (سورة النساء ١٩).

(٣) (سورة الحج ١٣).

(٤) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ١٨.

(٥) (سورة الغاشية ٢٦).

(٦) علي بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ١٢٨، باب العلة التي من

اجلها سمي النبي (صلى الله عليه واله) محمداً واحمداً واما القاسم، الحديث ٣.

(قسيم الله بين الجنة والنار<sup>(١)</sup>)<sup>(٢)</sup>.

القرينة المشهورة: حيث استعمل السيد الشهيد (قدس سره) هذه القرينة، في محاولته لإعطاء مفهوم حول معنى (الوحوش)، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾<sup>(٣)</sup>، فقال: (فنقول: إنّ الوحوش هي الحيوانات غير الأليفة للبشر، ويعبر عنها في الفقه بالنافر بطبعه، وهو مأخوذ من الوحشة، أي: الرهبة والتخوّف، وهذا هو التفسير المشهور لهذه اللفظة. إلا أنّه قد يُقال بأنّه أوسع ممّا هو المفهوم عرفاً، لأنّه يشمل الطيور، إذ الطيور في الجملة نافرة بطبعها، إلا أنّه لا يُقال لها وحوش. ومن هنا قد يقيد معنى الوحوش بأحد قيدين، فهو ليس النافر بطبعه فقط، بل هناك قيدان:

أحدهما: أن يكون أرضيّاً، فيخرج الطائر.

وثانيهما: أن يكون آكلاً للحوم

وعليه فإنّما أن نقيده بأحد القيدين، أو بكلا القيدين، وكلّما قيّدناه أكثر قلّ عدده، وضاق دائرته. وإذا قيّدناه بكلا القيدين، كان عبارة عن النافر بطبعه، وكان أرضيّاً غير طائر وآكلاً للحوم، فيكون ما يعرف بالسبع بمعنى من المعاني<sup>(٤)</sup>.

القرينة الفلسفية: ساق (قدس سره)، مجموعة من الأطروحات في تحديد

(١) مُحمّد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٩٦، باب ان الائمة هم اركان الارض، الحديث ١.

(٢) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٦٨.

(٣) (سورة التكوير ٥).

(٤) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٢٢.

معنى لمفهوم (العرش)، حيث ذكر السيد الطباطبائي (قدس سره)، مجموعة من الأقوال، لبعض المدارس الفلسفية، فقام السيد الشهيد (قدس سره)، بمناقشتها وإبطالها، مُستنداً في ذلك إلى القواعد الفلسفية، فقالوا: (حمل الكلمة على ظاهر معناها، فالعرش عندهم مخلوقٌ كهَيئة السرير، له قوائمٌ، وهو موضوعٌ على السماء السابعة، والله (تعالى عمّا يقول الظالمون)، مستوٍ عليه، كاستواء الملوك منّا على عروشهم. وأكثر هؤلاء على أنّ العرش

والكرسي شيءٌ واحدٌ، وهو الذي وصفناه. وهؤلاء هم المُشَبَّهة من المسلمين، والكتاب والسنة والعقل يخاصمهم في ذلك، وتنزه ربّ العالمين أن يماثل شيئاً من خلقه ويشبهه، في ذاتٍ أو صفةٍ أو فعلٍ (تعالى وتقدّس).

أقول: وقد يُقال: إنّ الله لا يشبهه شيءٌ في الذات، إلا أنّه قد يماثل بلحاظ الصفة والفعل، فيقال: زيدٌ قادرٌ والله قادرٌ، وخالدٌ عالمٌ والله عالمٌ، والاختلاف بين الله وخلقهِ في النسبة والسعة، بل قد يُقال: إنّ للحيوان وللکافر علماً وقدرةً أيضاً وتديراً، كما أنّ لله القدرة والتدبير، والله خالقٌ، والمسيح عيسى بن مريم كان يخلق من الطين كهَيئة الطير.

والحقّ: أنّ ما ذكر وإن كان صحيحاً بنظر العرف، إلا أنّه بلحاظ التجريد العقلي، هناك تباينٌ وتغيّرٌ ملحوظ، بين صفة الخالق وفعله، وصفات المخلوقين وأفعالهم، وإن اشتركا في العنوان الإنتراعي، بل لا سنخية في المقام، وهناك تباين بين الفاعل المؤثّر والخالق المدبّر، وبين خلقه، في ذاتٍ أو فعلٍ أو صفةٍ<sup>(١)</sup>.

القرينة المنطقية: حيث استعمل السيد الشهيد (قدس سره) هذه القرينة، حينما حاول التعامل مع الأطروحة التي ذكرها للراغب الاصفهاني، في بيانه لمفهوم (الكيد) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾<sup>(١)</sup>، وابطلها باستدلال منطقي، حيث: (أنه قال: الكيد ضربٌ من الإحتيال. وهو واضحٌ لو فهمناه من الناحية المنطقية، فإن بين الكيد والإحتيال عمومًا مطلقًا، فكلّ كيدٍ إحتياليّ، وليس كلّ إحتيالٍ كيدًا. إذن هناك إحتيالٌ لا يسمّى كيدًا، وهذا المعنى لم يوضحه الراغب)<sup>(٢)</sup>.

القرينة العرفية: حيث ذكر السيد الشهيد (قدس سره) هذه القرينة، حينما أستعمل في الإجابة على سؤال طرحه (ما هو شر ما خلق)، في قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾<sup>(٣)</sup> عدة أطروحات، لتقريب الجواب إلى ذهن القارئ، كان الثالث منها: (الفعل الإختياري، ولعله الأقرب إلى المعنى العرفي).

فإن الفعل الإختياري منسوب إلى فاعله، كما حَقَّق في محله، فتكون الإضافة في قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ إضافة منشائية، وما خلق أعم من كل فاعل مختار على هذا الوجه، فهو يشمل كلاً من الجن والملائكة وغيرهم. وأما الله سبحانه وتعالى، فلا يختار لنا إلا الخير، سواء قلنا بان الشر موجود أو غير موجود، أما إذا نفينا وجوده فواضح، وأما إذا أثبتناه فلأن الرحمة سابقة، فالقدر

(١) (سورة الطارق ١٥ - ١٦).

(٢) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٢١٢.

(٣) (سورة الفلق ٢).

الإلهي لكل فرد، إنّما هو في صالحه محضاً، كما قال الفلاسفة: ليس في الإمكان خير ممّا كان، وهو يشمل الكل والبعض من الأفراد، وإن لم ندرك ذلك<sup>(١)</sup>.

القرينة الشعرية: حيث استعمل السيد الشهيد (قدس سره) هذه القرينة، عندما تطرّق إلى مادة (يسر) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾<sup>(٢)</sup>، فذكر في ذلك أطروحات مُتعدّدة، فاستشهد بالأولى منها بالأبيات الشعرية، لأنها كانت هي (الظاهرة والأقرب إلى اللغة، أي من: سرى يسري، ونقلنا المعنى عن الراغب آنفاً، قال: السرى سير الليل، وهذا موجوّد في الأدب، نحو قول الشاعر:

سرى يخبط الظلماء والليل عاكفٌ غزاًلٌ بأوقات الزيارة عارفٌ<sup>(٣)</sup> (٤)

القرينة النحوية: كان للقرينة النحوية، دور هام في بيان النصوص القرآنية، حيث اعتمدها السيد الشهيد (قدس سره) بشكل واسع في كتابه، ولنذكر ما قام به من مناقشة مع ابن مالك، في بيان (ثمّ)، التي وردت في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، مُبيناً بالقرينة النحوية، الوجوه المُحتملة في فهمها، حيث قال: (وعلى ما تقدّم، يرد إشكالٌ حاصله: أنّه لِمَ استعمل حرف العطف (ثمّ)؟. مع أنّ (ثمّ) - كما يدّعي ابن مالك في النحو - غرضها الترتيب

(١) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٧٦.

(٢) (سورة الفجر ٤).

(٣) الراغب الاصفهاني، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ١، ص ٨١٩.

(٤) السيد الشهيد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ٢٣٦.

(٥) (سورة النبأ ٤ - ٥).

والانفصال<sup>(١)</sup>، ومضمون الآيتين واحدٌ، ولا ترتيب بينهما، كما لا انفصال بينهما، فلماذا عطف بـ(ثمَّ)؟.

والذي يمكن أن يُقال في الجواب عنه، وجوه:

**الوجه الأول:** التسليم بوجود الترتيب والانفصال؛ لأنَّ (يعلمون) تكرّرت مرّتين، أي: إنَّهم سيعلمون شيئاً، ثمَّ يعلمون شيئاً آخر غير الأول، ويكون العطف بـ(ثمَّ)، قرينةً على ذلك، وإن كانت هذه الأطروحة غير ملحوظة في كلام المشهور إطلاقاً، بل هي أطروحةٌ جديدةٌ نسيّاً، بمعنى أنَّهم سيعلمون بعد الجهل، ثمَّ يعلمون شيئاً آخر أهمَّ منه، فيكون علمهم السابق بالنسبة إليه كالجهل، لأنَّهم سيعلمون أمراً عظيماً جدّاً غير معلومهم الأوّل.

**الوجه الثاني:** أن تكون (ثمَّ) زائدة، لا معنى لها أصلاً، وإنَّما سيقّت لحفظ السياق اللفظي الأدبي، وهذا من معانيها لغةً، حيث قالوا: إنَّها ترد زائدةً، واستشهدوا على ذلك بالبيت القائل:

أراني إذا أصبحت أصبحت ذا هوى      فثمَّ إذا أمسيت أمسيت عاديّاً<sup>(٢)</sup>  
فأصل الشطر الثاني هكذا: (فإذا أمسيت أمسيت عاديّاً)، و(ثمَّ) لا معنى لها أصلاً في الكلام، وإلا كان من باب دخول حرف عطفٍ، على حرف عطفٍ آخر، وهو غلط نحويّاً، فـ(ثمَّ) زائدة، ويكون المراد من الآية، التكرار المفيد للتأكيد، وكأنَّ هذا الحرف لم يكن.

(١) انظر: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ج ٢، ص ٢٢٧، عطف النسق.

(٢) عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، ج ٨، ص ٤٩٧.

وقد يُلاحظ: أنَّ الزيادة بهذا المعنى في القرآن وجيهة، فيُقال: إنَّه قد يُلاحظ في القرآن ما لا معنى له.

وقد يُقال: إنَّ ما هو محالٌّ، هو ذكر شيء في القرآن، بلا مصلحةٍ وغايةٍ، فلو كان هناك شيءٌ لا معنى له، إلا أنَّه توجد في ذكره مصلحةٌ وغايةٌ، فذكره في القرآن لا محذور فيه، والمصلحة هنا هي حفظ السياق الأدبي، إذ لو وضع بدلها حرفٌ آخر كالفاء أو الواو أو الكاف لفسد السياق، كما هو واضح.

**الوجه الثالث:** الطعن بالقاعدة التي ذكرها ابن مالك في النحو<sup>(١)</sup> أي: منع الكبرى النحويّة، فنقول: إنَّ (ثُمَّ) لا تأتي دائماً للترتيب الإنفصالي، وإن كان هذا هو الغالب في استعمالها، إلا أنَّها قد لا تكون كذلك في بعض الموارد، كما يُستشهد لذلك بقول الشاعر:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبَوَهُ      ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ<sup>(٢)</sup>  
فإن المراد هنا الماضي لا المستقبل، مع أنَّ (ثُمَّ) تُستعمل في المستقبل، وذوق العربي يعطي لنفسه الحرّيّة، في أن يستعمل الحروف كيف يشاء، في ما يستحسنه من المعاني، دون ملاحظة القواعد النحويّة، التي وُضعت فيما بعد، أي: بعد مائتي سنة من الجاهليّة وصدر الإسلام. والذوق العربي آنذاك لم يكن يتبع القواعد الموضوعيّة، بل يتبع ذوقه الشخصي، أو الذوق الاجتماعي العامّ لو صحَّ التعبير، فإذا انتفت هذه الخصوصيّة والقاعدة، وأصبحت (ثُمَّ) كسائر

(١) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ج ٢، ص ٢٢٧، عطف النسق.

(٢) رضي الدين الاسترآبادي، شرح الرضي على الكافية، ج ٤، ص ٤٩٠.

الحروف، فلا تفيد إلا العطف، وهو يناسب التأكيد<sup>(١)</sup>.

القرينة الأصولية: عندما ناقش الراغب الاصفهاني في معنى (الشفق)، حينما وصل إلى تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾<sup>(٢)</sup>، فذكر في ذلك أطروحات متعدّدة، كانت الأطروحة الأولى، تستند إلى قرينة أصولية، فقال في: (الأطروحة الأولى: أنّه لا جامع بينهما، بل هما متباينان، وكلّ منهما موضوعٌ بوضعٍ مستقلٍّ عن وضع الآخر، فوضع الشفق بمعنى الحمرة، والشفقة لمعنى الشفق، الذي هو بمعنى المحبّة، فيكون من المشترك اللفظي، وهذا هو الأرجح ظناً، والأكثر منطقيةً في اللغة.

إلا أنّ مشهور الأصوليين وغيرهم، يميلون نفسياً إلى أنّ الاشتراك اللفظي خلاف الأصل<sup>(٣)</sup>، فهم يتنفّرون من أن يقولوا بأنّ هذا مشتركٌ لفظي، فلا بدّ من التخلص منه مهما أمكن. إذن فالذهاب إلى المشترك اللفظي فيه محذورٌ عندهم، أو نتيجةٌ باطلةٌ، وكلّ شيءٍ يؤدّي إلى الاشتراك اللفظي فهو باطلٌ، إلا مع الضرورة القصوى. ويؤيّد الاشتراك اللفظي أنّ الشفق بمعنى الحمرة غير مشتقٍّ، بخلاف المعنى الآخر الذي هو الشفقة؛ فإنّه مشتقٌّ، أي: أشفق يشفق اشفق، فهذا كلّ موجودٌ، ولا يُقال: شافق؛ لأنّه مزيدٌ أو رباعي (مشفق)<sup>(٤)</sup>.

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

(٢) (سورة الأنشاق ١٦).

(٣) الميرزا أبو القاسم القمّي، قوانين الاصول، ج ١، ص ١٣٨، الباب الاول، المقصد الثاني.

(٤) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٤، ص ١٤٤.

### ثالثاً: مُميزات أسلوب الأطروحات

هناك مجموعة من الاسباب، التي اختصّ بها أسلوب الأطروحات، يكمن فيها الدور المهم، التي تمارسه الأطروحة في تطبيقاتها على الخطابات القرآنية، واقتضاباً سنذكر ثلاثة أمور، مع التعرف عليها بشيء من الإجمال، وفي خاتمتها يُستبان أهمية هذه الطريقة.

### الأول: الأبتعاد عن التفسير بالرأي

قد يخطر ذهن القارئ، من خلال متابعاته للمناهج التفسيرية، عن سبب عدم وضع هذا المبحث (أي التفسير بالرأي) في درج المناهج، ولماذا لا لا يُبحث مع تلك المناهج؟.

وجوابه بيّن واضح، ان ذلك سيكون إنحدار من اللامنهج إلى المنهج، فلا يوجد احد يصف أسلوب التفسير بالرأي، على انه منهجاً قائماً بذاته، بل حينما يُبحث مسلك التفسير العقلي، يقع في عرضه مبحث التفسير بالرأي، فكان يؤخذ على اساس ذلك. ومسايرة للمشهور، لابد ان نتعرف بشيء من الإجمال على هذا المسلك في التفسير، ويقع ذلك في عدّة أمور:

### الأمر الأول: ما المقصود من التفسير بالرأي

قد بيّن السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، معنى التفسير بالرأي، حينما استعرض الغاية من استخدام منهج الاطروحات، فقال: (إننا - بهذه الطريقة - لا نكون ممّن فسّر القرآن برأيه لكي نهلك، وإنّما يكون ذلك لمن بتّ بالأمر وجزم

باحد الوجوه<sup>(١)</sup>، وقد عرّف السيد الطباطبائي (قدس سره) هذا الأسلوب: (والحاصل ان المنهي عنه إنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن، واعتماد المُفسّر على نفسه، من غير رجوع إلى غيره، ولازمه وجوب الإستمداد من الغير بالرجوع إليه)<sup>(٢)</sup>، اما السيد الخوئي (قدس سره)، فقال: (ويحتمل أن معنى التفسير بالرأي الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمة (عليهم السلام)، مع أنهم قرناء الكتاب، في وجوب التمسك ولزوم الإنهاء إليهم، فإذا عمل الإنسان بالعموم أو الإطلاق الوارد في الكتاب، ولم يأخذ التخصيص أو التقييد الوارد عن الأئمة (عليهم السلام) ان هذا من التفسير بالرأي، وعلى الجملة حمل اللفظ علي ظاهره، بعد الفحص عن القرائن المتصلة والمنفصلة من الكتاب والسنة، أو الدليل العقلي، لا يعد من التفسير بالرأي)<sup>(٣)</sup>. طبعاً ويشترك هذين البيانين للتفسير بالرأي، بوجوب الرجوع إلى القرآن، في الاستفاد من آياته التي تبين بعضها بعضاً، كما هو عليه البيان الأول عند السيد الطباطبائي، اما البيان الثاني للسيد الخوئي، فقد اعتبر الإعراض عن الروايات التي تُبين مُجمل الآيات، هو من التفسير بالرأي المنهي عنه.

اذن معنى التفسير بالرأي: هو ان يعمل المُفسّر عقله في فهم النصوص القرآنية بالقطع والجزم، دون استخدام الوسائل الأخرى، كالرجوع إلى القرآن واحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، وغيرها من مناهج التفسير المُعتبرة.

(١) السيد الشهيد الصدر، منه المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣٧.

(٢) السيد مُحَمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٧٧.

(٣) السيد ابو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

## الأمر الثاني: النشأة التاريخية لهذا المسلك

كان بعض الصحابة يسلك هذا الأسلوب، في بيان النصوص القرآنية، وقد خاطبهم الباري ﷻ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وفي آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك من الآيات القرآنية، الدالة على النهي عنه<sup>(٣)</sup>.

وقد ذمّ النبي (صلى الله عليه واله) هذه الطريقة في التفسير، في العديد من المواطن<sup>(٤)</sup>، كما جاء في قوله (صلى الله عليه واله): (من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)<sup>(٥)</sup>، وقوله (صلى الله عليه واله): (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)<sup>(٦)</sup>.

واستمرت هذه الطريقة في التفسير، بعد استشهاد الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله)، حيث تصدّى أهل البيت (عليهم السلام)، لبيان فساد هذا النمط الفكري، في الكثير من الأحاديث الشريفة.

ففي عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق، عن ابن المتوكل (مُحمّد

---

(١) (سورة الأعراف ٣٣).

(٢) (سورة الإسراء ٣٦).

(٣) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير بي راي، ص ٤٩ - ٥٢.

(٤) مُحمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، امالي الصدوق، ص ٦.

(٥) عبد اللطيف الكازراني، مرآة الانوار ومشكاة الاسرار، ص ١٦.

(٦) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٧٥.

بن موسى بن المتوكل) عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن الصلت، عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله): (قال الله جل جلاله: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي)<sup>(١)</sup>، كما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): (من فسر برأيه آية من كتاب الله، فقد كفر)، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة<sup>(٢)</sup>، وقد كان الخطاب موجهاً إلى البعض من الأفراد، الذين فتحوا لهم مدارساً توازي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)<sup>(٣)</sup>.

وقد قسّم الشيخ (معرفة) الأحاديث التي وردت التفسير بالرأي إلى قسمين، هما:

أ - (أن يعمد قوم إلى آية قرآنية، فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من رأي، أو عقيدة أو مذهب أو مسلك، تبريراً لما اختاروا في هذا السبيل، ولم يقصد تفسير القرآن، وهذا هو المراد بقوله (صلى الله عليه واله): (فقد خر بوجهه أبعد من السماء، أو فليتبوأ مقعده من النار).

ب - (الإستبداد بالرأي في تفسير القرآن، مُجانباً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام، ولا سيما كلامه تعالى، فإن للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل وطرقاً، منها: مراجعة كلام السلف، الوقوف على الآثار الواردة حول

(١) جعفر مُحمّد بن علي ابن بابويه القمي، عيون اخبار الرضا، ج ١، ص ١١٦.

(٢) مُحمّد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٢٠٢ - ٢٢٠. قد ذُكرت هناك.

(٣) المصدر السابق، باب ١٣ من ابواب صفات القاضي.

الآيات، وملاحظة أسباب النزول، إلى غير ذلك من الشرائط، التي يجب توفرها في المُفسّر، فالغفلة عن هذه الأمور، والإعتماد على الفهم الخاص، مخالف لطريقة السلف والخلف في التفسير، ومن استبد برأيه هلك، ومن قال على الله بغير علم فقد ضل سواء السبيل، ولهذا فإنه قد أخطأ وان أصاب الواقع، لأنّه أخطأ الطريق<sup>(١)</sup>، انتهى كلامه.

ثم انتشر هذا الأسلوب في العصور اللاحقة، واستخدمه البعض منهم منهجاً تفسيرياً، فقد اتُّهم بعض الكتّاب، الفخر الرازي (صاحب التفسير الكبير) واخوان الصفا، وبعض الصوفية، وأحياناً الاشاعرة والمعتزلة، باستخدام التفسير بالرأي، لتأويلهم آيات القرآن طبقاً لعقائدهم<sup>(٢)</sup>. ونرى الآن الكثير من كتابات المستشرقين، وممن يحاول العبث بالتراث الإسلامي من اعداءه، قد سلكوه سبيلاً، في محاولة للطعن بالنص القرآني، واخفاء محاولاتهم الإلحادية، تحت هذا الستار<sup>(٣)</sup>.

### الأمر الثالث: معايير وضوابط التفسير بالرأي

لعلك تسأل: كيف يمكن إصدار الحكم على المُفسّر، باتباعه هذا الأسلوب، في بيان النصوص القرآنية؟.

---

(١) إية الله معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) انظر: الدكتور مُحمّد زغلول، التفسير بالرأي، ص ١٧٧.

(٣) مرتضى مطهري، مجموعة اثار، ج ١، ص ٤٦.

قلنا: إذا انطبقت عليه مجموعة معايير، تدخله تحت خيمة هذا المسلك، نذكر منها:

**الأول:** (تحميل الآيات المباركة، للأراء والمعتقدات الشخصية)، فعلى المُفسّر ان يسعى جاهداً، لبيان مراد الآية حسب ظاهرها، وما يوافقها من آيات شارحة ومُبيّنة، وكذلك الأخذ بروايات المعصومين (عليهم السلام)، إلا ان الغالب على هذا النمط، ان يقوم المُفسّر، بتبني مُعتقد ما، عقائدياً او إجتماعياً او علمياً او سياسياً وغير ذلك، ويستدرج النصوص القرآنية، ليجعل منها مؤيدات وشواهد على ما يعتقد او ينتمي، من غير وجود مناسبة ما بينهما، فيطاول الآية ببيان شخصي، ورأي مُنفرد، طبعاً ولدينا الكثير من هذه المحاولات، التي سلكتها المدارس العلمية في التفسير، وكذلك المدارس الإعتقادية الأخرى، سواءً على الصعيد الديني او السياسي او الإجتماعي.

وقد كتب الأستاذ عميد الزنجاني، في تناوله لموارد التفسير بالرأي<sup>(١)</sup>، العديد من النماذج التفسيرية عند الفخر الرازي<sup>(٢)</sup> واخوان الصفا<sup>(٣)</sup> والصوفية<sup>(٤)</sup> وغيرهم.

**الثاني:** (عدم الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية)، حيث يعتمد المُفسّر على التوحيد برأيه، دون الرجوع إلى الآيات القرآنية الأخرى، التي تُحدّد

---

(١) عميد الزنجاني، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٣٤.

(٢) فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج ١، ص ٤٣.

(٣) علي اصغر حلبي، رسائل اخوان الصفا، ص ٧٨.

(٤) مُحمّد بن جرير الطبري، حاشية تفسير الطبري، ج ٩، ص ٢٤ - ٢٥.

المُقيّدات والمُخصّصات، والأحاديث والروايات المُعتبرة لأهل البيت (عليهم السلام)، فيذهب المُفسّر إلى ركن النظر الشخصي، دون تقييده بالإحتمالات المنظورة، فيعمل بالظهور الابتدائي أو تأويلها، بحسب النكات الإشارية غير المُعتبرة، الخالية من القرائن العقلية والنقلية الأخرى، فيُفسر الآية برأيه الشخصي، دون الالتفات إلى تلك القرائن والمحدّدات، فيقطع بالمعنى المراد منها.

**ان قلت:** إذا استعمل المُفسّر تلك المناهج المُعتبرة في التفسير، كـ(القران بالقران، والموضوعي، والروايات، وغيرها)، ولم يُحكّم عقله ورأيه، فما الفائدة من التفاسير المُختلفة؟.

**قلنا:** يمكن ان يُجاب عليه بعدّة وجوه:

**الوجه الأول:** ان إعمال الجانب العقلي للمُفسّر، من أهم شروط التفسير، بل وفي مقدّماتها، لكن بِمُحيّدات ومُقيّدات معينة، منها ذكرناها سابقاً<sup>(١)</sup>، فليس مهمة المُفسّر - طبعاً غير المعصوم - تحرير المراد القطعي للآيات القرآنية (لان ذلك يتنافى - في كثير من الاحيان - مع طبيعة القران والموضوعات المطروحة فيه، التي تحتل في تفسيرها أكثر من وجه ومعنى ودلالة)<sup>(٢)</sup>.

**الوجه الثاني:** ان نمو العقل البشري المُستمر، يساعد على توسيع مدرّكاته، وبالتالي سيُحصّل القدرة على الزيادة في التفلسف، بطرح العديد من

---

(١) الصفحة السابقة (معايير وضوابط التفسير بالرأي).

(٢) عبد السلام زين العابدين، منهج الأطروحة في تفسير منة المنان، ص ٢٥.

الإحتمالات المشروعة لفهم النص القرآني، وبطبيعة الحال يختلف هذا من إنسان لآخر، تبعاً للتغيرات الظرفية والمكانية.

**الوجه الثالث:** العقل الفعّال يرفض قداسة التفكير البشري المُطلق، ويتبنى الأفكار النسبية، فكل فكرة قائمة على إحتمال الصدق وعدمه، وبذلك لا يمكن للفكر الإنساني السليم، ان يسجن نفسه في قضبان قداسة عقول الآخرين، بل عليه ان يتحرّر بالنسبية، ومناقشة تلك الرؤى في فهم النصوص، وفق المعايير المعهودة.

**الوجه الرابع:** ممارسة النقد حيال الموروث التفسيري، الذي ساهم في انتاجه العديد من العقول الفعّالة، والتي تستحق كل التقدير والإجلال، لكنها قد تُخطئ وتصيب، كما قال السيد الشهيد الصدر (قدس سره): (فلا ضرورة دائماً إلى البت بالامر، كانك تلقي محاضرة في أمور قطعية او رياضية، غير قابلة للنقاش).

**الوجه الخامس:** هناك العديد من الأشكال التفسيرية، التي تتخذ فروعاً مُختلفة، مثل المذاهب التفسيرية في اتجاهاتها المُتعدّدة، كالتفسير التي تتبنى منهجاً عقائدياً، مثل: الإمامية الأثنى عشرية، والاسماعيلية، والحنفية، والمالكية، والصوفية وغيرها، وهناك مدارس تفسيرية كلامية، كتفسير المعتزلة والأشاعرة، وهناك الوان تفسيرية، مثل: التفسير الأدبي والفلسفي والفقهية والإجتماعي والأخلاقي والتاريخي والعلمي وغير ذلك، وهناك أيضاً إتجاهات عصرية في التفسير، كالتفسير المعنوي والجهادي والتقريبي والسياسي.

وهذه هي النكته، في إحتياج الإنسان إلى أستعمال كل الوسائل المُتاحة،  
ليتمكّن من الغوص إلى باطن النص القراني، باحثاً عن تلك اللالي التي لا  
تنضب، لذلك ف(إنّنا بهذه الطريقة، لا نكون ممّن فسّر القرآن برأيه لكي نهلك،  
وإنّما يكون ذلك لمن بتّ بالأمر وجزم بأحد الوجوه، وأما إذا عُرض الأمر في  
عدّة أطروحات ومحتملات، فقد أبرأ ذمته من الجواب، وأرشد القارئ إلى  
الصواب، بدون أن يكون قد تورط في المضاعفات)<sup>(١)</sup>.

---

(١) السيد الشهيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣٧.

## الثاني: قاعدة الجري والإنطباق في القرآن الكريم

ان القرآن الكريم هو المعجز الخالد، الذي لا ينضب معينه، ولا تفنى خزائنه، ولا تبلغ أسرارته، ولا يختصّ بزمان معين، بل صالح للإنطباق دستوراً عملياً، يتلائم مع إحتياجات المجتمع إلى يوم الميقات المعلوم، وفي ذلك الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، صاغها العلماء في قاعدة اطلقوا عليها، (نظرية الجري والإنطباق)، وسوف نتعرف على هذه القاعدة، التي استعملها السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، في أبحاثه القرآنية، عند عرضه لبيان بعض الآيات المباركة، بشيء من الإجمال، وسيقع ذلك في عدة محاور.

### المحور الأول: ما المقصود من الجري

عرّف السيد الطباطبائي (قدس سره) الجري، بأنه ما (اصطلح عليه الأخبار، في انطباق الكلام بمعناه على المصداق، كانطباق قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>، على كل طائفة من المؤمنين الموجودين، في الأعصار المتأخرة عن زمان نزول الآية، وهذا نوع من الأنطباق، وكانطباق آيات الجهاد على جهاد النفس، وأنطباق آيات المنافقين على الفاسقين من المؤمنين، وهذا نوع آخر من الانطباق أدق من الأول، وكانطباقها وانطباق آيات

(١) (سورة التوبة ١١٩).

المذنبين، على أهل المراقبة والذكر والحضور، في تقصيرهم ومساهلتهم في ذكر الله تعالى، وهذا نوع آخر أدقّ من ما تقدّمه، وكانطباقها عليهم في قصورهم الذاتي، عن أداء حق الربوبية، وهذا نوع آخر أدقّ من الجميع<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس، فإن المراد من الجري والإنطباق: هو إسقاطات النصوص القرآنية، التي نزلت في شأن من الشؤون، على شأن آخر، لم يكن قد وقع في عصر النص، واجداً لذات الخصوصيات، التي اقتضت نزول الآية في ذلك الشأن.

فعندما يحكم القرآن الكريم على ظاهرة ما، بالسلب أو الإيجاب في عصر النص، فلم يكن الخطاب يحاكي تلك الجماعة التي تلبّست بالفعل أو الظاهرة، بل الأمر يتعدّى ذلك، من خلال تقييم هذه الظاهرة على مدار الحقب المتعاقبة، فكل جماعة أو فئة، تلبّست بالفعل الموصف بالقبح أو الحسن، تنضم تحت لواء ذلك الحكم الإيجابي أو السلبي.

فالقرآن الكريم ليس بكتاب تاريخ، يُعلّل الظواهر بالإخبار ويسردها بالحكاية، بل هو كتاب هداية لتصحيح السلوك الإنساني، وغرضه تطبيق مفاد هذه الآيات، على واقع كل أمة من الأمم.

ومن هنا كان إطلاق التوصيف على تلك الأمم، والتوثيق بما جرى عليها، مثار للتبصير، ومدعاة للهداية، لما تلبّست به من قبائح الأفعال، لذا فكان القرآن الكريم، منشأً للهداية، ومخاطباً للعقول والفطرة، بالاستقامة والإيمان بالدين

(١) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٤٠.

واحكامه، ولو كان الغرض من نزول تلك الآيات هو مجرد التوصيف والتوثيق، لما صحَّ إسقاطها على واقع تلك الأمة، وبهذا لا يكون القرآن من هذه الحيثية منشأً للهداية.

لذلك حينما نجد الخطاب القراني، يحذر المنافقين المعاصرين لزمن النص، بعد التوصيف لخصوصياتهم، والملكات النفسانية التي تجذرت في انفسهم، فانه يحاول التحذير لكل فئة واجدة لتلك الخصوصيات، في كل عصر وجيل، نستطيع ان نسقط عليها عنوان المنافقين، وهكذا.

وقد استقصى السيد الشهيد (قدس سره) دليلين على هذه القاعدة:

**الأول دليل عقلي:** حيث قال (قدس سره): (وإنما المهم في نظري، كما ينبغي أن يكون هو المهم في نظر الجميع، إنَّ كل آية من آيات الكتاب الكريم، تعدّ قاعدة عامة ومنهج حياة، وأسلوب سلوك، قابل للإنطباق على جميع المستويات، وعلى جميع المجتمعات، بل على جميع الأجيال، بل على كل الخلق أجمعين. فإن القرآن هو خلاصة القوانين والمعارف المطبَّقة فعلاً في الكون، و الموجودة في أذهان الأولياء والراسخين في العلم)<sup>(١)</sup>.

إذن فلو لم تجر آياته، وتنطبق على ما تنطبق عليه من المصاديق المتجددة في كل آن وزمان، لمات القرآن، ولما اصبحت كتاب هداية، بل إلى كتاب رواية، ولا يمكن الالتزام بذلك قطعاً.

**الثاني دليل نقلي:** حيث قال (قدس سره): (وهذا واضح من جميع القرآن،

---

(١) السيد الشهيد محمد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٤٨.

وظهور القرآن حجة، غير أنّنا نستطيع بهذا الصدد، الإستدلال بالأخبار الدالة على أنّ القرآن يجري في الناس مجرى الشمس والقمر، وإنّه لو نزل بقوم ومات أولئك القوم لمات القرآن، ولكنّه حيّ لا يموت، لأنّه نازل من الحي الذي لا يموت<sup>(١)</sup>.

وهذا هو منهج أهل البيت (عليهم السلام)، فانهم يطبقون الآية من القرآن، على ما يقبل ان ينطبق عليه من الموارد، فالقران الكريم نزل هدى ورحمة للعالمين، لا تختص اياته بحالٍ دون حال، ولا زمان دون زمان، وما ذكره من بيان لفضيلة او رذيلة، او بيان للمعارف النظرية والحقائق المعرفية، او شرّعه من حكم عملي او نظري، لا يتقيّد بفرد دون فرد، ولا عصر دون عصر، لعموم التشريع، وخلود الرسالة. ونذكر بعض الروايات التي وردت عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) حول هذه القاعدة:

**الرواية الأولى:** روي عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: (إنّ القرآن حيّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا)<sup>(٢)</sup>.

**الرواية الثانية:** ما رواه العياشي بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام)، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>(٣)</sup>، قال (عليه السلام): (عليّ الهادي، ومنّا

(١) السيد الشهيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٤٨.

(٢) مُحمّد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٣٥، ص ٤٠٤.

(٣) (سورة الرعد ٧).

الهادي)، فقلت: فأنت جعلتُ فداك الهادي؟ قال (عليه السلام): (صدقت إنَّ القرآن حيٌّ لا يموت، والآية حيَّةٌ لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا، ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضيين)<sup>(١)</sup>.

**الرواية الثالثة:** ما ورد في تفسير العياشي أيضاً بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (ولو أنَّ الآية إذا نزلت في قوم، ثمَّ مات أولئك، ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكنَّ القرآن يجري أوله على آخره، ما دامت السماوات والأرض، ولكلُّ قوم يتلوها هم منها من خير أو شر)<sup>(٢)</sup>.

**الرواية الرابعة:** ما ورد عن فضيل بن يسار، قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الرواية، ما من القرآن آية، إلا ولها ظهر وبطن فقال (عليه السلام): (ظهره تنزيُّله، وبطنه تأويله، منه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلَّما جاء تأويلُ شيء منه، يكون على الأموات، كما يكون على الأحياء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(٣)</sup>، نحن نعمله)<sup>(٤)</sup>.

(١) مُحمَّد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٢) مُحمَّد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٨٩، ص ١١٥.

(٣) (سورة آل عمران ٧).

(٤) مُحمَّد بن الحسن بن فروخ الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢١٦. مُحمَّد باقر المجلسي، بحار الانوار،

## المحور الثاني: ضوابط ومعايير الجري والإنطباع

قد يُفهم من الإنطباع معنيين، أحدهما الإيجابي، وهو انطباق آياته المباركة في كل زمان ومكان، ثانيهما السلبي، وهو إنطباعه في زمان ومكان ما، على فرد ما، أو أمة ما، والمراد من مفهوم القاعدة الأول.

ان قلت: ان إسقاطات الآيات القرآنية، على فرد من الأفراد، أو أمة من الأمم اللاحقة لعصر النص، هل يتنسى للفرد العام تطبيقها أو لا؟.

قلنا: بالطبع ان ذلك لا يكون جزافياً، ولا يتيسر لكل أحد، ما لم تكن له إحاطة بمعاني آياته ومراداته، ولا بد من توفر الشروط الخاصة التي ذكرناها لشخص المُفسّر.

فقد يكون مُقتضى (الظهور البدوي)، إنطباق آية على أمة من الأمم، إلا ان ذلك لا يُصحّح اجراءها وتطبيقها على غيرها، بمقتضى ذلك الظهور البدوي، والعكس يصدق أيضاً.

وذلك لان المُصحّح للجري والإنطباع، إنّما هو (الظهور الجدّي)، الناتج من الكشف العقلائي ومرادات المتكلم الواقعية، وهذا لا يتيسر إلا بعد ملاحظة ودراسة القرائن المحفوفة بالنص، وما يكتنفه من خصوصيات مُستفادة من مجموع الآيات ذات الصلة.

وعلى الرغم من اعتماد الظهور الجدّي، المُصحّح للجري والإنطباع؛ لأنه الوسيلة العقلائية، التي تُتيح لنا معرفة واستكشاف تلك المُرادات الواقعية، إلا اننا لا يمكن ان نقول بالإنطباع الواقعي، وذلك لسببين:

**السبب الأول:** ان هذه الوسيلة لم تعتمد على كاشف قطعي للمراد الجدي، بل أنها غالباً ماتكون كاشفة عن ذلك المراد القطعي، اي هي وسيلة ظنية، وليست واقعية، غايتها مُعتبرة ومعتمدة لدى العقلاء.

**فإن قلت:** ان الجري والإنطباق إذا لم يكن مُنتجاً للجزم واليقين، فما فائدته؟.

**قلنا:** جوابه من وجهين:

**الوجه الأول:** ان عدم الجزم بالتطابق مع المراد الواقعي، لا يلغي القيمة العلمية لهذا الظهور، لانها الركيزة التي يعتمد عليها العقلاء في مقام التعاطي مع الأمور الاجتماعية والثقافية، بل وحتى الحُكميّة، فأخبار الثقة وإن لم تكن منتجة للقطع واليقين غالباً، إلا أنّ ذلك لا يسلب حُجّيّتها، فكانت نتائجها مطابقة للواقع غالباً، وأن حصل وندر إنعدام تلك المطابقة، فلا يمكن ان تكون تلك الندرة هي منشأً لالغاء عُقلائيّاً، لاحتمال عدم المطابقة على أساس حساب الإحتمالات.

**الوجه الثاني:** إنّنا افترضنا ان الممارس لعملية الجري والإنطباق، هو المُتلقّي - غير المعصوم - للخطاب القراني، وأما في فرض صدور الجري والإنطباق عن أحد المعصومين (عليهم السلام)، فهو مُنتج لليقين دون ريب، وذلك لأنّ المعصومين (عليهم السلام) هم القران الناطق، وعلى معرفة بتمام مرادات القرآن الكريم الواقعية.

**السبب الثاني:** هو تطبيق عملي لقاعدة الجري، فلو قلنا بالإنطباق على أمة

من الأمم، أو فئة من الفئات، لذابت هذه القاعدة، وهو تصريح ضمني بأرخته، واعتباره كتاب حاكي عن ذلك الواقع في زمن ما، ولقوم ما.

وهذا ما لا يمكن الالتزام به لفساده، فالزمان يُفسر القران، لان (القران يحتوي على قواعد تكوينية وتشريعية ونفسية وغيرها، تنطبق في كل جيل، بغض النظر عن الزمان، وهذا الأمر لا يختلف فيه الظاهر عن الباطن، فإن الظاهر أيضاً لا يموت ويجري في كل جيل، وليس الباطن وحده، وان كان أيضاً كذلك)<sup>(١)</sup>. على كل حال فجريان التطبيق على النصوص القرآنية، لا بدّ ان يكون مقبولا وصحيحا، كما انه ليس كل تطبيق يكون خطأ ومرفوض.

ومن هنا نقول: إن من أهم معايير التطبيق الصحيح، ما كان مصداقه عاماً او مطلقاً، او ينفي الخصوصية، وقد وردت العديد من الآيات القرآنية بهذا الشأن. واما التطبيق المرفوض فهو كل ما خالف الظواهر القرآنية والقواعد العربية، ومستلزماً لتحريف المراد القرآني، وهو ما اوقع الكثير من المُفسّرين، حيث قال الفيض الكاشاني عنهم: (ومنه ما يشتمل على ما يوهّم عليه التناقض، لتخصيص المعنى تارة ببعض الأفراد كأنه هو المراد، وتارة بفرد آخر، كأن غيره لا يراد، من غير تعرّض للجمع والتوفيق، ولا إتيان بما هو التحقيق، وجلّه يشتمل على ما يوهّم اختصاص آيات الرحمة، بأشخاص بأعيانهم، كأنها لا يجاوزهم إلى الغير، واختصاص آيات العذاب بأشخاص اخر، كأنهم خصّوا بالبعد عن الخير، من غير تعرّض منهم لبيان المراد، وأن ليس المقصود بهما خصوص الأحاد

والأفراد، كما يعرفه البصير في الدين، والخير بأسرار كلام المعصومين (عليهم السلام)، كيف ولو كان ذلك كذلك، لكان القرآن قليل الفائدة، يسير الجدوى والعائدة، حاشاه عن ذلك، بل إنَّما ورد ذلك على سبيل المثال لإزاحة الخفاء، أو ذكر الفرد الأكمل، أو الأخصى، أو المنزل فيه، أو للإشارة إلى أحد بطون معانيه<sup>(١)</sup>.

### المحور الثالث: نماذج تطبيقية

**المورد الأول:** ذكر السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، في بيان قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾<sup>(٢)</sup>، مناقشة مع المشهور، على أن اختصاص ذلك به (صلى الله عليه واله)، وقد أعطى أربعة وجوه ومُحتملات (يمكن أن يوسّع المعنى ليشمل غيره، بعد الالتفات إلى القرائن التالية، أي: أن نفهمه بنحو من أنحاء التجريد عن الخصوصية بالنبي (صلى الله عليه واله) إلى غيره)<sup>(٣)</sup>، وكان من ضمنها القرينة الثالثة، التي يمكن أن يستفاد منها كدليل على توسعة المعنى، ليكون المراد لا يختص به (صلى الله عليه واله)، وذلك من (أخبار الجري التي مفادها: أنَّ القرآن يجري في الناس كجري الشمس والقمر<sup>(٤)</sup>) فلو اختصَّ بطائفة

(١) مُحمَّد محسن المشهور بالفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج ١، ص ١٢.

(٢) (سورة الشرح ١).

(٣) السيد مُحمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٢.

(٤) مُحمَّد بن مسعود السمرقندي، تفسير العياشي، ج ١، ص ١١. الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج ١،

دون أخرى، ثمّ ماتت تلك الطائفة، لمات القرآن، مع أنّ القرآن حيّاً لا يموت<sup>(١)</sup>.

**المورد الثاني:** طبّق هذا المورد في سؤاله عن (ما هو محصّل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(٢)</sup>).

جوابه: إنّ جملة: [إِذَا جَاءَ] جملة شرطية، يراد بها جعل أمر في طرف جواب الشرط، بذكر الله سبحانه بالتسبيح والحمد والإستغفار.

ولكن يمكن أن نعقد لها دلالة التزامية، على كونها إخباراً عن حصول النصر، وذلك على مستويين:

**المستوى الأول:** أن يكون إخباراً عن الماضي أي: ان فتح مكة قد حصل، وقد رأيت الناس يدخلون فعلاً في دين أفواجا، فسبح - إذن - بحمد ربك.

**المستوى الثاني:** أن يكون إخباراً عن المُستقبل أي: سوف يحصل ذلك، وعند ذلك سبّح بحمد ربك واستغفره. ونظيره قوله تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾<sup>(٢)</sup> في أدنى الأرضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ<sup>(٣)</sup> فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ<sup>(٣)</sup>.

ولكن هذا إذا فهمنا من النصر والفتح المعنى الجزئي، سواء كان حاصلًا في الماضي، أو يحصل في المستقبل، غير ان الأمر ليس ينبغي أن يكون على ذلك،

---

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٢.

(٢) (سورة النصر ١).

(٣) (سورة الروم ٢ - ٤).

ومن أهم القرائن على نفي ذلك، ما يُسمّى بأخبار الجري وهو ما ورد عن المعصومين (عليهم السلام): (إنَّ القرآنَ حي لم يمت وأنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر، ويجري على أولنا كما يجري على آخرنا)<sup>(١)</sup>. فمن هنا لا ينبغي لنا أن نفهم من القرآن الكريم في أي موضوع، معنى جزئياً، بل يتعين فهم المعنى الأوسع والأعمّ.

فإذا فهمنا المعنى الكلي يعني: أيُّ نصر وأيُّ فتح، فكل نصر وفتح حصل في الماضي أو يحصل في المستقبل، فهو سبب لانطباق جواب الشرط بذكر الله وحمده واستغفاره.

وهذا من قبيل التنبؤ، ولكن ليس تنبؤاً جزئياً، ومن أوضح مصاديقها وأعظمها، ظهور الإمام صاحب الأمر (عجل الله فرجه)، وإنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، فهو نصرٌ من الله وفتح)<sup>(٢)</sup>.

**المورد الثالث:** في بيان معنى (شانتك) في قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾<sup>(٣)</sup> فإن: (شانتك: مطلق المنتقد والعدو، وكل عدو للنبي (صلى الله عليه واله)، يصدق عليه ذلك. ولا ينبغي أن نحمله على ما ورد في الروايات<sup>(٤)</sup> من أن المراد به (العاصي بن وائل)، لأن ذلك على خلاف مضامين أخبار الجري، كالذي ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن القرآن حي لم يمت، وأنه

(١) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج ٣٥، ص ٤٠٤.

(٢) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ١٢١.

(٣) (سورة الكوثر ٣).

(٤) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان، ج ٢٠، ص ٣٧٤.

يجري كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر. ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا<sup>(١)</sup>، فمثل هذه الأخبار تكون قرينة على التجريد عن الخصوصية، ليس هنا فحسب، بل في كل القرآن<sup>(٢)</sup>.

---

(١) العلامة مُحمّد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٣٥، ص ٤٠٤.

(٢) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ١٥٤.

### الثالث: قاعدة البطون في القرآن

وردت العديد من الروايات المُختلفة، حول بطون القرآن الكريم، فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن)<sup>(١)</sup>، وغير ذلك من الأحاديث، التي تتحدّث عن وجود ظهر واحد أو سبعة أبطن، وبعضها عن سبعين بطناً<sup>(٢)</sup>.

ونحن إذ طرحنا هذا المبحث في طريقة الاحتمالات، لان بيان أحد هذه البطون أو الأظْهر، المُستفادة من كلامهم (عليهم السلام)، يصلح لان يكون أطروحة معينة، في الإجابة على السؤال الذي يقده ذهن بحسبه.

والسيد الشهيد الصدر (قدس سره) يرى ان هناك عدة احتمالات او وجوه او أطروحات، في عملية فهم واستيعاب هذه الروايات، بعدما عرضها على المرشح النقدي، في استعراضه لهذه النظرية بشكل مُفصّل في كتابه الأصولي (منهج الاصول)، في مبحث الإشتراك اللفظي، وليبيان ما تعرض إليه في هذا المبحث، نقتضب منه محورين.

#### المحور الأول: احتمالات فهم روايات البطون

حيث ذكر ثمانية أوجه ومحتملات، في فهم هذه الروايات، وعلى سبيل

---

(١) الشيخ علي النمازي، مستدرک سفینه البحار، باب ٤٥٥، ص ١.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ٣١٥. مجمع البيان، ج ١، ص ١٣. الخصال، ج ٢، ص ١٢.

الإختصار نذكر ثلاثة منها:

**الوجه الأول:** قال (قدس سره): (ان يكون المستعمل فيه من قبيل المُشكّك، له سبع مراتب أو سبعون، فلا يكون من أستعمال اللفظ في معنيين، وهذا له نقاط قوة ونقاط ضعف، عن بعض الوجوه الأخرى:

اما نقاط القوة:

**فأولاً:** ان تكون تلك المعاني مربوطة بالألفاظ، ومستعملة فيها، لا انها أجنبية عنها.

**وثانياً:** ما ذكره من انه لا يكون أستعمالاً في معنيين، حتى يكون على خلاف الوجدان العرفي والمُتشرّعي.  
ونقاط ضعفه:

**أولاً:** ان التشكيك لا يقتضي الطولية في الإدراك، بل يساوق مع العرضية، كالتشكيك في مفهوم النور، أو الحُمرة ونحو ذلك، في حين ان المراد من الروايات هو تعدّد المراتب.

**فإن قلت:** فانه قال: له سبع مراتب مُشكّكة.

**قلنا:** نعم. هي مراتب للتشكيك، ولكنها تدرك دفعة واحدة، لأنها مصاديق الطبيعة المدلول عليها باللفظ، كما هو الحال في كل مُشكّك.

**ثانياً:** ان جملة من الأمور في القرآن الكريم غير مُشكّكة، كأسماء الأجناس والأسماء الحسنى، وغيرها كثير.

**ثالثاً:** ما ذكرناه في رد الوجه السابق، من شمول البطون لمجموع القرآن،

بما فيه من هيئات وأفعال وحروف وغيرها، مع انها غير مُشكّكة بطبيعة الحال.

**رابعاً:** التشكيك في مراتب التشكيك، فإن جميع الأشياء ليست ذات مرتبة واحدة، وليست لا متناهية، بل هي تختلف في ذلك اختلافاً كبيراً، والمفروض ان بطون القرآن، مُحدّدة المستوى في جميعه<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الأطروحة يبيّن السيد الشهيد (قدس سره)، ان استعمال اللفظ في النصوص القرآنية، يكون من قبيل التشكيك في إرادة المعنى، وقوته في وحدة استعمال اللفظ وربطه بمعناه، الذي يفهم منه بحسب الوجدان العرفي.

واما سبب عدم قبوله، فإن التشكيك وان كان على سبعة مراتب، إلا انها يمكن إدراكها لمساوقة تلك المراتب للعرضية في إدراك المعنى، لانها مصاديق للطبيعة، المدلول عليها باللفظ المُشكّك، كما ان هناك بعض الأمور، لا يمكن ان يقع فيها التشكيك، كاسماء الاجناس والهيئات والحروف وغيرها، ولهذا لا يصلح هذا الوجه أو الإحتمال، ان يكون فهماً صحيحاً لتلك الروايات.

**الوجه الثاني:** قال (قدس سره): (ان ألفاظ القرآن نزلت سبع مرات أو سبعون مرة، وفي كل مرة أريد معنى غير الآخر.

ونقطة القوة في هذا الوجه: انه لا يكون من أستعمال اللفظ في اكثر من معنى، لأنه في كل مرة من نزوله يراد معنى واحد.

واما نقاط ضعفه فكما يلي:

**أولاً:** ان هذا بظاهره غير مُحتمل أصلاً، إذ لو كان قد حدث لورد في

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، منهج الاصول، ج ١، ص ٤٠٢.

التاريخ، ولو بخبرٍ ضعيف، ولم يرد، مع انه ممّا تتظافر أسباب النقل فيه، وممّا ينبغي ان يهتم به المسلمون.

**فإن قلت:** ان ما هو غير مُحتمل، هو النزول في الظاهر، واما النزول في الباطن فهو مُحتمل، كما ورد: ان علياً (عليه السلام)، كان يقرأ القرآن كله ورجله في الركاب.

**قلنا:** هذا لو سُلم، فإن له جواباً ظاهرياً، وهو ان اللغة والاستعمال اللغوي، مفهوم عقلائياً وعرفياً، واما حاله خلال النزول الباطني، فهو مجهول عقلائياً، ولا نعلم هل انه بنحو الألفاظ ذات المدلول أو بنحو الآخر.

**ثانياً:** ان هذا فرع ان يكون اللفظ، قابلاً للكثرة من الإستعمالات، كالمشترك ونحوه، ولو بنحو المجاز أحياناً، إلا ان هذه الكثرة، المُشار إليها في هذه الروايات غير عرفية، واللغة العرفية غير قابلة لها، لو أريد بها هذا الوجه<sup>(١)</sup>.

وهنا نستطيع التخلص من محذور استعمال اللفظ في أكثر من معنى، بإطروحة النزول لأكثر من مرة، يختلف فيها المعنى في كل نزول، إلا ان ذلك يناهض استعمالات اللغة ظاهراً، والفهم العرفي منها، إلا ان يكون بنحو المُشتركات، وبطبيعة الحال ان صدق على استعمال ما، فيكون من قبيل المجاز، كما ان الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، لم تصل إلينا بخصوص النزول لأكثر من مرة، ولو وَرَدَتْ، لوصلت إلينا.

فيبقى هذا الإحتمال قيد التأمل، لورود إحتمال في عمق هذا المحتمل، بإمكان النزول (الباطني) في المعاني دون الالفاظ، او بنحو آخر، طبعاً وهو مجهول بطبيعة الحال، كما ذكره السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، ولا يعلم كنهه إلا أهله، عليهم صلوات الله.

**الوجه الثالث:** قال (قدس سره): (ان يراد من كل لفظ، معنى قابل للإنتطاق على سبع أو سبعين حصة أو مصداق، أو قل: للإنتطاق على سبعين معنى في نفسه، وقد أريد كل ذلك على سبيل الإستغراق. وهذا الوجه لا يستلزم المحذور، وهو استعمال اللفظ في اكثر من معنى.

وظاهر مراده، ان اللفظ قابل للإنتطاق على معاني كثيرة، لأنه موضوع للكلّي الذي يعمّها، فيشمل جميع الأفراد والحصص على سبيل الإستغراق، سواء فهمنا الحصة أو الفرد، أو التفتنا إليها، ام لا. فيكون له معنى واحد، إلا انه ذو مصاديق مُتعدّدة.

وإشكاله: ان هذه المصاديق عرضية المرتبة، وليست طولية، كما فهمنا وفهم المشهور من الأخبار.

ويمكن ان يجاب: ان هذا من الناحية اللغوية صحيح، إلا ان إدراك المصاديق والمعاني، يختلف باختلاف مستوى الفرد وفهمه. ومثاله في الحيوانات، إننا قد نجد مصداقاً للفيل، لم نكن قد رأيناه قبلاً، كالماموث، والخرتيت، والفيل الأسترالي، والفيل الأمريكي وغيرها، وكذلك الفرد كلّما تعمّق فهمه، وجد مصداقاً جديداً للمعنى، لم يكن يعرفه قبلاً، كالنور، في قوله

تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، وقولهم: العلم، نور يقذفه الله في قلب من يشاء، وقولهم: حُجب النور أو سحب النور، وكذلك ما ورد: باسم الله النور، باسم الله نور النور، مُضافاً إلى فهم النور الإعتيادي، فكل منها صنف في النور، وكلّها مصاديق أو حصص، للطبيعي المدلول عليه باللفظ.

**فإن قلت:** فإن هذا الاختلاف يجعل المحمول في القضية الحملية، وجواب الشرط في الشرطية، باطلاً وكاذباً.

**قلنا:** كلا، فإن محمول صنف وان لم ينطبق على الصنف الآخر، إلا ان كلاً من المحمول والموضوع، له أصناف مُختلفة، والقضية تصدق في كل المراتب بحسب ما يناسبها.

**فإن قلت:** ان هذا الوجه يرجع بالبطون، إلى مصاديق طبيعة واحدة.

**قلنا:** نعم، إلا إنّنا لا نجعله وجهاً منحصراً لتفسيرها.

**فإن قلت:** هذا في الأسماء، فماذا عن الحروف والهيئات ونحوها.

**قلنا:** يجاب هذا بأحد جوابين:

**أولاً:** ان ما فهمه المشهور منه، هو الأسماء والمواد خاصة، فنقبل اختصاصها به، وبه يكفي صدق تلك الأخبار.

**ثانياً:** إنّنا نستعمل غير الأسماء والمواد، بمقدار قابليتها، فمن (حرف الجر) ذات معاني، والباء ذات عدّة معاني، وهكذا، وكلّها مُحتملة أحياناً، ظاهراً أو باطناً.

واما الهيئات فتتغير باختلاف طرفها، تغيراً عقلياً أو نفسياً، وليس ماهوياً، ليلزم الإشكال، وكل المصاديق جزئي حقيقي من المعنى، على كل حال، غير انها بالنتيجة يكون لها انطباعات وانطباقات بعدد معاني الطرفين، وهذا أيضاً وجه محترم لفهم بواطن القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

بعدما عرض هذا الاحتمال، وناقش كل ما يُحتمل عليه من إشكال، وكان اللفظ قابل للإنتباق على معاني كثيرة، لأنه موضوع للكلي الذي يعمّها، اعتبر السيد هذا الاحتمال في فهم تلك الرواية، وعبر عنه بالاحتمال المُحترم.

وذكرني هذا الاحتمال، بقصة طريفة وقعت للإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، مع الفيلسوف الكندي، وخلاصتها:

(أن إسحاق الكندي، كان فيلسوف العراق في زمانه، أخذ في تأليف (تناقض القرآن)، وشغل نفسه بذلك، وتفرّد به في منزله، وإن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، فقال له: أبو مُحَمَّد (عليه السلام): أما فيكم رجلٌ رشيد، يردع أستاذكم الكندي، عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن!. فقال التلميذ: نحن من تلامذته، كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا، أو في غيره. فقال له أبو مُحَمَّد (عليه السلام): أتؤدي إليه ما أُلقيه إليك؟ قال: نعم.

قال: فصر إليه، وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك، فقل: قد حضرتني مسألة أسالك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك،

(١) السيد مُحَمَّد الصدر، منهج الاصول، ج ١، ص ٤٠٤.

فقل له: إن أتاكَ هذا المتكلم بهذا القرآن، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه، غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول لك: إنه من الجائز، لأنه رجل يفهم إذا سمع.

فإذا أوجب ذلك، فقل له: فما يدريك، لعلّه قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فتكون واضعاً لغير معانيه!

فصار الرجل إلى الكندي، وتلطّف، إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أعد عليّ، فأعاد عليه، فتفكر في نفسه، ورأى ذلك مُحتملاً في اللغة، وسائغاً في النظر، فقال: أقسمت عليك إلا أخبرني من أين لك؟. فقال: إنه شيء عرض بقلبي، فأوردته عليك، فقال: كلا، ما مثلك من أهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟. فقال: أمرني به أبو مُحمّد (عليه السلام)، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثمّ إنه دعا بالنار، وأحرق جميع ما كان ألفه<sup>(١)</sup>.

### المحور الثاني: الرد على إشكالات اخبار البطون

حيث ذكر السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، مجموعة من الإشكالات على اخبار البطون، التي لم يتعرض لها العلماء، فذكرها على شكل أطروحات ومُحتملات، وصلت إلى تسعة أطروحات وأجاب عليها، وسنذكر أربعة منها، تجنباً للإطالة.

(١) أنظر: أبي جعفر بن شهر آشوب المازندراني، مناقب ال أبي طالب، ج ٢، ص ٥٢٦.

**الأطروحة الأولى:** قال (قدس سره): (ان البطون ليست بحجة، لان ظاهره حجة، واما الباطن فلا. والجواب من وجوه:

**أولاً:** ان الإنسان حين يكون مؤهلاً لفهم أي مستوى من مستويات الباطن، فانه يفهمه من ألفاظ القرآن، فهماً عريضاً اعتيادياً، فيكون حجة.

**ثانياً:** إننا يمكن ان نجعل نفس أخبار البطون، دليلاً على حجية فهم الباطن، باعتبار انه ليس المراد من تلك الأخبار، مجرد الإخبار عن وجود تلك البطون، بل الحث على التوصل إليها حسب الإمكان، والإستفادة منها أو تطبيقها وهذا لا يكون إلا فيما هو حجة ومعتبر.

**ثالثاً:** ان دليل حجيتها قوله: إنما يفهمه من خوطب به، يعني من تكون له أهلية الوصول إلى بعض البواطن، فيثبت انه مخاطب به، فيكون حجة له، وإلا كان خلف كونه خطاباً له.

**رابعاً:** ان دليل حجيتها قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، وحيث إننا لا نفهم ذلك الإستيعاب من الظاهر، إذن، يتعين ان تكون في الباطن. فمن يفهمه يعلم بوجوده في القرآن، يعني يكون القرآن بياناً له باطنياً. فيكون حجة، كل ما في الأمر انه ينبغي ان يصل إلى درجة اليقين أو الإطمئنان.

أو قل: ان قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>، لا يراد به الإخبار

(١) (سورة الأنعام ٣٨).

(٢) (سورة الأنعام ٣٨).

عن ذلك فقط، بل جعل حجّيته أيضاً على تقدير حصوله وفهمه<sup>(١)</sup>.

وقد يرى الذهن المُحمّل لهذه الأطروحة، ان التكليف هو بالظهور العرفي فقط، وبطون القران الكريم ليست بحجة، ويرده السيد الشهيد بوجود مستويات للفهم، يمكن لها ان ترتفع مع اتّساع مُدركاتها، فيكون مستوى تكليفها على مقدارها لا مادونها، إضافة لنفس تلك الأخبار، التي تحثّ على وجوب الترقّي لها، والسعي لا متلاك المقوّمات لإدراكها، كما صرّحت به الآية المباركة.

**الأطروحة الثانية:** قال (قدس سره): (ان المعاني غير محدودة وألفاظ القران الكريم محدودة، والمحدود لا يحتمل اللامحدود.

ويمكن الجواب عن ذلك بعدة أشكال:

**أولاً:** ان بطون القران مهما كانت واسعة، فهي محدودة بحدود الحاجة الواقعية، وليست لا متناهية، يكفي ان نلتفت إلى التعبير عنها بسبعة أو بسبعين، وهما رقمان محدودان.

**ثانياً:** ان الدال لا يكون أوسع من المدلول، فإذا علمنا ان الأشياء كلّها، أو قل عالم الخلق كلّ متناهي، كانت الدوال عليه متناهية، ونريد بالدوال هنا البطون.

**ثالثاً:** ان دلالة اللفظ على الأمر اللامتناهي، ليس مُمكنًا فقط، بل هو موجود عرفاً، فضلاً عن العقل، كدلالة اسم الجنس على حصص لا متناهية، أو أفراد لا متناهية، أو كليهما، وخاصة إذا التفتنا إلى دلالة مثل لفظ: رقم أو عدد

---

(١) أبي جعفر بن شهر آشوب المازندراني، مناقب ال ابي طالب، ج ١، ص ٤٠٨.

على الأعداد اللامتناهية.

رابعاً: ان كثرة الأمور الجزئية الخارجية، وعدم تناسلها - لو سلم - لا تلازم لا تناسل الكليات، وما يكون من معاني الألفاظ والبطون هو الكليات دون الجزئيات.

ولكن هذا يمكن جوابه، بالطبع بعدم تناسل الكليات، فانها أيضاً لا متناهية في عالم الواقع، ومثاله الأعداد، فانك كلما أضفت رقماً إلى رقم محدود، أزداد إلى إضافات لا متناهية.

خامساً: ان تكون الدلالة روحية غير لغوية، كما لا يبعد ان تكون بالنسبة إلى بعض البطون المعمّقة، وقوله: أنا النقطة، وقوله: ما فرطنا في الكتاب من شيء، وقوله: علمني ألف باب يفتح لي من كل باب ألف باب. فإن كل ذلك ممّا تعجز عن بيانه الألفاظ قطعاً، وإنّما يراد به التناقل الذهني أو الروحي أو العقلي.

**فإن قلت:** فانه ينافي أخبار البطون الدالة على الدلالة اللغوية.

**قلنا:** نعم، هي دالة على الدلالة، ولكن لا تتعين ان تكون لغوية، بل كل بطن بحسب ما يناسبه<sup>(١)</sup>.

وظاهر المحدودية للفظ القراني، يمكن ان يحتمل منه عدم اتساعه للمعاني اللامحدودة، ولا تناسب بين اللامحدود والمحدود حينها، والتعبير بالسبع او السبعين هو مجاز، يصور المحدودية في عالم الخلق المتناهي، إلا ان هذا المجاز

(١) السيد محمد الصدر، منهج الاصول، ج ١، ص ٤٠٨.

لسعته، أتخذ دلالة تعبيرية، للتصور بإمكان تعدّد المداليل الواقعة على المعاني، كما ان الدلالة قد تكون معنوية غير لفظية، كما بينها (قدس سره)، فانت قد تصف عالم المثال، او عالم العقل، او عالم الأمر اللامتتاهي، بالفاظ تصوّرية او تصويرية. ولذلك فإن عمق هذه المعاني في تلك الأوجه، تناسب وحال المدرك لها.

**الأطروحة الثالثة:** قال (قدس سره): (ان الإنسان محدود، والكتاب الكريم غير محدود، فلا يمكن ان يحيط به ويستوعب ما فيه.

ويمكن الجواب على ذلك: بالإعتراف بان الإنسان المحدود، بل كل مخلوق محدود، لا يحيط بالعلم غير المحدود، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إلا ان هذا يواجه إشكالاً، وحاصله: انه قد ورد ان المعصومين (عليهم السلام)، يفهمون القرآن باطنه وظاهره، لأنه نزل فيهم واليهم، وهم المخاطبون به (وعندهم علم الكتاب وما جاءت به السور)، وخاصة منهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، فكيف كان ذلك؟.

ويجاب بأحد شكلين:

**الشكل الأول:** انهم (عليهم السلام) قابلياتهم غير محدودة، يفهمون غير المحدود. حتى خصّ علي (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه واله) بمعرفة الله سبحانه كما ورد: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت)، مع ان الله سبحانه غير

(١) (سورة طه ١١٠).

(٢) (سورة البقرة ٢٥٥).

محدود، ومن عرف الله تعالى عرف ما دونه بطريق أولى.

**الشكل الثاني:** ان نُسلّم بكونهم محدودين في الجملة، غير ان قابلياتهم عظيمة، بل أعظم من كل الخلق، فنفهم من تلك الأخبار، انهم يفهمون اكثر من أي خلق آخر، وهذا يكفي.

إلا ان هذا يواجه إشكالاً: وهو انه قد ثبت انهم خير الخلق أجمعين. والقرآن من الخلق، إذن فهم خير من القرآن، وحين نقول: القرآن هنا، فإننا نعيه بكل وجوده الظاهري والباطني، إذن فهم أعلى من كل ذلك، والعالي يحيط بالداني، دون العكس. إذن فإحاطتهم بالقرآن مُمكنة.

وإذا تمّ هذا، فإنّما يدل على عدم كونهم محدودين، إذا ثبت ان معاني القرآن الكريم لا متناهية، من حيث الكليات والأمور النظرية العامة، كما هو اقرب إلى الذوق السديد<sup>(١)</sup>.

اما أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، فهم القران الناطق، حيث لهم وجودهم الإستقلالي التام، والقران جزء من هذا الوجود، كما ثبت في محلّه، والكل اعظم من الجزء، فهم (عليهم السلام)، بإضافة إستدلالات السيد الشهيد الصدر (قدس سره) على هذا الوجه اعظم من القران.

**الأطروحة الرابعة:** قال (قدس سره): (ان عدد سبعة بطون أو سبعون بطناً، يدل على المحدودية، فلماذا ندعي عدم المحدودية، ولا اقل انه لا دليل على وجود الزائد!).

(١) السيد مُحمّد الصدر، منهج الاصول، ج ١، ص ٤١٠.

وجوابه من عدة وجوه:

**أولاً:** ان هذا الرقم لمجرد بيان الكثرة، ولا يراد به الحصر، كما قال المُفسِّرون في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** ان هذا قد قيل بقانون: كلّ الناس على قدر عقولهم، لأنهم سوف لن يتحمّلوا أو يفهموا، كون معاني القرآن وبواطنه لا متناهية.

**ثالثاً:** ان الدليل على عدم الحصر في القرآن موجود فعلاً، وهو قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>، والمراد من الكتاب: القرآن، كما هو الظاهر، كما ان الأشياء المستفادة من قوله: من شيء، هي أشياء لا متناهية كما أسلفنا<sup>(٣)</sup>.

فنفس هذه الروايات دالة على اللامحدودية، فهذا السبع او السبعون لبيان الكثرة في بواطنه، وليس المُستفاد منه الحصر، فمن المُمكن إيجاد تسعون باطناً على سبيل المثال، او اكثر من ذلك بكثير. فنفهم ان مبنى الأطروحة يُمكن لنا من التعرف على أسرار وبواطن القرآن، وإبراز فهم جديد، لتطبيقات النصوص القرآنية.

### المحور الثالث: نماذج تطبيقية

ان الجانب المعرفي الذي سلكه السيّد الشهيد (قدس سره)، في كتابه (منة

---

(١) (سورة التوبة ٨٠).

(٢) (سورة الأنعام ٣٨).

(٣) السيّد مُحمّد الصدر، منهج الاصول، ج ١، ص ٤١٣.

المَنَّان)، تضمّن الكثير من الإشارات لبعض المعاني الباطنية، والمفاهيم المعنوية، للآيات القرآنية، لانه كان يؤمن: (إنَّه لا بدّ أن يحمل النصّ على معنى عصر النزول، ولا نستطيع أن نحمله على المعاني المتأخّرة عنه، لكنّه في الباطن يمكن أن نتصور، أنّ القرآن الكريم يقصد معاني، سوف تفهم في المستقبل، فمن هذه الناحية، هذا المعنى قابل لأن يكون كذلك. وهذا عليه دليلٌ ظاهري، وهو قوله تعالى: ﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> أي: حتّى المعاني المستقبلية موجودةٌ فيه، فمن الممكن على المستوى العالي، صدور كلمات ذات معاني غير منجّزة، وإنّما هي مُعلّقةٌ على وجود من يفهمها، ولو في المستقبل البعيد من الزمان، وهذا ليس على القرآن ببعيد<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا الأساس، ولكثرة توارّد تلك المفاهيم الباطنية، نحاول ان نقدم مجموعة من الشواهد على تبنّيه لهذا المسلك.

الأول: قدّم أطروحة في بيان قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾<sup>(٣)</sup>، حيث قال انه يمكن ان: (يُحمل على الجهة المعنوية للجبال. فنقول: بأنّه سبحانه يريد بالجبال، الأفراد من ذوي الشأن، إمّا علماً أو عملاً أو مالاً ونحو ذلك، فهم أوتاد الأرض، بمعنى: كونهم الحافظين للمجتمع، بمقدار ما يناسب وظائفهم واختصاصهم لو جاز التعبير، ولولا هؤلاء لمار المجتمع موراً، ولفسدت مصالحه.

(١) (سورة الأنعام ٣٨).

(٢) السيد مُحمّد الصدر، منة المَنَّان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٢٥٥.

(٣) (سورة النبأ ٧).

كما يمكن تطبيق ذلك على باطن كلّ فردٍ، فإن فيه جبلاً، أي: صفاتاً هامةً، أعلاها العقل والروح، ولو افترضنا عدم وجود هذه الصفات في الإنسان، فسوف يمور جسد الإنسان، لتكون عاقبته الهلاك.

وقد يُقال: إنّ العظام هي جبال البدن، وذلك لأنّها أقوى ما في البدن، فتدافع عن أعضاء البدن الداخليّة، إلى غير ذلك من أمثلة، تكون مصداقاً للجبال على المستوى الباطني<sup>(١)</sup>.

**المورد الثاني:** في بيان قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾<sup>(٢)</sup>، أعطى أطروحة للآية، تعتمد على الفهم الباطني، فقال: (ولغرض فهم الآية بيّنها الباطني نقول: أخرج بمعنى: يسر ودبر ووفق، وكما وفق الحيوانات إلى المرعى بإخراجه لها، كذلك وفق كلّ شيء من خلقه، إلى ما هو بصالحه، ويعبر عن المصلحة هنا بالمرعى، أي: محلّ الحصول على المصلحة، أو قل: الحصول على الكمال، وسدّ النقص الدنيوي أو الأخروي)<sup>(٣)</sup>.

**المورد الثالث:** في أحد الأطروحات التي ذكرها، في بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾<sup>(٤)</sup>، فكان من ضمن وجوه فهم الآية هو: (الوجه التاسع: أنّ الرجوع، عبارة عن الرجوع إلى الحالة التي كان فيها الإنسان، أي: رجوعه وتجرّده عن الخصوصيّة، التي تلبّس بها، إلى ما كان عليه في حالته الأولى. فقد

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٤٨.

(٢) (سورة الأعلى ٤).

(٣) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ١٠٦.

(٤) (سورة الطارق ٨).

يكون الإنسان في بلاءٍ، ثم يرتفع عنه هذا البلاء، ويعود إلى الرخاء الذي كان عليه، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾<sup>(١)</sup>، تحذيراً من قبل الله تعالى، بأننا نستطيع أن نردّك إلى ما كنت عليه أو أسوء، فيكون الرجوع حينئذٍ في الدنيا، وإن كان مشهور المُفسّرين يرى أنّه في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

المورد الرابع: قام باعطاء دلالة معنوية، كاطروحة لمراد الآية المباركة: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن صَرِيحٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فأنا: (إذا حملنا الطعام على الطعام المعنوي، حصل لنا معنى جديدٌ ووجهٌ جديدٌ، وهو أنّ الإنسان بارتكازه وطبعه يطلب الكمال، ويشتاق إلى الكمال، فيكون بلحاظ شوقه وطموحه إلى الكمال والحالات المعنوية جائعاً، كما أشير إليه في الحديث القائل: (الحكمة ضالة المؤمن)<sup>(٤)</sup>، فيكون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن صَرِيحٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾<sup>(٥)</sup>، بلحاظ الكمال والحالات المعنوية.

ويمكن القول بأنّ الحالات المعنوية ضئيلةٌ أو يسيرةٌ، لأنّنا منقطعون عن أهل بيت النبوة (سلام الله عليهم)، الذين هم المصدر الرئيسي للتكامل والعطاء، ولا يختصّ ذلك بزماننا فقط، بل حتّى في زمنهم (عليهم السلام)،

(١) (سورة الطارق ٨).

(٢) السيد مُحَمّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ١٨٧.

(٣) (سورة الغاشية ٦ - ٧).

(٤) مُحَمّد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٨، ص ١٦٨.

(٥) (سورة الغاشية ٦ - ٧).

لانتقطاع الناس عنهم من جهةٍ، مع أنّ الأئمة (عليهم السلام)، لا يعطون كلّ معارفهم، بل يراعون ما يناسب حال الناس، ونضجهم من جهة أخرى، لوضوح عدم قدرة كلّ فردٍ، على تحمّل علومهم (عليهم السلام)<sup>(١)</sup>.

وبعد استعراض تلك الوجوه الثلاثة، اتضح لنا الجواب كامناً في تلك المطالب، على أهمية طريقة الأطروحات في عملية قراءة النص، ومحاولة فهمه، ولذكر موجزاً عن تلك المحاور التي بينها:

**ففي المحور الأول:** تبين لدينا ان ممارسة اسلوب الأطروحات، يجعل المُفسّر ينأى بنفسه عن النزعة الأحادية الصارمة، في رؤيته لفهم الخطابات الإلهية، فلا يرى هناك إلا وجهاً واحداً، ولا يحتمل إلا معنى فardاً، ولا يقرأ النص إلا بعين قناعاته، فيقطع بما يعتقد ويرى، وهو التفسير بالرأي والهوى.

**اما المحور الثاني:** فكان للزمان دوراً في تفسير القرآن، حيث بدت محاولة تطبيع وتطويع النصوص، لثحاكي المُعاصر بمختلف اتجاهاته، العلمية والحكّمية والاجتماعية والسياسية وغيرها، وبقيت نسبية القراءة تعتمد على التماثل في المواضيع، فالقرآن يجري مع الزمان، فلم يكن بدّ لدفع المحذور الأول، والقطع بالنص المُستقل، إلا ببيان ما يُحتمل وما لا يُحتمل.

**وفي المحور الثالث:** ظاهر مرادهم الخطاب العام، والفهم العرفي للنصوص القرآنية، اما أسلوب تعدّد المعاني، والوجوه المُحتملة في عملية مُمارسة فهمه، فهو يتناسب وحجم المُخاطب، فبواطنه وأبطنه، لا تسقط بالفهم العام وإرادة

---

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٢٠.

الظاهر، ولا تنافي بينهما، وكان لاسلوب الأطروحة دوراً توسيطياً، في التعرف على تلك الإرادات من الخطاب، فلا قطع في معنى ومراد، دون احتمال غيره. وعلى كل حال، فقد فتح لنا أسلوب الأطروحات، نوافذاً مُتعدّدة، لممارسة النقد حول الموروث المُقدّس، المتعالي عن النقد والمراجعة والتفكير، وتطويق دائرة القداسة على الافهام، التي أنجبت لدينا تلك المعاني، من البيانات للنصوص القرآنية، مع جلّ الاحترام والتقدير، لِمَا تمخّض عنها من إبداع في مجال البيان عن الآيات القرآنية، التي قد تخطئ وتصيب.

كما أبصرنا شعاع الفكر من تلك النوافذ، في ممارسة عملية التفكّر الجاد، وتدوير عجلة الفكر، لمزيد من التدبّر والتأمل في التعاطي مع الخطابات السماوية، لدفع الإشكالات الموهنة، التي ينتجها العقل، وما يحتمله من تشكيك في المعاني والألفاظ، والتي منحت للمُختصّين أفاقاً جديدة، لزيادة المُحتملات في عملية تنقيح النص القرآني، وكما قال (قدس سره): (وبقاء الباب مفتوحاً، للزيادة في التفلسف والفكير)<sup>(١)</sup>.

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن تفسير القران، ج ١، ص ٣٦.

## الرابع: طريقته في عرض الأطروحة

استعمل السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، آليات مختلفة، في عرضه لاسلوب الأطروحات، كنظرية السياق، ومنهج اللافتريط، ونظرية الاحتمال، وغيرها، وقد مر بيان بعضها سابقاً، ونحاول هنا، ان نُصوّر أهم الملامح العامة والمُستعملة في هذا اللون من أنماط التفسير، من خلال عدّة محاور.

### المحور الأول: مناقشته أسباب النزول

يبدأ استعراض هذه الطريقة، مع بداية نزول النص، وأن لكلّ آية سبب معيّن لنزولها، كما هو عند المشهور، إلا ان السيد الشهيد (قدس سره) قدّ حكم رأيه في مقدّمة كتابه، حول الروايات المُتعلّقة بأسباب النزول، فقال: (ومما ينبغي الإلّماع إليه، إنني بطبعي لا أميل إلى الأخذ بروايات موارد النزول وأسبابه، فإنّها جميعاً ضعيفة السند، وغير مؤكدة الصحة بالرغم من إهتمام بعض المؤلفين بها، كالسيوطي وغيره)<sup>(١)</sup>.

اذن فأسباب النزول هي: (أُمور وقعت في عصر الوحي، واقتضت نزوله بشأنها)<sup>(٢)</sup>، مثال ذلك سؤال قريش عن القبلة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن تفسير القران، ص ٤٨.

(٢) السيد مُحمّد باقر الصدر، بحوث في علوم القران، ص ٤٦.

وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴿١﴾.

وغير ذلك ممّا أثار الاستفهام، او كان مناسباً لوجود واقعة ما، او تمثيلاً  
لقصة، لبيان عبرة، او تشريع لحكم، وغير ذلك ممّا يستدعي سبباً للنزول.  
ولكنك قد تسأل: إذا لم ترتبط الآية بسبب خاص للنزول، كيف تمّ النزول  
التدريجي للقرآن؟.

أقول: ان النزول الدفعي للقرآن على قلب النبي (صلى الله عليه واله)، إنّما  
هو لتربيته ورسوخ نور الحق في صدره، اما النزول التدريجي كان لتربية الامة  
وهدايتها، وربط الأسباب بمتعلقاتها، فليس كل سبباً للنزول ضعيف، كالتصدق  
بالخاتم وايات التطهير وغير ذلك كثير، ولعل مراده (قدس سره)، تغليب  
الروايات الضعيفة لمورد النزول واسبابه، ولا يقدر ذلك في وجود ما يقابله من  
روايات معتبرة وصحيحة السند.

وعلى كل حال فقد كانت رؤية السيد الشهيد (قدس سره) في ضعف تلك  
الروايات، هي إنعدام لمثالية النص، وربطه بمساحة ضيقة، انطبعت تلك  
الألفاظ، لترسم معنى خاصاً، حاكياً عن واقعة ما، وسيكون حينها (تقرير  
لتاريخية القرآن وبشريته)<sup>(٢)</sup>، ولا يمكن حينها تعميم تلك المعاني القرآنية، بما  
يتناسب والعصور اللاحقة، والتطور الهائل في المستويات المختلفة، ويكون

(١) (سورة البقرة ١٤٤).

(٢) نصر حامد ابو زيد، النص والسلطة الحقيقية، ص ٩٧.

حينها أثراً رجعيّاً، أرتبط بقصة ما، وحادثة ما. ولهذا (فإن السبب الأقوى لموقف الصدر، هو كون القرآن كتاب حياة، وقاعدة عامة)<sup>(١)</sup> قابلة للانطباق على أزمنة وأمكنة مُتعدّدة، لذلك فانك (لا تحتاج كثيراً، او لا تحتاج أبداً إلى أسباب النزول)<sup>(٢)</sup>.

لذلك قال فإن (المهم في نظري، كما ينبغي أن يكون هو المهم في نظر الجميع، إنّ كل آية من آيات الكتاب الكريم، تعد قاعدة عامة، ومنهج حياة وأسلوب سلوك، قابل للانطباق على جميع المستويات، وعلى جميع المُجتمعات، بل على جميع الأجيال، بل على كل الخلق أجمعين. فإن القرآن هو خلاصة القوانين والمعارف المطبّقة فعلاً في الكون، والموجودة في أذهان الأولياء والراسخين في العلم)<sup>(٣)</sup>.

لهذا فإن السيد الشهيد (قدس سره)، لم يتجاوز كل تلك الأسباب، لان فهمها (يساعد إلى حد كبير، في معرفة الآية المباركة، وما فيها من المعاني والأسرار)<sup>(٤)</sup>، لكنه لا يؤخذ على نحو السبب المُقدّم لتفسير النص، وتضييق دائرته به، لعمومية القرآن على جميع الأجيال، ومن هنا فد(إنّ أسباب النزول ونحوها، لن تصلح في كتابنا هذا، إلا كأطروحة من عدة أطروحات، يمكن أن تُشكّل جواباً على السؤال الرئيسي في أيّ مورد، وأمّا أن تكون هي الجواب

---

(١) علي حسن هذيلي، امكانات التأويل وحدوده، ص ٣٠٢.

(٢) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، القرآن في الاسلام، ص ١٢٦.

(٣) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٤٨.

(٤) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، القرآن في الاسلام، ص ١٢٣.

الرئيسي، أو أن تكون سبباً لاختلاف ظهور القرآن، فلا، ما لم تقم عليها بنفسها حجة شرعية كافية<sup>(١)</sup>.

### المحور الثاني: الجمع بين الثنائيات

وقد استعمل السيد الشهيد (قدس سره)، الأبعاد المتعددة في قراءة نفس النص القراني، حيث يحتوي العديد منها على تناغمات رائعة، فتجد في الكثير من بيانه، ذلك التوافق الرائع، عندما ينفذ في اسبار تفسيره للنصوص، ليحقق ذلك الأنسجام الرائق بين تلك المعاني.

في حين ترى الأطروحة العامة لنفس النص، تحتل الأبعاد الثنائية كالمادي والمعنوي، والديني والاخروي، والعقلي والنقلي، والطبيعي والاعجازي، والتكويني والتشريعي، والجزئي والكلي، وغير ذلك كثير من هذه الأنسجام الرائع، الذي رسم لنا صورة عن عمق الخطاب القراني، وقوة فهم السيد الشهيد (قدس سره)، وقدرته على إيجاد ذلك التناغم.

حيث ذكر في معنى (الدمدمة) في قوله تعالى: ﴿فَدُمِدْمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، مجموعة من الأطروحات المادية والمعنوية، التي لا يمكن ان تتعارض، فقال ان في (معناه عدة أطروحات:

الأولى: صوت الأرض.

(١) السيد محمد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٤٩.

(٢) (سورة الشمس ١٤).

الثانية: صوت المباني المهدومة.

الثالثة: صوت الضوضاء من الناس.

الرابعة: إنزال الغضب.

الخامسة: إنزال البلاء.

السادسة: حصول غضب الله سبحانه.

السابعة: أو تنفيذه.

الثامنة: الأمر التكويني الناشيء من الغضب بحصول ذلك.

التاسعة: صوت الريح التي انتجت ذلك.

العاشرة: صوت الصواعق التي انتجت ذلك<sup>(١)</sup>.

فظهر التفسير المعنوي للدمدمة، من الأطروحة الرابعة إلى الثامنة، اما الباقي، فتدخل تحت التفسير المادي. ويمكن حملها أيضاً بنحو من التأمل على معانٍ معنوية، ولا تضاد.

وفي مورد آخر عندما تناول المراد (بالأمر) في قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾<sup>(٢)</sup>، ذكر المشهور ان المراد به الأمر التكويني، بينما قال السيد الشهيد (قدس سره) ان المراد به هو الأمر التشريعي، وذلك بعدما سأل: (وماذا يقصد بالأمر (ارجعي إلى أمر ربك) فهل هو الأمر التشريعي أم الأمر التكويني؟).

(١) السيد مُحَمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٧٧.

(٢) (سورة الفجر ٢٨).

ذهب المشهور<sup>(١)</sup> إلى أنَّ المقصود به الأمر التكويني، فالإنسان لا يموت ولا يُدفن ولا يحشر باختياره، بل كلُّ هذا بأمر الله التكويني: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>.  
أو نقول: إنَّه يُراد بالأمر الأمر التشريعي، فكلُّنا مأمورون بأن نرجع إلى الأمور التشريعيَّة، أعني: أوامر الله التي يجب امتثالها، وتتمثَّل في الشريعة بأحكامها الظاهريَّة والواقعيَّة، فيكون معنى (ارجعي إلى أمر ربِّك) أي: لا تكن عاصيًّا، بل ارجع إلى طاعة الله<sup>(٣)</sup>.

### المحور الثالث: إشكالية السؤال

في حين استعمل السيد الشهيد الصدر (قدس سره) أسلوب الأطروحة،  
بقلب إشكالية السؤال، فيادر إلى الاستفهام من محورين:

**الاول:** ممَّن له السبق بمجال ترجمة النصوص، ويكون ذلك بطريقتين:

**الطريق الأول:** تدسيم المطلب، من خلال إثارة السؤال على ما يعتقد  
المُفسِّر أو يرى، ليحيط بكل جوانب المعنى، المقارب للفهم العام، ان كان على  
مستوى القبول.

**الطريق الثاني:** بإثارة الإشكال على المبنى المُعتمد، في استعراضه للمطلب،  
ليبيان المقصد الأسنى، ممَّا يتطابق والفهم الحاف بمستوى النص، فيبدأ بعرض  
الأطروحات المُحتملة، ويناقش ما تبناه، ليقدم للقارئ ما يفهم ويُقرَّر من معنى  
الخطاب.

---

(١) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج ١٥، ص ٣٤٧.

(٢) (سورة البقرة ١١٧).

(٣) السيد مُحمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ٣٦٢.

**الثاني:** ان يقوم بإثارة السؤال، بوصفه إشكالاً مُحتملاً يقارع الذهن، ويبدأ هو بالإجابة عليه، او قد يستورد ممّن تصدى له، وفي كلا الحالين، يسيل عليهما بالمناقشات، على مايعتري الذهن من أطروحات ومُحتملات للمعنى المطلوب من النص.

ونستعرض هذا المقطع الرائع، من مناقشاته مع العلماء والمُختصّين، حول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾<sup>(١)</sup>، فيشير الإشكال على شكل أستفهام، ويجيب عليه، فبدأ ب: (سؤال: ما هو معنى: ﴿كَنُودٌ﴾ في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾<sup>(٢)</sup>؟).

جوابه: قال الراغب في المفردات<sup>(٣)</sup>: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾<sup>(٤)</sup>، أي كفور لنعمته، لقولهم: أرض كنود إذا لم تنبت شيئاً، وأيده صاحب الميزان<sup>(٥)</sup>، قال: الكنود الكفور. أقول: وهو استعمال مجازي لطيف. وإشكاله: إنه حينئذٍ ينبغي أن يقال: بربه لکنود، لأننا نقول: كفر به، لا كفر له.

**فإن قلت:** فإن استعمال اللام بمعنى الباء مجازاً مُحتمل.  
**قلت:** هو مُحتمل، ولكنّه لا يتعين إلا مع الإنحصار، وسنبين إنه غير

(١) (سورة العاديات ٦).

(٢) (سورة العاديات ٦).

(٣) الرغب الاصفهاني، المفردات، مادة (كند).

(٤) (سورة العاديات ٦).

(٥) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٤٦.

مُنحصر، فيتعين المعنى الحقيقي للام.

إذن، ليس المراد بالكنود الكفور. نعم، هم فهموا ذلك من الأرض غير المُنتجة، والكافر بمنزلتها، ولكنّه مع ذلك، ليس هذا معنى منحصرًا، فإن الإنسان غير المنتج له عدة معاني:

**المعنى الأول:** إنّ الإنسان غير نافع لربه كالأرض التي لا تنبت شيئًا، من حيث أن الله غني عن العالمين، كما في الدعاء: (إلهي أنت الغني بذاتك أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنيًا عني)<sup>(١)</sup>.

**المعنى الثاني:** إنّ الإنسان قليل الطاعة، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(٣)</sup>.

**المعنى الثالث:** إنّ قليل الالتفات إلى الآخرة، وكثير الغفلة عنها، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

**المعنى الرابع:** إنّ الآية الكريمة لم تتعرّض لمتعلق القلّة، وإن الإنسان كنود من أيّ جهة، بل تركت الباب مفتوحًا لأجل أن يملأ بأيّ شيء معقول، يمكن أن يخطر على البال، فيمكن أن يقال: إن المراد قلة الاهتمام بأمور الدنيا، وقلة الأخذ بزبرجها وزخرفها قربة إلى الله تعالى، ومعنى القربة مفهوم من قوله تعالى: [لِرَبِّهِ].

(١) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٢٧٣.

(٢) (سورة سبأ ١٣).

(٣) (سورة الاحزاب ٧٢).

(٤) (سورة الروم ٧).

**فإن قلت:** فإن هذا لا يحصل إلا للقليل، مع أنّ الألف واللام جنسيّة، فيدل على أتصاف نوع الإنسان بالصفة، لا حصة منه، فيدل على فساد المعنى الرابع.  
**قلت:** جوابه من عدة وجوه، منها:

**أولاً:** أن نقيّد الإنسان بالإنسان المهتم بآخرته، وهو كنود من الدنيا ومن مصالحه الشخصيّة، إلا أن هذا الوجه على خلاف الأصل.  
**ثانياً:** إنّ الإنسان له إطلاقان:

**أحدهما:** مطلق الإنسان، وله حُصص كثيرة، كالعربي والهندي والمؤمن والفاسق.

**وثانيهما:** الإنسان المطلق، وهو صنف واحد، وهم أولياء الله، وإن قسنا إنسانيتهم إلى مطلق الإنسان، كانت بمنزلة قياس الوجود للعدم، ومعه يمكن أن نفهم منها الإنسان المطلق، لا مطلق الإنسان.

**فإن قلت:** ولكن الألف واللام هنا جنسيّة، فتشمل كل البشر.  
**قلنا:** نعم جنسيّة، والألف واللام الجنسيّة تستوعب كل افراد مدخولها، فإذا فهمنا من مدخولها الإنسان المطلق، استوعبت أفراده، وليس لها أن تستوعب كل افراد الإنسان.

فالإنسان المطلق صفته أنه لربه لكنود، وليس الكافر، كما عليه مشهور المفسرين، فقد أراده المُفسّرون شراً وأردناه خيراً!!.

وكذلك على الوجهين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، فإن الخير يمكن فهمه على وجوه:

**الأول: المال، وعليه المشهور، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا...﴾<sup>(١)</sup>**  
أي: ثروة.

**الثاني: مطلق الخير، كما أحتمله الطباطبائي<sup>(٢)</sup>،** حيث قال: (ولا يبعد أن يكون المراد بالخير مطلقه، ويكون المراد: أن حب الخير فطري للإنسان، ثم إنه يرى عرض الدنيا وزينتها خيراً، فتجذب إليه نفسه، وينسيه ذلك ربه أن يشكره). أقول: وهذا معناه إن السياق غير مختص بالكافر والفاجر، لأن كل الناس مجبولون على ذلك، وكذلك الحال بناء على الوجه الأول، فيكون هناك تنافٍ بين التفسير المشهور للآيتين، ولا يبقى وجه للإشارة لحب الكافر بالخصوص للمال، مع حب الجميع له.

**الثالث: الخير المطلق، وهو الله سبحانه،** فانه عين الكمال وحقيقته، حتى سُمِّي بالخير في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾<sup>(٣)</sup>، على مناقشة سبقت في سورة الفلق. فيكون المعنى: وإنه لحب الله لشديد، فيكون السياق دالاً على الفضلاء لا على الفجار<sup>(٤)</sup> انتهى كلامه (قدس سره).

### المحور الرابع: إستقراء الوجوه والشواهد على الإستدلال

يشرع السيد الشهيد الصدر (قدس سره) بمقدمات الأطروحة، فيبدأ

---

(١) (سورة البقرة ١٨٠).

(٢) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٤٧.

(٣) (سورة يوسف ٦٤).

(٤) السيد محمد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣١٣ - ٣١٥.

بالإحتمالات المُختلفة، ويذهب ليشري إليها ما تحتاج من شواهد وامارات كافية، لان تكبر وتنمو في احضان الفكر، فيولّد منها أطروحة، لا تنافي النكهة العقلانية او الروائية.

فتكون أطروحة بتسمية خاصة، حسب اللون الملائم لواقعها (كما سيأتي في انواع الأطروحات) لتعرض قداسة الموروث، من الفهم المُنتبّع عليها، سيّما وان تلك الأطروحة قد استقرّت الملامح العامة، والأبعاد المُختلفة للنص المُقرّر تحليله، وحازت على القرائن الإستدلالية، وذلك جلّي لما قدّمناه من أمثلة سابقة.

### المحور الخامس: الممارسة النقدية، وعدم التسليم للجواب

فالشك وعدم التسليم بأقوال الآخرين، هو المسار العام الذي اتخذه السيد (قدس سره) في اغلب كتاباته، واكثرها في هذا الكتاب، بل حتى يشكّك باقواله، بدليل تعدّد الأطروحات والمُحتملات، التي هي اساس للشك المُمنهج، الفاقد لليقين القطعي، الطارد لتلك المُحتملات.

لذلك فإن السيد الشهيد (قدس سره)، يتحرك في مساحة الإحتمال المشكوك، ليني أطروحة على كل ما يشك بيقينته، لان (روح البحث الحر، الذي يضع كل سند موضع الشك، ووظيفته ان يتقصّى فروض الفكر الإنساني، التي لم يُمحّصها النقد إلى اغوارها)<sup>(١)</sup>.

(١) مُحمّد اقبال، تجديد التفكير الديني في الاسلام، ص ٥.

لذلك فإن هذه الممارسة النقدية، كانت (الفائدة الرئيسية، التي توخيناها من وراء عرض مثل هذه الأطروحات، هي فتح عين القارئ اللبيب، وإلفاته إلى إمكان تجاوز الفكر التقليدي، أو المتعارف في كثير من أبواب المعرفة، لا في جميعها بطبيعة الحال، بل في تلك النظريات المشهورة، التي تعصّب لها الناس، وأخذ بها المفكرون بدون أن تكون ذات دليل متين، أو ركن ركين، وإن كثيراً من العلوم المتداولة تحتوي على شيء من ذلك، وخاصة في مجال القواعد العربيّة، كالنحو، والصرف، وعلوم البلاغة.

فإن أمثال هذه العلوم مشحونة بالنظريات التي أحترمها أصحابها، وأخذوها وكأنّها مُسلّمة الصحة، وبنوا عليها نتائج عديدة، في حين يبدو للمتأمل، زيفها وبطلانها مع شيء من التدقيق، ويكفي في أطروحتنا هذه، أن تكون صالحة لإسقاط الإستدلال، بأمثال تلك النظريات والأفكار<sup>(١)</sup>.

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٤١.

## الخامس: أنواع الأطروحات

عرّف السيد الشهيد (قدس سره) في مقدّمة كتابه، أسلوب الاطروحات، وقد سبق بيانه، حيث تنوعت هذه الأطروحات بموجب ادوارها، ومواضع تعلّقها، ولكن (سيجد القارئ، بعض ما يمكن أن نسميه بالأطروحات الشاذة، أو الآراء النادرة، مع محاولة التأكيد عليها والتركيز فيها)<sup>(١)</sup>، اما بقية المشارب المُختلفة لعرض تلك الأطروحات، فقد اقتنصت من استعراضه للنصوص القرآنية، ونحاول بيان البعض ممّا ذكره منها:

### أولاً: الأطروحة المتعدّدة

وهي مجموعة من الأطروحات يشرع السيد (قدس سره) في بيانها، حين التعامل مع نص معين، وتكون مقبولة إلى حدٍّ ما لدى المتلقي، ويبقى الباب مفتوحاً أمام القارئ اللبيب لاختيار احدها، كبيان للنص بحسب مستوى إدراكه وفهمه، مع العلم انها جميعها لا تكون مُتنافية، ويمكن ان تصدق على المطلب، إلا انه اشترط في جريانها ومقبوليتها، عدم وجود القرائن المُتصلة، كما قال: (ثمَّ إنّ الأطروحات المُتعدّدة غير المشهورة، يمكن أن تفرض في آيةٍ واحدةٍ أو آيتين ونحو ذلك، وأمّا في السياق الكامل، فتوجد قرائن مُتصلة تعيّن فهم المشهور،

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ص ٤٠.

وتنفي الأطروحات الأخرى<sup>(١)</sup>.

ولا يمكن ذكر نموذجاً معيناً، لأن الكتاب قائم على الأطروحات المتعددة، فيذكر في كل آية أطروحات مختلفة، ويعطي لكل أطروحة مجموعة من الاحتمالات والوجوه، ويناقشها إثباتاً ونفيّاً، ويعطي لكل واحد من تلك أدلة، ويناقش الأدلة، ولا يقوم بأعطاء رأيه الخاص، فيوكل مهمة إنطباق الأطروحة على مرادات النص، إلى القارئ اللبيب، فتراه يقول: (وبعد ملاحظة هذه الاحتمالات، وضرب بعضها ببعض، قد يكون الحاصل ما يزيد على مائة احتمال، في ما هو المراد من الآية الكريمة. نعم، ليس كل الاحتمالات قابلةً للانطباق، فلا بدّ من إسقاط بعضها، لعدم مطابقتها للواقع، أو لعدم تماميتها في نفسها، مع أنّها لا تُمثّل فكرة متكاملة، وبلحاظ النتائج قد تكون هناك نتائج ولوازم باطلة)<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: الأطروحة الشاذة

وهي الأطروحة التي صاغها السيد الشهيد (قدس سره)، ببيان خالف فيها آراء المُفكرين والمُفسّرين، الذين اعتمدوا في تحليلاتهم على جمع من النظريات المُسلّمة، وحازت مرتبة البداهة في بناء الكثير من الأسس العلمية على مواردها، لذلك فإن أي مناقشة لبداهتها ستكون مثيرة للاستغراب، كما قال

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع القران، ج ٤، ص ٣٢٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤٢.

(قدس سره): (وعلى أيّ حال، فهذه الأطروحات، بصفتها مخالفة للمشهور العظيم من المفكرين، ستكون شاذة ومثيرة للإستغراب، وأمّا إذا لوحظت بدقة وموضوعيّة، فستكون كسائر الأطروحات، الصالحة للجواب عن السؤال التي هي بصدده)<sup>(١)</sup>.

ومن الموارد التي بيّنها السيد الشهيد (قدس سره) لهذه الأطروحة في مقدّمة كتابه، تسميته للسور القرآنية، حيث طرح السيد الشهيد (قدس سره)، مجموعة من الأطروحات في تسميته للسور القرآنية، مُناقشاً بها المشهور، وهي: (أن نترك تسمية السور، ونستعيض عنه برقمها من المُصحف كما يقترح البعض، من حيث أنّه متكوّن من [١١٤ سورة] فلكلّ سورة رقم مُعيّن، يصلح أن يكون عنواناً لها، وهو نحو من الفكر التجريدي الرياضي، اتجاه القرآن الكريم، من حيث الميل إلى ترقيم آياته، وأجزائه، وأحزابه، وسوره، وكلماته، وحروفه، وغير ذلك)<sup>(٢)</sup>، فإن ذلك هو الأقرب للعمل بها، (كما فعل في عرضه للسور القرآنية)، والاقبل سلاماً عن تناول النقد والإعراض، بعد التنزّل عن الأطروحات الأخرى في تسمية السور.

لذلك فقد فتح الباب امام الباحثين، للفحص عن تسمية جديدة للسور، بمثل ما قدّم من أطروحات في تسميتها (وهذا ممّا أغفله الكثير، بل الجميع)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع القران، ص ٤١.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣) المصدر السابق.

ومنها بيان قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾<sup>(١)</sup>، فقال في بيانها: (وينبغي الإشارة في بداية الكلام، إلى أطروحة شاذة في قراءة قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾، وهي غير موجودة في ضمن القراءات المعروفة، ولذلك عبرنا عنها بالشاذة، وهي: (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُضَيْطِرٍ) بالضاد.

والذي يظهر لنا أن السر في هذه القراءة، هو وقوع الخلط والتصحيف، فإن السين الذي هو الأصل الحقيقي في الكلمة، كتب (صاد)، ثم صار شيء من السواد فوق الصاد، فظنّه القارئ ضاداً. وفي المقام نريد أن ننزل ونفترضه صحيحاً، فنقول: ما هي المادة اللغوية لكلمة (مضيطر)؟.

والجواب: أن مادة (مضيطر) من الإضطرار، والأصل فيها اضطرّ يضطرّ فهو مضطرٌّ، وعند ملاحظة هذه الاشتقاقات، نجده أنه يستعمل لازماً ومتعدّياً. و(مضطرّ) اسم مفعول لا اسم فاعل، لأنّ المادة في الفعل الماضي والمضارع بمنزلة المبني للمجهول، فكأنّه يُفيد هذه الصورة، أعني: الاتّصاف بفعلٍ مجهولٍ، فهو بمنزلة اسم الفاعل، إلا أنّه بصيغة اسم المفعول، فصيغتها الصحيحة (اضطرّ) بمعنى: أن الله تعالى جعل الضرورة للإنسان. وينبغي التأكيد على أمرين آخرين، هما:

**الأول:** أننا نعتبر (اضطرّ) أو (اضطرّ) لازماً غير متعدّ، فلا يصحّ أن نقول: (اضطرّ غيره)، بل الفعل لازم أي: للإنسان دون غيره.

**الثاني:** أننا قد نصيغ للفعل اسم فاعلٍ، فنطرح أطروحة لغوية شاذة، إلا أنّها

تتناسب مع هذه الآية، لو كانت هي آيةً واقعاً، فنقول: ضيطر يضيطر فهو مضيطرٌّ، والمراد: أنك لست قادراً على جعل الآخرين يضطرون للدخول في الإيمان، ويكون المعنى والغرض من كلمة (يضيطر)، ولكن من ناحية الأضطرار. هذا ما أردنا التنبيه عليه في بداية الكلام<sup>(١)</sup>.

ومنها في بيان معنى (تسليم) في قوله تعالى: ﴿وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْلِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، حيث قدّم ستة أطروحات في المراد منها، كانت الأطروحة الخامسة شاذة، وتحتاج إلى قرينة، فقال: (الخامس: لعلّ هناك قراءةً بالقلب (تسليم)، والمراد به لطافة، كلطافة النسيم وهو أيضاً مصدرٌ أو اسم مصدرٍ من نسم ينسم إذا أعطى النسيم أو لطافة النسيم، إلا أنّه يتوقّف على وجود قراءةٍ فيه، فبقى الأطروحة شاذةً، متوقّفةً على ثبوت القراءة)<sup>(٣)</sup>.

ومنها ذكره لأطروحة شاذة، مُقيماً عليها القرائن والبراهين، لجعلها مُحتملاً مُعتبراً، ليسمح بعدها للقارئ بقبولها من عدمه، وذلك حينما وصل المقام به إلى بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾<sup>(٤)</sup>، فقال: (الخطوة الأخرى في قوله: (حساباً) أنّه لماذا لم يقل: و(لا يرجون الحساب) أو (لا يرجون حسابي)؟).

والجواب: أنّ ذلك منافٍ للنسق القرآني لنهاية الآيات، وهذا وجيه في نفسه،

(١) السيد مُحَمّد الصدر، منة المنان في الدفاع القران، ج ٣، ص ٥٥.

(٢) (سورة المطففين ٢٧).

(٣) السيد مُحَمّد الصدر، منة المنان في الدفاع القران، ج ٤، ص ٢٨٠.

(٤) (سورة النبأ ٢٧).

إلا أنَّ هناك جواباً آخر من الجهة المعنويّة، حاصله: أنَّ (حساباً) نكرةٌ، ومعه يمكن أن نشير إلى أمرين:

**الأوّل:** أنّها بمعنى: أنّهم لا يرجون أيّ حسابٍ، بالعموم، لأنّها نكرةٌ في سياق النفي.

**الثاني:** أن تكون بمعنى النكرة المضافة إلى ياء المتكلّم، أي: (حسابي) على طريقة: يا قومي ويا ربّي، إلا أنَّ وجود الألف يبعد هذا الإحتمال، فيبقى وجود الياء تقديراً صرفاً، اللهمّ إلا أن يُقال على نحو الأطروحة الشاذّة، بانقلاب الياء ألفاً، فهو موجودٌ على شكل ألف، وليست هذه الألف للنصب، بل يُراد بها ياء المتكلّم، ومن القرائن العامّة على ذلك، وجود التشابه بين كتابة الياء والألف المقصورة، وهو ممّا يقرب بين النطقين في الارتكاز اللغوي العربي ولعلّ من تطبيقات ذلك قولهم: بابا وماما، يعني: أبي وأُمّي بياء المتكلّم ومنه جدّاه يعني: جدّي<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: الأطروحة النادرة

وهو ماعبر عنه السيد الشهيد (قدس سره) بالرأي النادر، حيث يطرح السيد مجموعة من الآراء والمباني، في مقابلته للنص القراني، ويكون من ضمن تلك الآراء رأياً مُتحقّق الثبوت، إلا انه لم يُلتفت إليه من قبل، وقد لا تختلف عن الأطروحة الشاذّة، إلا انه لا يمكن استعمالها لندرته.

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، مئة المنان في الدفاع القران، ج ٥، ص ٥٣١.

ومنها: جوابه عن محل اعراب (إذا) في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ﴾<sup>(١)</sup>، حيث يذكر السيد الشهيد (قدس سره)، ان المصادر لم تتعرّض لها، حتى العكبري والسيد الطباطبائي ايضاً، فذكر لذلك مجموعة من الأطروحات، كانت الأولى منها، أطلق عليها بالأطروحة النادرة، فقال: (أنّها فجائية - وقد تكون هذه أطروحة شاذّة، وأنا لا أقول: إنّها غير شاذّة، ولا بأس أن تكون شاذّة بمعنى: أنّنا لم نكن نتوقّع أن نراه بدرأ، لأنّ أغلب أحواله هو النقصان، فالمفروض أنّه يدوم على النقصان، وإذا به قد أصبح بدرأ، وهي صورة متحرّكة مفاجئة)<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ذكره في بيان المراد من (الشفق)، في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾<sup>(٣)</sup>، أطروحات متعدّدة، للتفريق بين حمرة الافق، والشفقة، واي منهما الأصل، فقال في أطروحة استعرضها للجواب، مُستعملاً فيها مُحتملاً شاذّاً لاثباتها وتقريرها، فقال في الأطروحة الثانية: (أنهما مادّة واحدة، ومن منشأ واحد، وأصله الشفق بمعنى: الحمرة، ولا بدّ أنّ أحدهما أصل والآخر فرع، ولا يمكن أن يكون كلّ منهما أصلاً، فعلى هذا المعنى يكون بينهما تباين، أي: إنّ أحدهما بالأصل حقيقي والآخر مجازي، ثمّ أصبح حقيقياً بسبب كثرة الاستعمال، والأصل هو الحمرة، وأصله الشفق بمعنى الحمرة، وهي اختلاط

(١) (سورة الأنشقاق ١٨).

(٢) السيد مُحَمّد الصدر، منة المنان في الدفاع القران، ج ٤، ص ١٥٧.

(٣) (سورة الأنشقاق ١٦).

الضوء بالظلام، وحينئذٍ نطبِّقه على الشفقة، والشفقة اختلاط ضوء المحبة بظلام الخوف، وفيه أيضاً نحو شفقٍ، لكنّه شفقٌ باطني، وليس شفقاً ظاهرياً. ويؤيّد هذه النقطة: أنّه وضعٌ واحد، وجامعٌ معنوي أو مشتركٌ معنوي بينهما.

والوجه فيه: أنّ الشفقة والشفق مذكّر ومؤنّث، وقد أضفنا إليه فقط تاء التأنيث، فهل من المحتمل أنّنا عندما نضيف تاء التأنيث، يكون معنىً مابيناً؟ ولعلّ نظيره قولهم: تمر وتمرّة.

فمن هذه الناحية لا يحتمل على كلّ حال، الاستبعاد إلى درجة الظنّ الراجحة، والاطمئنان أنّ المؤنّث، لا يكون مابيناً للمذكّر إلا ما ندر، ولعلّ هذا من النادر، إلا أنّ هذا بمنزلة القرينة على وحدة الوضع، لا بنحو الاشتراك اللفظي<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: الأطروحة الضعيفة

حينما يتعامل السيد الشهيد مع النصوص القرآنية، فإنه يطرح كل ما يعترى الذهن من أطروحات، ومن ضمنها تقع الأطروحة الضعيفة، التي لا تُقاوم، ولا تسجلب القرائن اللازمة لتنهض.

**فإن قلت:** ان كان كذلك، فما الداعي ل طرحها.

**قلنا:** لأجل الحفاظ على الأطروحات المُعتبرة، والقريبة للانطباق على

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، مئة المنان في الدفاع القران، ج ٤، ص ١٤٥.

المصدق، فينبغي ان نطرح كل ما يُحتمل ان يدور في دائرة المُحتملات، وان كانت ضعيفة، ليقوى لدينا الإحتمال المُضاد، فيسقط ما لا تقوم عليه القرائن المحفوفة بالأخبار والعقل، وتبقى ما توفرت عليه، فتصدق.

ومن ذلك ما ذكره في بيان (ما) في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، فقال: (إمّا أن تدلّ على الاستفهام، وإمّا أن تدلّ على الاستفهام الاستنكار، وإمّا تعجيبيّة، وإمّا أن تكون نافيةً أو مصدريةً أو ظرفيّة، واحتمال كونها موصولة ضعيف، لأنّ (ما) مبتدأ - على بعض التقادير - ليس له خبر، مع أنّه مخالفٌ للسياق)<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، حيث ذكر عدة مُحتملات للفارق بين (الواو) (والفاء) في الآية، مع مناقشاته للسيّد الطباطبائي بين وجه الخلاف، ثمّ ذكر في ختام كلامه مجموعة من الأطروحات والوجوه لقراءة جديدة، إلا انها تتسم بالضعف والركّة، ولا يمكن التعويل عليها، بل ما ذكره الباري ﷻ هو الأنسب والأدق: (إنّ سياق الآية الكريمة، بحاجة إلى كلا الحرفين: الأوّل: الواو للدلالة على العطف على ما قبلها، والثاني: الفاء للدلالة على بيان النتيجة لما قبلها، وكلّ منها لا تقوم به الأخرى، ومع ضرورة الجمع بينهما، لا بدّ من اختيار ترتيب اللفظ، بحيث ينسجم ذوقاً

(١) (سورة الأنفطار ٦).

(٢) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع القران، ج ٤، ص ٣٧٤.

(٣) (سورة المطففين ٢٦).

ويكون مناسباً مع البلاغة، وقد اختارت الآية أحسن تلك الوجوه، كما هو واضح لمن يُقَلِّب الاحتمالات الأخرى، منها: أن يقول في ذلك فليتنافس (بدون حرف عطف)، أو يقول: وفي ذلك ليتنافس (بدون فاء)، أو يقول: في ذلك لينافس، أو يقول: ففي ذلك لينافس، أو: ففي ذلك وليتنافس، وهذه الوجوه كلّها ضعيفة، وما في الآية هو المُتَعَيِّن<sup>(١)</sup>.

#### خامساً: الأطروحات المتنافية وغير المتنافية

ويستظهر من بعض التعاملات مع الخطابات القرآنية باكثر من وجه، فتارة تكون غير متنافية في توجيهها للنصوص القرآنية، وتارة أخرى تكون متنافية، اي إذا اخذنا باحد تلك الوجوه، فهذا ينافي الوجوه الأخرى، التي قام عليها الفهم العام، فتسقط جميع تلك المُحتملات، لتداخل التناف في الافتراض القائم على التعارض بين مدلولاتها.

فقد ذكر مجموعة من الاطروحات غير المتنافية، في بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾<sup>(٢)</sup>، مُتَسَائِلًا عن الحسنات المُنجية؟.

فقال: (جوابه: هناك عدة أطروحات لذلك، وهي غير متنافية بل يمكن صدقها جميعاً، بل لعلّه المتعين:

**الأولى:** إن الحسنات لا تكون مُنجية إلا بالولاية، وأما مع عدمها فوجودها كعدمها.

(١) السيد مُحَمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع القران، ج ٤، ص ٢٧٦.

(٢) (سورة هود ١١٤).

**الثانية:** إنّ المدار هو العلم والجهل، فحسنات العالم حسنات، وأما حسنات الجاهل فليست حسنات؛ لأنه لا يعلم انها حسنات فهي تدنيّة إلى درجة كبيرة.

**الثالثة:** أن يكون الفرق بينهما، في وجود قصد القرية وعدمه، فمع وجوده في الحسنات، فهي تثقل الميزان، وأما إذا لم تكن حسناته قرينة إلى الله، كما هو الأعم الأغلب، فهي لا تثقل الميزان.

**الرابعة:** إن المدار هو القصور والتقصير، فإن كان الفرد مُقَصِّراً، رجحت سيئاته على حسناته، وإن كان قاصراً، رجحت حسناته على سيئاته، ومنه القول المشهور عن المجتهد المُسْتَنْبِط للأحكام: إنّه إن أصاب فله كفلان من الثواب، فإن أخطأ فله كفل واحد من الثواب<sup>(١)</sup>.

ومنها: ذكره لمعنى (الليل) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾<sup>(٢)</sup>، عدة أطروحات كانت: (الأطروحة السابعة: أنّ المراد كلّ ذلك، فهذا يجمعه وهذا يجمعه، وهي ليست أطروحات متنافية، بل هي قابلة للجمع، فيكون المراد كلّ ذلك وغيره، ممّا يخطر في البال أو لا يخطر، ممّا يؤثر الليل في جمعه، ويكون سبباً أو مُعدّاً أو شرطاً لجمعه باصطلاح المنطق)<sup>(٣)</sup>.

ومنها: في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ذكر السيد الشهيد (قدس

---

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع القران، ج ١، ص ٤٠٠.

(٢) (سورة الأنشاق ١٧).

(٣) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع القران، ج ٤، ص ١٥١.

(٤) (سورة الإخلاص ١).

سره)، بعد مجموعة مناقشات، (سؤال: لماذا وجد الضمير [هُوَ] في هذا المحل من الآية الكريمة)؟<sup>(١)</sup>.

وذكر في الجواب اربع صور، كانت الصورة الثالثة غير مُحتملة، لوجود التنافي فيها، فقال: (الصورة الثالثة: أن يكون معناه كونه دالاً على الذات، وإعرابه كونه ضمير فصل، فهو غير مُحتمل، لوجود التنافي بين هذين الإحتمالين، مضافاً إلى لزوم كون الدال على الذات، مُتكرراً في الآية، وهو الضمير ولفظ الجلالة)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٩٣.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٩٣.

## المبحث الثاني الطريقة الرياضية

### أولاً: المعنى الاصطلاحي

هو قيام المُفسّر باستعمال الأدوات الرياضية، كالمعادلات والأرقام، في تحديد المعنى المستفاد من الآيات القرآنية، نعم هناك بعض النصوص القرآنية، التي يُمثّل فيها الحساب، دوراً هاماً في التعرف على مطلبها، لكنها قليلة ونادرة. إلا ان الأغلب ممّن استفاد من تطبيقات هذه الأفكار والرؤى على النصوص القرآنية، هو ممّن أتخذ إلى علم الأعداد والحروف سبيلاً، وجعل منه أداة طوعية لممارسة هذا الأسلوب، في استخراج مفاهيم أجنبية عن الظاهر القرآني بنحو ما.

فصار باحثاً في حساب الأبجد الصغير والكبير، ليعطي للحرف عدداً مُعيّناً، ثمّ يقوم بحساب تلك الأرقام للجملّة، ليطبّق رؤية ما، تتناغم ومبتنياتة الشخصية. فهذا الأسلوب فضلاً عن تقنيته في مربع التفسير بالرأي، فهو لم يقم عليه الدليل، والحجة الشرعية المُعتبرة لتفسير النصوص القرآنية، اصف لذلك هو ليس بأسلوباً رياضياً مُعتبراً عند العقلاء، واصحاب الاختصاص، وليس من ذراري علم الرياضيات، لا من قريب ولا من بعيد.

إلا ان المتعارف عند العقلاء، في تقسيمهم لأبواب العلوم والفنون، فانهم

يصنفون علم الحروف هذا (إن صدق عليه علم، وإلا فلا)، في ابواب الطلاسم والزائجات وعلم الرمال، وما يندرج تحته، ولم يستعمله أحد (حسب فهمي) من العلماء، عند بيانه للنصوص القرآنية.

### ثانياً: أستمالات السيد الشهيد (قدس سره) الرياضية

استعمل السيد الشهيد الصدر (قدس سره) المعادلات الرياضية، في الكثير من ابحاثه المُختلفة، حيث لم يكن ببعيد عن منهج الإستقراء الذي جاد به يراع أستاذه السيد مُحَمَّد باقر الصدر (قدس سره) في كتابه (الأسس المنطقية للإستقراء)، ومناقشاته لنظريات برنولي وهيوم وبراندت راسل وغيرهم. ولم ينحصر الأمر في كتابه التفسيري، بل احتوى مُصنّف (ماوراء الفقه)، على العديد من المعادلات الرياضية، وتطبيقاتها المُختلفة على أبواب الفقه، كالارث، وتحويل العملة، وحساب سمت القبلة، ومعرفة الأحكام الخاصة بالتركيبات الكيميائية، واستحكام رأي الشارع فيه، وغير ذلك كثير.

كما استعمل السيد المعادلات الرياضية في مباحثه الأصولية، في كتاب (منهج الأصول)، وأيضاً في كتاب (موسوعة الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف، وفق إسقاطات نظرية الإحتمال الرياضية وغيرها، وهذا ممّا رأيناه وقرأناه لغاية طباعة الكتاب، وإلا فهناك الكثير لا زال مخطوطاً.

### ثالثاً: الرياضيات والنصوص القرآنية

في المباحث القرآنية كان لهذا الأسلوب وجوداً فعالاً وبيّناً، في العديد من

المواطن، حيث اطلق عليه (قدس سره)، بـ(الفكر الرياضي التجريدي)، عند استعراضه الأطروحات المتعدّدة، لتسمية السور القرآنية بأسماء أرقامها، فقد أسّس لمُحتملاً بـ(أن نترك تسمية السور، ونستعيز عنه برقمها من المُصحف كما يقترح البعض، من حيث أنّه متكوّن من [١٤ سورة]، فلكل سورة رقم معيّن يصلح أن يكون عنواناً لها، وهو نحو من الفكر التجريدي الرياضي تجاه القرآن الكريم، من حيث الميل إلى ترقيم آياته، وأجزائه، وأحزابه، وسوره، وكلماته، وحروفه، وغير ذلك)<sup>(١)</sup>، وقد مرّ ذكر تلك المناقشة سابقاً.

كما استعمل السيد مفهوم التقريب، لإيجاد التناسق الإيقاعي بالكشف عن محتملاتها، وذلك حينما تعرض لمناقشة الأطروحات الخاصة بسورة التوحيد، وعدلها ثلث القرآن الكريم، وحساب الحسنات والسيئات، وضرب عدد المُحتملات، وأعداد الشهور في سورة القدر، ونسب الإيمان وتفاوته وغير ذلك، مُعتمداً ومُعقداً بـ(انها مسائل علمية غير قابلة للنقاش، حيث نجد انه يشير إلى القارئ بقوله (راجع وطبّق) وكأن لديه قانون حسابي، فيطلب من القارئ ان يراجع ذلك القانون، ويطبق عليه المسألة الحسابية)<sup>(٢)</sup>.

وفي مناقشة لطيفة لاحاديث البطون، طرح السيد أطروحة، وناقشها بلغة رياضية فلسفية، حيث جاء في (الإشكال السابع: ان ما هو مخزون في القرآن الكريم ظاهراً وباطناً، ليس هو كل ما في علم الله سبحانه، بل ان علم الله أوسع،

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٤٧.

(٢) سناء المحمداوي، المنهج التفسيري والبناء الفني في منة المنان، ص ١٤٢.

وبتعبير آخر: ليس باطن القرآن هو علم الله، بل ما دونه.

وما ثبت انه لا متناهي وغير محدود، هو علم الله عز وجل، لأنه عين ذاته وهو لا متناه، إذن علمه لا متناه، اما ما دونه فهو متناه ومحدود، إذن فعلم القرآن محدود.

جوابه: انه ناشيء من تخيل ان اللامتناهي ليس فوقه شيء، من حيث كونه لا متناهيًا، إذ ليس فوق اللانهاية زيادة.

مع ان هذا قابل للمناقشة، ويكفي ان نسمع كلمة الفيلسوف الإلهي الشيخ ملا هادي السبزواري عن الله ﷻ: انه فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى، إذن فاللامتناهي ليس هو الحد الأعلى، بل فوقه درجات أيضاً.

ويكفي ان نلتفت إلى إننا سبق ان قلنا، ان اللامتناهي المرموز إليه بهذه العلامة (&) قابل للعمليات الرياضية الأربعة، على ان يكون طرفاها من نفس النوع.

فهذا الذي عبر عنه الشيخ السبزواري هو &+&. ويمكن &×& و &÷&. كما يمكن &أس لا متناهي، أي مضروب في نفسه لا متناهي مرة.

وعلى أي حال، فيمكن ان نفهم الآن، ان علم القرآن وان كان لا متناهيًا، إلا انه اللامتناهي الأدنى، وعلم الله هو اللامتناهي الأعلى، فيثبت ان القرآن دون علم الله سبحانه، إلا انه غير محدود، واندفع بذلك ان ما هو اقل من اللامتناهي، يجب ان يكون متناهيًا<sup>(١)</sup>.

(١) السيد محمد الصدر، منهج الاصول، ج ١، ص ٤١٢.

واللامتناهي إذا اضيف له اللامتناهي، فينتج لدينا لا متناهي أكثر عمقاً بالجانب الإيجابي اللامتناهي، فإن كان الأول رياضياً فالثاني فلسفياً، كالفرق تماماً بين النقطة الهندسية والنقطة الفلسفية<sup>(١)</sup>، حيث ان (النقطة بسيطة هندسياً من حيث إنها ليست جسماً ولا سطحاً ولا خطاً، فهي بسيطة من جميع الجهات فهي مجرد فرض عقلي، وليست مادة، وهذه البساطة المشار إليها في الرواية، بساطة فلسفية، والنقطة ذات بساطة هندسية، والبساطة الفلسفية مُستقاة مجازاً من البساطة الهندسية، وإلا فإن بساطة الروح لا تماثل بساطة النقطة، إلا بعنوان البساطة)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا الحال فإن الفيلسوف السبزواري، أضاف اللامتناهيات لبعضها، بالعمليات الثلاث، حسب الإعتبارات العقلية ليتنج ما لا يتناهي فيما لا يتناهي. ان قلت: لماذا لم يستعمل عملية الطرح، إضافة للعمليات الثلاث الأولية. قلنا: ان حصل ذلك، فسوف يعتبر الذهن وجوداً لامتناهياً أقل، ليقترّب إلى حدّ المتناهي، فيكون متناهيّاً، كما هو الحال في النقطة العددية، فإن إعتبارات الإضافة لا تصل إلى حد مطلوب، بل تسير وفق اللانهاية، اما إذا اخذت منها عدداً، فستصل إلى الصفر وبالتالي يبدأ بالسالب، فيكون حاملاً للنقص في المتناهي العددي، وان كان أيضاً اللامتناهي بالمعنى السلبي مُتحقّق أيضاً، وهو السير باللامتناهي فيما دون الصفر إنحدار.

(١) وقد فصلنا الكلام حولهما، في بحثنا الموسوم (رسالة في مبحث النقطة)، الذي لا زال مخطوطاً.

(٢) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٧٠.

وهذا الأمر يتحقق بالنسبة إلى اللامتناهي العقلي، حيث يمكن الحصول على إشارات تطبيقية رائعة على هذا النحو، في جانب السلوك العملي للإنسان.

#### رابعاً: نماذج تفسيرية

كثيراً ما كان (قدس سره)، يتعامل بلغة الأرقام، في تحديد مجموعة من الاحتمالات، لا طروحة ما، او مجموعة من الأطروحات لمعنى معين، وهناك الكثير من التطبيقات في مؤلفاته وكتبه، إلا أننا وبموجب الإلتزام بضوابط خطة البحث، نكتفي ببيان بعض ما ذكره في كتاب (منة المنان). ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾<sup>(١)</sup>، فقد ذكر (إنَّ معاني (العشار) ستّة، ومعاني (عُطِّلَتْ) ثمانية، فيصبح العدد (٤٨)، بمجموع ضرب ٦ × ٨ ونذكر فيما يلي بعض النماذج، كأطروحات للمعنى، وإنّما سنذكر عشرة، ونحيل الباقي إلى فطنة القارئ اللبيب)<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما ذكره في بيان قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾<sup>(٣)</sup>، (وأمّا مادّة (سير) فالسير يعني قطع المسافة، والمسافات مُتعدّدة الحصص والمصاديق، والمشهور عرفاً وعملاً هو المسافة المكانية، إلا أنّها قابلة للحمل على أمور أُخرى، كالمسافة الزمانيّة أو السير الزماني، ودرجات الكمال والتسافل،

---

(١) (سورة التكوير ٤).

(٢) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٢٠.

(٣) (سورة التكوير ٣).

والانتقال من عالم إلى آخر، وبضرب بعض الاحتمالات ببعض تكون المعاني كثيرة<sup>(١)</sup>.

ومنها: في مناقشة فلكية حول قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد استعمل الأسلوب الرياضي لاثبات بعض النظريات الفلكية، فقال: (ولمّا كانت الأبراج الثابتة اثني عشر، والنجوم المتحرّكة تسعة، أمكن أن نرى كلّ واحدٍ من السيّارات المتحرّكة، في أيّ من البروج، فيكون للمشتري ١٢ برجاً، وللمريخ ١٢ برجاً وهكذا. أمّا إذا قلنا: إنّ السيّارات ١٢ - بإضافة أورانوس ونبتون والقمر إليها - فتكون النتيجة:  $12 \times 12 = 144$  برجاً، أي: حالة برجية.

ثمّ إنّّه قد يُقال: إنّ النجوم الثابتة والسيّارة، يمكن أن تكون أبراجاً بحدّ ذاتها، ومعه تكون الأبراج ٢٤، عدد الثوابت منها ١٢، ومثلها عدد المتحرّك. وأمّا الانتقال من برجٍ إلى آخر، فمحالٌ؛ إذ لا ينتقل الحوت من برجه إلى برج الميزان، وهكذا.

والوجه فيه: أنّ الأبراج غير متحرّكة؛ لأنّها بحسب الفرض ثابتة، فانتقالها من برجٍ إلى آخر، خلف ثباتها، أو خلف فرض ثبوتها. فإذا قلنا: إنّ عدد الأبراج ٢٤ وما فيها ١٢، كان الحاصل  $12 \times 24 = 288$  حالة برجية. ويلزم الرجوع في هذه العلوم إلى أهل الخبرة والاختصاص<sup>(٣)</sup>.

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ١٥.

(٢) (سورة البروج ١).

(٣) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٢٣٨.

## المبحث الثالث الطريقة العرفية

### أولاً: المعنى الإصطلاحي

قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: (والمعروف بالشيء الدال عليه، واعترف به أقر، وفلان سأله عن خبر ليعرفه، وتعارفوا عرف بعضهم بعضاً)<sup>(١)</sup>، وعرفه ابن عابدين بقوله: (العادة مأخوذة من المعاودة، فهي بتكررها ومعاودتها مرة بعد أخرى، صارت معروفة، مُستقرة في النفوس والعقول، مُتلقاة بالقبول، من غير علاقة ولا قرينة، حتى صارت حقيقة عرفية، فالعادة والعرف بمعنى واحد، من حيث المصداق، وإن اختلفا من حيث المفهوم)<sup>(٢)</sup>. وقال الجرجاني: (العرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبايع بالقبول)<sup>(٣)</sup>، وعرفه الاستاذ علي حيدر في شرحه للمجلة، عندما عرف العادة بقوله: (هو الأمر الذي يتقرر بالنفوس، ويكون مقبولاً عند ذوي الطباع السليمة، بتكراره المرة بعد المرة).

ويرد على هذه التعاريف: (أخذها شهادة العقول، وتلقي الطبايع له بالقبول

---

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين، رسالة نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف، ج٢، ص ١١٤.

(٣) علي بن مُحمّد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، ص ١٩٣.

في مفهومه، مع ان الاعراف تتفاوت، وتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، فهل تختلف العقول والطباع السليمة معها أم ماذا؟. ثمّ ان قسمًا من الأعراف أسموها بالأعراف الفاسدة، فهل ان هذه الأعراف ممّا تقبلها العقول والطباع السليمة؟! وكيف يتسع التعريف لها، وهي مجانية للسليم من الطباع! مع أنهم جميعًا يذكرون في تقسيماته، انقسامه إلى فاسد وصحيح، إلى غير ذلك ممّا يرد عليها<sup>(١)</sup>.

وعرّفه عبد الوهاب خلاف عندما قال: ان (العرف ما تعارفه الناس وساروا عليه، من قول أو فعل أو ترك، ويسمّى العادة)<sup>(٢)</sup>، وفي موضع آخر قال، بان العرف هو: (ما اعتاده الناس من المعاملات، واستقامت عليه أمورهم)<sup>(٣)</sup>، ويردّه: انه بيّن مفهوم العرف بمصطلح العادة، مع وجود الفارق بينهما.

اذن فالعرف هو ماتواضع عليه الناس، واصبح معروفًا لا ينكر عندهم، لبداهته ووضوحه، سواء على مستوى اللغة او الخطاب، او على السلوكيات والظواهر الاجتماعية.

وهذه البيانات المتقدّمة لتوضيح المفهوم، محل تأمل، يمكن ان تواجه بالعديد من الإستفهامات، نذكر البعض منها:

هل ان كل تواضع بين جماعة من الناس، يصدق عليه المصطلح. وان

(١) مُحمّد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقّه المقارن، ج ١، ص ٢٩٦.

(٢) عبد الوهاب خلاف، اصول الفقه، ص ٨٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

صدق وكان بديهيًا بينهم، هل سيكون نظريًا لغيرهم. وهذا العرف المتواضع هل له مستوى من الحاكمية، وما حدودها. وهذه الأحكام العرفية، هل تندرج ضمن الأحكام العقلائية، أو العقلانية، أو العقلية. ومخالفة الحكم العرفي هل ستكون مخالفة لحكم العقلاء، وتتسم بالقبح، والمطاوعة توسمه بالحسن. وهل المرة والتكرار ينتج لنا عرفًا. وهل ما كان عرفًا في جماعة، بالوجوب المُجتمعي ينطبق على أخرى، وهل يتوجب أن يكون كل عرف حسن، حسنًا عند الغير متواضعين عليه، أو يتسم بالقبح، وما المعيار. وإذا تحصل لدينا جمع من الإستقراءات، هل نتواضع بعرفيتها.

وغير ذلك من التساؤلات التي تنقدح في الذهن، والتي تحتاج إلى إستقلالية بحث، لكننا لا نحتاج إلى الدقة في التعريف بالحدود والرسوم، بل استجلاء لمعنى يبين وواضح، يتناسب ومقام البحث، فالعرف المبحوث هنا، هو اللغة التي يتخاطب بها عوام الناس فيما بينهم، تعبيراً عن مراداتهم الجدّية.

### ثانياً: الفرق بين العرف والعادة

وعلى الأرجح ان التعاريف السابقة للعرف، انطوت على المُمازجة مع مفهوم العادة، وهو قيد أخذ في تعريفها، مع وجود الفارق البين بينهما. فالعادة في اللغة، يطلق على تكرار الشيء مرة بعد أخرى، كما قال صاحب اللسان: (العادة: الديدن يعاد إليه معروفة، وجمعها عاد وعادات وعيد، والأخير ليس بالقوي، والمعاودة: الرجوع للأمر الأول. يقال للشجاع: بطل معاود)<sup>(١)</sup>.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣١٦.

اما الفيروز ابادي فقد عرّفها: (العادة: الديدن، والمعاود المواظب والبطل، وأعادته إلى مكانه رجعه، والكلام كرّره)<sup>(١)</sup>، وجاء في المفردات: (العود الرجوع إلى الشيء، بعد الانصراف عنه، إما انصرافاً بالذات أو بالقول والعزيمة)<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر القران الكريم مفهوم العادة، في اكثر من موضع، حيث قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وهو تأكيد لمعنى تكرار الفعل.

ومن خلال التعاريف، يمكن ان نلتمس وجود إتجاهات ثلاث لمفهومي العادة والعرف:

**الإتجاه الأول:** وهو الذي يرى عدم وجود الفارق بينهما، فالعرف هو العادة، كما جاء في تعريف ابن عابدين: (الذي يرى فيهما وحدة المصداق واختلاف المفهوم)<sup>(٥)</sup>، واما بخلاف: (فلا يرى اي فرق بينهما)<sup>(٦)</sup>.

**الإتجاه الثاني:** ان العادة تختلف عن العرف، حيث يذكر الدكتور صالح عوض: (أن المراد بالعادة العرف العملي، والمراد بالعرف العرف القولي) واما الفناري فقال: (ما بدلالة العرف قولاً: والعادة فعلاً)<sup>(٧)</sup>، والتفتازاني قد يفرق

(١) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج ١، ص ٣٣٠.

(٢) الراغب الاصفهاني، المفردات، ٢٣٥١.

(٣) (سورة المؤمنون ١٠٧).

(٤) (سورة الأنعام ٢٨).

(٥) مُحمّد أمين الشهير بابن عابدين، مجموعة رسائل ابن عابدين، ج ٢، ص ١١٤.

(٦) د. عبد الوهاب بخلاف، علم اصول الفقه، ص ٩١.

(٧) الدكتور سيد صالح، اثر العرف في التشريع الاسلامي، ص ٦٠.

بينهما: (باستعمال العادة في الأفعال، والعرف في الأقوال)<sup>(١)</sup>، والفرق بينهما بيّن واضح.

**الإتجاه الثالث:** من يقرّر بوجود عموم وخصوص مطلق، فالعرف أعمّ من العادة مُطلقاً، فكل سلوك جماعي يُطلق عليه (عرف)، أما السلوك الفردي فيُطلق عليه (عادة)، فكل عرف عادة ولا عكس، وذذهب إلى هذا الرأي ابو سنة<sup>(٢)</sup>، ومصطفى الزرقا<sup>(٣)</sup>.

ومن الممكن بيان بعض الملاحظات على تلك الإتجاهات: فاما الأول منها: فمن غير الممكن وجود إتفاق مصداقي، واختلاف مفهومي بينهما، لإنعدام الرابط العام المُشترك المائز باختلاف الأثر، ووحدة الأصل، فالتغاير جاري في العرف، الذي يكون له حظ من الأحكام العقلائية، بينما ينعدم جريانه في العادة، التي ليس لها صلة بأحكام العقلاء.

واما الإتجاه الثاني: فالاختلاف ثابت، ولكن التفريق مُشوّش فمن الممكن ان يكون العرف مقالي، كما يمكن ان يكون عملي، كما لو تعاهد جمع من الناس، على كيفية خاصة في اداء التحية والسلام، ونحوه من المصاديق الأخرى، الظاهرة من السلوكيات العامة لأفراد المُجتمع.

نعم في الإتجاه الثالث: يكون الكلام له حظ من الواقع، فالعرف أعمّ من

(١) سعد الدين بن عمر التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح، ج ١، ص ١٦٩.

(٢) احمد فهمي ابو سنة، العرف والعادة في رأي الفقهاء، ص ١٣.

(٣) مصطفى احمد الزرقا، المدخل الفقهي العام، ج ٢، ص ٨٤١.

العادة، التي تكون سلوكاً فردياً، او قولاً خاصاً، وقد يتعاهد عليها جمع من الناس، لتكتسب بالمرّة والتكرار مساحة بيّنة، فتنتشر وتتوسع، وتكن معروفة، فتكتسب عرفيتها حينئذٍ، او قد لا تنتشر، فتتحصّر، فلا تكون عُرفاً سائداً.

### ثالثاً: أقسام العرف

ذكر السيد مُحمّد تقي الحكيم، مجموعة من التقسيمات المُختلفة للعرف، في كتابه (الاصول العامة للفقّه المقارن)، والتي من الأفضل ذكرها، دون التعليق عليها، لبيانها ووضوحها، وهي:

١- (العرف العام: ويراد به، العرف الذي يشترك فيه غالبية الناس على اختلاف، في أزمانهم وبيئاتهم وثقافتهم ومستوياتهم، فهو أقرب إلى ما أسموه ببناء العقلاء. وينتظم في هذا القسم، كثير من الظواهر الاجتماعية العامة وغيرها، أمثال رجوع الجاهل إلى العالم، وعدم نقض اليقين بالشك، وعادة التدخين.

٢- العرف الخاص: وهو العرف الذي يصدر عنه فئة من الناس، تجمعهم وحدة من زمان معين او مكان كذلك، او مهنة خاصة، او فن، كالأعراف التي تسود في بلد، او قطر خاص، أو تسود بين أرباب مهنة خاصة، او علم او فن، ويدخل في هذا القسم، كثير من عوالم أستمالات الألفاظ، وإعطائها طابعاً خاصاً، له تميزه عند أهل ذلك العرف، وقسم من المعاملات، التي يتميزون بها عن غيرهم من أهل الأعراف الأخر، كما ينتظم في هذا، أنواع السلوك، التي تتصل بأداب اللياقة وأصول المعاشرة.

٣- العرف العملي: وأرادوا به العرف الذي يصدر عن، في قسم من أعمالهم الخاصة، كشيوع البيوع المعاطاتية في بعض البيئات.

٤- العرف القولي: وهو الذي يُعطي الألفاظ عندهم معاني خاصة، تختلف على مداليلها اللغوية، وعن مداليلها عند الآخرين من أهل الاعراف، كاطلاق العراقيين لفظة الولد على خصوص الذكر، بينما يطلق في اللغة على الأعم من الذكر والأنثى.

٥- العرف الصحيح: وهو ما تعارفه الناس، وليست فيه مخالفة لنص، ولا تفويت مصلحة، ولا جل مفسدة، كتعارفهم إطلاق لفظ على معنى عرفي له غير معناه اللغوي، وتعارفهم على وقف بعض المنقولات، وتعارفهم تقديم بعض المهر وتأجيل بعضه، وتعارفهم أن ما يقدمه الخاطب إلى خطيبته من ثياب وحلوى ونحوها، يعتبر هدية، وليس من المهر.

٦- العرف الفاسد: وهو الذي يتعارف بين قسم من الناس، وفيه مخالفة للشرع، كتعارفهم بعض العقود الربوية، أو لعب الشطرنج أو ارتياد الملاهي، وشرب المسكرات، وغيرها مما عُلِم من الشارع المُقدّس الردع عنه<sup>(١)</sup>.

## رابعاً: الفهم العرفي للنصوص

إذن فلا يكاد يخلو تفسيراً للنصوص القرآنية، مُغادراً لذلك الأسلوب، لان

---

(١) السيد مُحمّد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقهاء المقارن، ج ١، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

وينبغي ان ننوه ان السيد في بيانه لتلك التقسيمات، قد قابل بين تلك الأقسام، حيث كان الأول بلحاظ العموم والخصوص، والثاني بلحاظ النظري والعملي، والثالث بلحاظ الصحة والفساد، فقمنا بتصنيفها ودمجها، للإختصار.

القران الكريم، نُزِّلَ بِلِسَانٍ بَيِّنٍ وَوَاضِحٍ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك من الآيات القرآنية المباركة، التي تُعطي تصوراً حسيّاً ظاهريّاً للأشياء.

لذلك فإن السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، حاول التبسيط في عرضه للنصوص القرآنية، باستخدام الفهم العرفي، كما قال: (فإنني وإن حاولت الإيضاح والتبسيط في البيان، إلا أنّه بقي الغموض النسبي موجوداً بلا إشكال، لوضوح أنّ التبسيط الزائد المتوقع، يقتضي التضحّيّة بالمعاني الدقيقة واللطيفة، وإنّما تقومُ بذلك اللغة الاصطلاحية المتفق على دقتها و صحتها، وليست هي لغة الجرائد كما يُعبرون)<sup>(٤)</sup>.

وهذا الأسلوب في توضيح تلك الخطابات والإرادات الإلهية، بما يلائم والفهم العرفي، من شأنه ان يقضي على المعاني الأعمق الكامنة في النصوص القرآنية، ويستلزم التنازل عن الفهم الدقي لها، لان الفهم العام حجة، ومرجع في

(١) (سورة إبراهيم ٤).

(٢) (سورة مريم ٩٧).

(٣) (سورة الشعراء ١٩٣ - ١٩٥).

(٤) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القران، ج ١، ص ٣٢.

تعيين مدلولات الألفاظ، وهو ما يُسمى في علم الأصول بـ(حجية الظهور).  
على كل حال فإن السيد الشهيد (قدس سره)، قد سلك أسلوباً مزجياً في  
هذا الاتجاه، حاول إبراز داعيه، حيث قال: (الاتجاه الواضح لكل المؤلفين  
تقريباً، هو أن يعطي المؤلف للقارئ، كل ما يعرف، ويحاول أن يسجل في  
كتابه، كل شاردة وواردة، ممّا يرتبط بموضوعه).

الأمر الذي ينتج أكيداً، إننا نستطيع أن نقيم المؤلف من خلال الإطلاع على  
كتابه، لا إننا نقيم الكتاب بغض النظر عن مؤلفه، لأنّ المفروض إنّ المؤلف  
ذكر كل ما يعرفه فيه، فلو كان يعرف أموراً أخرى لذكرها، وحيث إنّ لم يذكرها  
إذن، فهو لم يعرفها. ومن هنا تظهر الحدود الرئيسة لثقافة المؤلف لا محالة.  
ولعل هذا إلى حد ما، هو الاتجاه الذي كتبت به موسوعة الإمام المهدي عليه السلام،  
تأثراً بالاتجاه الواضح للمؤلفين كما أشرنا، ولأنّ الحقائق المبيّنة، كلما كانت  
أكثر، وكلّما كان الاطلاع عليها أوسع لدى الآخرين، كان ذلك أكثر فائدة  
وأوسع همة، وبالتالي فهو أرجح في الدين، وأرضى لربّ العالمين.

إلا أنّ هذا الأسلوب، ممّا تمّ رفضه من قبلي أكيداً بعد ذلك، إنطلاقاً من  
الحكمة القائلة: إنّ الحكمة ينبغي لها أن تُخفى عن غير أهلها. فإذا أصبح  
الكتاب مطروحاً في السوق، وبيد تناول الجميع، كانت النتيجة على خلاف  
ذلك بكل تأكيد، وقديماً قيل: إنّ الكذب حرام، ولكن الصدق ليس بواجب،  
وقيل: إنّ كان الكلام من فضّة فالسكوت من ذهب.

وعلى أيّ حالٍ، فلا يجوز للفرد أن يقول كل ما يمكن أن يُقال، بل من

الضروريّ أن يقتصر على ما ينبغي أن يُقال.

فإذا عطفنا ذلك إلى المشاكل والأطروحات، التي سبق أن استقرأناها، عرفنا كيف كان تأليف هذا الكتاب صعباً ومعقداً على المؤلف، بحيث يكون المؤلف فيه بين حدّي السكين، أو بين طابقي الرحي، أو بين المطرقة والسندان، كما يُعبرون.

وهذا المأزق ممّا لا مناص منه، كما لا خلاص منه إلا برحمة من الله ولطف، إذ من الواضح إنّ عمق الكلام، قد يستلزم وصول الحكمة إلى غير أهلها، وإنّ قلة الكلام، قد يستلزم ضمور الدليل وضحالة الفكرة، الأمر الذي يقتضي بقاء الشبهة، وعدم حصول الجواب الوافي عن السؤال، وبالتالي عدم الدفاع الحقيقي والكامل عن القرآن الكريم، وكلا هذين الأمرين المتنافيين ظلّم حرام.

فابتهل إلى الله بحق أوليائه الطاهرين، أن يغفر لي ما قد يكون بدر مني في هذا الكتاب، من أحد هذين الشكّلين من الظلم، أو من أشكال أخرى من الشطح في الكلام، وكونه على غير المرام، وخاصةً أنّ المورد هو الدفاع عن الكتاب الكريم، وعقيدة ديننا الحنيف، إنّ الله ولي كل توفيق، وهو أرحم الراحمين.

فإذا علمنا أنّ هذا الكتاب، قد تمّ تسطيره بناءً على هذا المسلك، كما أنّ الدرس والمحاضرات التي استخلص منها هذا الكتاب، قد تبعت فيها ذات الأسلوب، ومع ذلك فقد حذفت بعض الأمور التي قلتها في الدرس، ولم

أسجلها في هذا الكتاب، زيادةً في الحذر، وتركيزاً في الاحتياط، وأمرى وأمر القارئ بعدئذٍ إلى الله تعالى، بل دائماً إلى الله تَعُودُ الأمور<sup>(١)</sup>.

ويمكن ان يقال انه استعمل الأسلوب التركيبي، الممزوج بين تلك الثنائية، من (الفهم العرفي، والفهم الدقي)، أقتصاراً على ما ينبغي ان يُقال، للمحاذير الذي ذكرها (قدس سره)، لذلك فإن لغة الكتاب، تتلائم مع مستويات مُختلفة من الفهم المتوسط، كما اشترطه في المقدمة.

وأقول: انصافاً للقول، فإن السيد الشهيد (قدس سره)، قد استعمل مصطلحات كثيرة، تناسب والفهم العرفي، إلا انه أراد بها دلالة أخرى، ومن هذه المصطلحات، الإنسان العرفي، السماء العرفية، الظاهر العرفي، الارتكاز العرفي، العقل العرفي، وغير ذلك كثير، وكأطروحة، يمكن نرى ان هناك أضداداً لها، لان ما بعد الارتكاز العرفي يوجد الارتكاز الدقي، وما بعد الإنسان العرفي يوجد الإنسان الدقي وهكذا. ولعل الباحث في كتاباته (قدس سره)، يرى ذلك الأسلوب، مُعتمداً في بقية كتبه الأصولية والفقهية والأخلاقية والأدبية والاجتماعية وغيرها.

### خامساً: نماذج تفسيرية

منها: في بيان قوله تعالى: ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾<sup>(٢)</sup>، وبعد ان ذكر معانٍ مُتعددة

(١) السيد مُحَمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٤٢.

(٢) (سورة الشمس ١٢).

(للشقاء) وناقشها، ومن ضمنها المفهوم العرفي فقال: (وللشقاء معنيان عرفيان آخران:

**أحدهما:** البلاء الدنيوي، كالفقر والمرض؛ فإنَّهما شقاءٌ، إلا أنَّهما ليسا بشقاوَةٍ عرفاً.

**وثانيهما:** كون الفرد بصفاتٍ تافهةٍ، بلا دينٍ ولا إنسانيَّةٍ، فنسميهِ شقاوَةً، وعندنا (يتشاقى)، أي: يدَّعي الشقاوَةً، لأنَّه يطلق على المضاحكة، ويغلب عليه قول الزور، فيكون من الشقاء، وحيث إنَّه صالح في نفسه حسب الفرض، فيكون شقاؤه ادِّعائياً، ومن هنا نقول: (يتشاقى).

والمهمَّ الآن، هو عدم صدق الشقاء بالمعنى العرفي الأول، على عاقر ناقة صالح، فإنَّه خلاف السياق المعنوي قطعاً. نعم، لا يبعد أن يكون بالمعنى الثاني، بل هو الظاهر، إلا أنَّ المراد شقاوته الأخرويَّة لا الدنيويَّة، ولو كان بهذا المعنى العرفي، لكان المراد بالتفضيل أكثرها بهذه الصفة أو أكثرها أمانة، وهو يدلُّ على تعدُّدهم في القبيلة، كما هو المفهوم من ضمائر الجمع الآتية)<sup>(١)</sup>.

ومنها: في إشكال طرحه، حول اعداد البروج، في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾<sup>(٢)</sup>، باختلاف أعدادها في مباني الفلك القديمة، فذكر وجوه واحتمالات لفهم ذلك الأشكال، ومن ضمن الأجوبة التي قدَّمتها، فقال: (والجواب عنه: **أولاً:** أنَّ القرآن نزل بلغة العرف، وبلسان أهل العرف.

(١) السيّد مُحمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٦٨.

(٢) (سورة البروج ١).

**وثانياً:** أنَّ العرف يستند إلى الفلك القديم، لا إلى معطيات الفلك الحديث في شؤون الزراعة والبحر، وهكذا. ومعه يلزم أن ننتقل في فهم معاني القرآن، في ضوء المرتكزات العرفية.

نعم، لو كان الغرض مراعاة الدقة المنطقية أو الفلسفية أو التجريبية في التفكير، فلا معنى لتطبيق القرآن على الآراء الموهومة الخرافية، ولا يلزم معه الرجوع إلى العرف، مع أنَّ الفلك الحديث لم يتعرَّض للفلك والبرج، إذ لم يولِ أهميَّةً لهذه الاصطلاحات، كعدم تعرُّضه للنيرنجات والزيجات، وأغلب نتائج الفلك القديم<sup>(١)</sup>.

ومنها: في بيان قوله تعالى: ﴿فَحْشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾<sup>(٢)</sup> ذكر إشكالاً حاصله الزيادة في البيان، وأجاب عليه بأسلوب الفهم العرفي، فقال: (وكأنَّ هناك ثلاثة ألفاظ متشابهة إلى حدٍّ ما، وهي: (فحشر، فنادى، فقال) مع أنَّه كان يمكن الاكتفاء باثنين منها؛ لأنَّ النداء الذي حصل إمَّا بمعنى الدعوة، أي: (تعالوا أيها الناس) فيكون بمعنى الحشر، وإمَّا أن يكون بمعنى رفع الصوت بالكلام، فيكون بمعنى (قال)، وحيث إنَّ قوله: (فحشر) غير مستغنى عنه في السياق، أي: إنَّ (حشر) صحيحةٌ وفي محلِّها، لأنَّه يدلُّ على مضمونٍ زائدٍ على ما بعده، إلا أنَّ الفعلين بعده (فنادى، فقال) يمكن الاكتفاء بأحدهما، فيمكن أن يقول: (فنادى أنا ربُّكم الأعلى) أو (فقال: أنا ربُّكم الأعلى) فتكون

(١) السيد مُحمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٢٤٠.

(٢) (سورة النازعات ٢٣ - ٢٤).

الآية اقتراحاً هكذا: (فحشر فقال أنا ربكم الأعلى) أي: إمّا أن نحذف (نادى) أو نحذف (فقال).

والجواب: أنّ هذا التفكّر يحتوي على جهلٍ بالأسلوب العرفي، السائد في الخطابات وإلقاء المحاضرات، فإنّها تبدأ عرفاً بقوله: (يا أيّها الناس) ونحو ذلك، ثمّ يبيّن المتكلّم مقصوده بالقول، فيكون هكذا: فحشر، أي: جمع الناس، فنادى، فقال: يا أيّها الناس، ثمّ أعرب عن مقصوده، فقال: أنا ربكم الأعلى، وليس المراد من (نادى) أنّه نادى الناس للإجماع، وأوضح قرينةً على ذلك وجود الفاء في قوله: (فنادى) أي: إنّ ذلك بعد الحشر لا قبله، لأنّ الفاء للترتيب، ومعناه ترتّب النداء زماناً وتأخّره عن الحشر<sup>(١)</sup>.

## المبحث الرابع الطريقة الدقيّة العقلية

### أولاً: تمهيد

قد يفهم من عنوان المبحث، ان السيد الشهيد (قدس سره) قد استخدم اسلوباً فلسفياً في بيان مرادات النصوص، وذلك ببرمجة الخطابات وفق النظام العقلي المحض، وكشف مراداتها بالقواعد الكلية الفلسفية وحتى الجزئية، حيث ان المراد ظاهراً، بان الدقي العقلي، هو الفلسفي.

**فإن قلت:** سوف يصدق على هذا الأسلوب بالأحادي، وهو من الأساليب التي يعبر عنها في المناهج التفسيرية بـ(الناقصة)، وقد تقدم بيانه.

**قلنا:** إلا ان ذلك الفهم ينتقض بثلاث أطروحات:

**الأطروحة الأولى:** لا يمكن تطبيق القواعد الفلسفية على كل الآيات

القرانية، لوجود النكهة القصصية، والأحكام التشريعية، وغير ذلك.

**الأطروحة الثانية:** لا يوجد ما يُسمّى بقواعد كلية فلسفية، بل الأدق ان

تُسمى مباحث فلسفية، فلا يُسلّم جميع الفلاسفة بقاعدة (بسيط الحقيقة كل

الاشياء)، او (امتناع إعادة المعدوم)، او (الأكوان مُتجدّدة الحصولات)، او

(تلازم الصورة والهولي) وغير ذلك كثير جداً.

**فإن قلت:** هناك البعض منها إتفاقية، كأحكام الوجود الكلية، وأحكام العقل العملي؟.

قلنا: جوابه على مستويين:

**المستوى الأول:** ان تكون من قبيل الأسس العقلية، التي هي من أحكام العقل الضرورية، والتي قد تُسمى بمبادئ الأقيسة<sup>(١)</sup>.

**المستوى الثاني:** ان الخلاف قد وقع في ثنهاها، فلا يصدق كونها قاعدة.

**الأطروحة الثالثة:** ستكون هذه المحاولة من قبيل أستمالة النص القراني، وإيقاعه على بعض النظريات، وهو من قبيل التفسير الغير مقبول، كما وجدت بعض المحاولات الهادفة لإثبات فهم ما، او توكيداً لنظرية مُعيّنة، فيقوم المُفسّر بتسخير النص القراني، لخدمة ما يعتقد ويُنظر، وهو من أنواع التفسير بالرأي<sup>(٢)</sup>.  
على كل حال فهناك الوان تفسيرية مُتعدّدة، كالتفسير الفقهي، والتفسير الأدبي، والتفسير الاجتماعي، والتفسير الاخلاقي، والتفسير الفلسفي، والتفسير التاريخي، والتفسير العلمي<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك من الإتجاهات المختلفة المشارب، والمُتعدّدة الإتجاهات، كما ذكرناه سابقاً.

لذلك فاستعمال هذا اللون في التفسير، غير وارد في الكتاب المبحوث فيه، لما تقدّم، وسيُتبيّن لنا بعد عرض مفهوم بسيط للفلسفة وأقسامها، ماهية هذا الأسلوب في استعراض السيد الشهيد (قدس سره) للنصوص القرانية.

---

(١) الشيخ مُحمّد رضا المظفر، المنطق، ص ٢٧٠.

(٢) الدكتور مُحمّد علي رضائي، المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص ١٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤.

## ثانياً: معنى الفلسفة واقسامها

إذن فإن الفلسفة كما بينها السيد الطباطبائي هي: (أعمّ العلوم جميعاً، لأن موضوعها أعمّ الموضوعات، وهو (الموجود)، الشامل لكل شيء، فالعلوم جميعاً تتوقف عليه في ثبوت موضوعها، واما الفلسفة فلا تتوقف في ثبوت موضوعاتها على شيء من العلوم، فإن موضوعها الموجود العام الذي نتصوره أولياً، ونُصدّق بوجوده كذلك، لأن الموجودية نفسه)<sup>(١)</sup>، فإن موضوع الفلسفة بشكل عام هو، البحث عن الموجود.

واختلف العلماء في تقسيم المباحث الفلسفية، والمواضيع التي تكمن فيها، وهم على نحوين:

**الأول:** الفلسفة في المنظور القديم، والتي كانت تُسمّى بالحكمة: (فانها كانت عنواناً عاماً لجميع العلوم والفنون، حيث كانوا يُعرّفونها تارة بصيرورة الإنسان عالماً عقلياً، مُضاهياً للعالم العيني، وأخرى بالعلم باحوال أعيان الموجودات بما هي عليه بقدر الطاقة البشرية، وكانوا يُقسّمونها على ماكان مشهوراً بينهم، إلى العملية والنظرية، ويقسّمون العملية إلى الأخلاق، وتدبير المنزل، وسياسة المُدن، ويُقسّمون النظرية إلى الطبيعية، والرياضية، والإلهية، ويسمّون الأخيرة بالفلسفة الأولى، والعلم الأعلى، او العلم الكلّي، وفي زماننا هذا تطلق الفلسفة على هذه الأخيرة فقط)<sup>(٢)</sup>.

(١) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، نهاية الحكمة، ص ١٢.

(٢) غلام رضا الفياضي، شرح نهاية الحكمة، ج ١، ص ٢٣.

**الثاني:** الفلسفة في المنظور الحديث، وتشتمل على ثلاث مباحث، هي:

**المبحث الأول:** الوجود ومشكلاته، يُطلق عليه (الانطولوجيا) في اللغات

الاوروبية<sup>(١)</sup>، ويدرس الوجود من ثلاث نواحي مُختلفة:

**الأول:** الوجود بشكل عام دون قيد او إعتبار.

**والثاني:** الوجود على المستوى الكوني، في الفضاء الخارجي، وما يتعلق

بالأكوان.

**الثالث:** فيدرس ما بعد الطبيعة، ويعرف بإسم (الميتافيزيقا).

وهناك مجموعة من المُشكلات، التي يعرض لها في تلك الدراسات

المُختلفة، كإكتشاف قوانين المادة والحركة، وعلم الأكوان المتوازي، وعلاقتها

بالله تعالى، والوجود الروحي والمادي، وغير ذلك.

**المبحث الثاني:** المعرفة ومشكلاتها، ويطلق عليه في اللغات الاوروبية

(الابستمولوجيا) او نظرية المعرفة، ويرتبط بمباحث الوجود المعرفي وحقائقه،

وهل يمكن لنا الوصول إلى الحقائق اليقينية، او ان معارفنا قابلة للشك، وهل

يكون الحسّ والحدس وسائل معرفية، او العقل فقط، وغير ذلك من

المباحث<sup>(٢)</sup>.

**المبحث الثالث:** القيم ومشكلاتها، ويطلق عليه في اللغات الاوروبية

(الاكسيولوجيا)، ويكشف عن حقيقة القيم المُطلقة الثلاثة وهي:

---

(١) وزارة التربية والتعليم بمصر، مادة الفلسفة والمنطق، للصف الثاني الثانوي، ص ١٥.

(٢) المصدر السابق.

قيمة الحق: يدرسها علم المنطق، ويختصّ بمجموعة قواعد يجب اتباعها، ليصبح تفكيرنا صحيحاً.

قيمة الخير: يدرسها علم الأخلاق، ويختصّ أيضاً بمجموعة قواعد، باتباعها يتفق سلوكنا مع مبادئ الخير.

قيمة الجمال: يدرسها علم الجمال، الذي يوضح لنا ويزودنا بقواعد الشيء الجميل.

وبطبيعة الحال فإن هذه التقسيمات، تُمثّل وجهة نظر إستقرائية مُنحصرة في دائرتها، حدودها الثقافة المُتبّنة، وإلا كلّها فيها كلام، يُذكر في محله.

### ثالثاً: المعنى الإصطلاحي

وإذ قد استبان ان المباحث التي دارت رحى الفلسفة حولها، لم تكن بطبيعة الحال مورداً أساسياً في بحث السيد الشهيد (قدس سره)، وان وردت تلك الأقسام هنا وهناك، في بيان بعض النصوص التطبيقية للخطابات الإلهية العامة، فمقتضى الحال حينها ان يُستأنف البحث فيها، بمقدارها لا بقدرها.

قد تقول: فإذا لم يكن الأسلوب فلسفياً بالمعنى الإصطلاحي، فما معنى (الدقي) العقلي؟.

أقول: ان عنوان البحث هو الأسلوب الدقي (العقلي)، وليس الفلسفي، كما انه ليس كل ما يكون دقيقاً او عقلياً يكون فلسفياً، وقد تعرفنا ممّا سبق، على المباحث الفلسفية المتعارفة، والمادة المبحوثة فيها.

اما المراد من الدقي، فقد جاء في المعجم الوسيط ان (الدقيّة: قدرٌ صغيرة من نحاس)<sup>(١)</sup>، وهي الأجزاء الصغيرة منه، الدالة على عمق أجزاءه، كما قال (دقّ الشيء صَغُرَ، صار دقيقاً)<sup>(٢)</sup>.

أما على مستوى المعنى فدقّ المعنى: غَمُضَ وخَفِيَ المرادُ به، فلا يفهمه إلا الأذكياء: - كلامك يدقّ عن الشرح والتفسير - دقّت المسألة، فلا يفهمها إلا الرّاسخون في العلم)<sup>(٣)</sup>.

وبضميمة القرائن السابقة، يمكن لنا ان نفهم ان المعنى الدقي، هو التحقيق والتدقيق في الأجزاء الصغيرة (الدقيّة)، للوصول إلى المعاني الأعمق، الذي يمكن ان تناله العقول.

طبعاً وهذا المعنى الدقي، لا بد ان يكون عقلياً، لعدم إمكانية استعمال الفهم العرفي في إدراكه، إذ لعله يقابله بثنائية عمومية.

ولا يقتصر هذا المستوى من الفهم والإدراك، على مستوى خاص من العلوم، كما التبس على كثيرين، وهو عقد المزاوجة بين المفهوم الدقي والفلسفي، الأمر الذي دعانا لحلحلة هذا اللبس، بتقديم الفهم الملازم للمعنى الدقي، وإبطال تلك الفكرة التقليدية.

---

(١) ابراهيم مصطفى، احمد الزيات، حامد عبد القادر، مُحمّد النجار، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٦٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الدكتور احمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ٩٣٤٩.

## رابعاً: أستعمالات الفهم (الدقي) العقلي

بقي لدينا تساؤل رافقنا منذ بداية البحث، يُستحسن بنا التعرض إليه وهو، لماذا قيّد الفهم الدقي بالعقلي، وهل هناك فهم دقي غير عقلي؟.

قلنا: جوابه يتبين من خلال ثلاثة أمور:

**الأول:** ان الفهم الدقي يتحقق بتشظية المطالب إلى أجزاء صغيرة، يتم تحليلها كل على حدة، وذلك بالتعمق العقلي في ثناياها، للحصول على مستوى فهم عال، اما الفهم العرفي، فيدرك تلك المعاني من خلال المدرك العُقلائي، الذي تواضعوا عليه.

**فإن قلت:** ما لفرق بين العقل، والعقلانية؟.

قلنا: الحكم العقلي هو الذي ينبع من العقل ذاته، ويُعتبر بديهيّاً لا يتناقض أو ينكره أحد. اما الحكم العُقلائي فهو يستمد مكانته اعتماداً على الحدس والحس والعرف، اي العادة التي جرى عليها العُقلاء، من مُفكرين، او مُشرعين، او راشدين عقلاء.

**فإن قلت:** لا يمكن جعل الأحكام العقلية إتفاقية، فهناك الكثير من الاختلافات في بيانها وتبنيها؟.

قلنا: نعم، من جهة التطبيق على الجزئيات، وإلا فالأحكام العقلية تتمتع بالبدهية، ولا يمكن للفرد إنكار بديهية (كالكل أعظم من الجزء)، او (النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان)، وغير ذلك من القواعد والأحكام.

فالحكم العقلي لا يعتمد على الظن والحدس، بل على البديهية، والبديهية

مُشتركة بين جميع البشر، لا يختلفون فيها، بينما لو اعتمد على الحدس وحده، لما صار هناك مجال للإتفاق بين الناس، أما الحكم العقلاني فيرتكز على ما تعاهد عليه العقلاء، باعتبار الحس والحدس والعرف.

لمزيد من التوضيح، فمثلاً قوانين المرور أوجدها العقلاء، حتى يكون هناك نظام وانتظام في الطرق، و بالتالي يحفظ كل شخص حقه في الطريق، وهذه القوانين التي أوجدت، من أجل الحفاظ على حقوق مستعملي الطرق، هي أحكام عقلائية.

وكذا الحال في القوانين والتشريعات، التي تُنظم حياة الإنسان، وتحكم أفراده المُتتمين لهذه المجتمعات، فهي كلّها أحكام عقلائية، أتفق عليها العقلاء، للحفاظ على سلامة المجتمع، وديمومة النظام.

فالأحكام العقلائية تخضع بالعادة للخلفية الفكرية، التي تملك العقلاء، بموجب أعرافهم وتوجهاتهم واعتقاداتهم، فهذه الأحكام تختلف باختلاف مُحددات عملية التفكير المُمنهج، الذي توفر له قاعدة ومنطقاً في معالجة عقلائية، لاي تواضع بين العقلاء.

من هنا يتبين الفارق بين الحكم العقلي والعقلاني، فإن الحكم العقلي هو حكم بديهي ثابت ومتأصل في كل إنسان، ويستحيل عليه النقض، بينما الحكم العقلاني هو حكم مُتغير ونسبي الآراء والأفكار والقوانين، يرجع للإستحسان النابع من نتائج عقول البشر، وفقاً لادواته التي تغذيه من مجتمعه وبيئته

ومحيطه، وهذه الأدوات مُنْغَيِّرة ومتطورة مع الزمن<sup>(١)</sup>.

ونحن لازلنا لانفرد بين الأحكام العقلية الثابتة، والأحكام العُقلائية المُتَغَيِّرة النسبية، فنجعل من الثابت متغيراً ومن المتغير ثابتاً، ثم نُشَخِّصُ نحو مُحَاكِمَةِ الآخرين وفق هذه المجموعات المقلوبة، فنحتاج إلى إزاحة الضباب، للتمييز ما بين أحكام العقل وأحكام العرف (العُقلائية)، التي تنتج من الموروث الفكري.

الثاني: ان الفهم الدَّقِّي (غير العقلي)، يمكن ان يكون نتاجاً للفهم العُقلائي الدقي، فينبغي حينها ان نطوِّق المعنى التجزيئي للمدرك الدَّقِّي بـ(العقلي)، لتتحرر من قيد العُقلائية.

الثالث: ان بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل فهم دَقِّي يكون من نتاجات العقل، وليس كل فهم عقلي يكون دقيقاً، لان بعض الأحكام العقلية بديهية ولا تحتاج للتدقيق.

وقد استعمل السيد الشهيد (قدس سره) هذا الأسلوب، في قراءة النصوص القرآنية، أكثر ممّا استعمل أسلوب الأطروحات الذي يعتبر روح الكتاب، بل يمكننا القول ان اللبنة الفنية للكتاب، أنعقدت على الفهم الدَّقِّي للنصوص، ومحاولة تحليلها حسب مقتضيات مدخولاتها.

حيث تجد ان التدقيق في المباحث المختلفة، كانت هدفاً للسيد الشهيد، لان القراءة الواعية للنصوص القرآنية، تستلزم المرور بمختلف المعارف

(١) عمار التميمي، عقلانية التفكير ومنهجية التفكير، مخطوط.

والعلوم: (ومن هنا نجد في هذا الكتاب حديثاً من كل نوع: من الفقه، والأصول، وعلم الكلام، والنحو، والصرف، وعلوم البلاغة، وشيء من التفسير، مضافاً إلى بعض العلوم الطبيعيّة كالفيزياء، والفلك، والتاريخ، وغيرها)<sup>(١)</sup>.

طبعاً وليست كلها مرآة عاكسة للفهم الصحيح (فإن أمثال هذه العلوم، مشحونة بالنظريات التي أحترمها أصحابها، وأخذوها وكأنّها مُسلّمة الصحة، وبنوا عليها نتائج عديدة، في حين يبدو للمتأمل زيفها وبطلانها، مع شيء من التدقيق، ويكفي في أطروحتنا هذه، أن تكون صالحة لإسقاط الإستدلال بأمثال تلك النظريات والأفكار)<sup>(٢)</sup>.

لذلك نحتاج إلى استعمال الأسلوب الدقي في كافة الحقول المعرفية: (ولعل التدقيق في التعرف على معاني القرآن الكريم وتفصيله، يفتح لنا طريق الإهتمام فيما لم يكن معروفاً من أهداف بعض السور بتوفيقه سبحانه)<sup>(٣)</sup>.

### خامساً: نماذج تفسيرية

منها: حينما تعرض إلى مفهوم العرش، نقلنا صورة منها في منهج التفسير الروائي، والآن ننقل صورة أخرى لاستعماله للمفهوم الدقي العقلي في بيانه، وذلك حينما ناقش علماء الهيئة والطبيعيات، القائلين بأن السموات والكرسي

---

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٢.

والعرش، هي ما افترضوه من الأفلاك التسعة الكلية. وان (هذا التصوّر للعرش، يبتني على أسس الفلك القديم أو علم الهيئة، مع أن بطلان أفكاره وتعاليمه من القطعيّات، وإذا سقطت النظرية سقطت نتائجه، فلا يُقال حينئذٍ بأنّ العرش والكرسي جزءٌ من الأفلاك، بعد أن صار بطلان تلك الإحتمالات ضروريّاً)<sup>(١)</sup>.

فخاض في بحث فلسفي، لبطلان ذلك المفهوم المتعلّق في اذهان القدماء من معنى العرش، الذي فسّروه على أساس فلكي، ومباني علم الهيئة، مع العلم انه (قدس سره)، لم يرتض قاعدة (الواحد لا يصدر منه إلا واحد)، ويناقشها بشكل مُفصّل، في نفس المورد، إلا انه (قدس سره) احتجّ بها، ليهدم الفكرة التقليدية حول هذا المفهوم.

(وبيان ذلك: أنّ الله واحد، وهو صغرى لكبرى قاعدة (الواحد لا يصدر منه إلا واحد) ومعنى ذلك: أنّه يستحيل أن يصدر من الله إلا شيءٌ واحد، ولذا قالوا: أنّه صدر منه شيءٌ واحد، وهو الصادر الأول، أو النور الأول، أو النور المحمدي، أو العقل الأول، وقالوا: بما أنّ العقل الأول أو الصادر الأول، فيه جهة تركيب، وفيه جهات متعدّدة، فيصدر منه المُتعدّد لتركيبه وتعدّده من وجه، بخلاف البسيط من جميع الجهات، فإنّه لا يصدر منه إلا واحد)<sup>(٢)</sup>.

ثمّ قالوا: إنّ العقل الأول فيه جهتان: إحداهما: إدراكه لنفسه. وثانيهما: إدراكه لعلّته، فهو يعقل نفسه ويعقل علّته ولو بالعلم الحضورى، والتركيب

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٣٣٣.

(٢) الشيخ مُحمّد بن صدر الدين الشيرازي، المبدأ والمعاد، ص ١٩٠.

ناشيءٌ من هذه الجهة، وهذا المركّب صدر منه أمران: العقل الثاني والفلك الأول، والعقل الثاني مركّب أيضاً، فصدر منه العقل الثالث والفلك الثاني، والعقل الثالث مركّب أيضاً، فصدر منه العقل الرابع والفلك الثالث، وهكذا الكلام إلى صدور العقل العاشر والفلك التاسع، ولعلّ العقل العاشر فيه جهات تنفيذيّة كثيرة، ذلك؛ لأنّه يدرك علّته ويدرك علّة علّته حتّى تنتهي إلى الصادر الأول، فالعقل العاشر يدرك كلّ الفلك، الأمر الذي جعل جهات التركيب فيه كثيرة، وهو العلّة في صدور الكثرة منه بما هي كثرة، وهي العالم المنظور.

وقد أطلقوا على العقل العاشر بالعقل الفعّال، وهو في لغة المتشرّعة جبرائيل (عليه السلام) وإنّما سمّي العقل الفعّال، لصدور الكثرة منه، ولسيطرته على الكون، وهو علّة الأشياء حدوثاً وبقاءً، وليس مجرد الصدور، لأنّ الممكن يحتاج إلى علّته حدوثاً وبقاءً، ممّا يعني أنّه مدبّر الكون باستمرار عبر علّله، وعلّة العلل وهو الباري تعالى<sup>(١)</sup>.

ومنها: حينما تناول بيان قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ذكر أطروحات مُتعدّدة في بيانها، لأن معنى (لتركن) هو (الخطاب لمجموع الناس، ومجموع الناس كثيرون، فلا يعني أنّهم يمرّون بحالة واحدة، وإنّما هم كثيرون مكاناً وكثيرون عدداً وكثيرون زماناً، فلا معنى لأن نختار لهم حالة واحدة، فحينئذ يكون هذا التنبؤ الذي هو (لتركن) واضح الصحّة. فالجماعات إذا

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٣٣٤.

(٢) (سورة الأنشقاق ١٩).

لوحظت بكثرة، فلا بدَّ أن كثيراً منهم يتمرّض، أو يفترق أو يتلى أو يسجن أو يقتل، أو أي شيء يتوقع من بلاء الدنيا، ف(لتركن) حالاً بعد حال<sup>(١)</sup>.

فذكر في هذا المقام وجوه مُحتملة لهذا المستوى من الفهم، كان منها:  
(الوجه الثالث: لو لاحظنا الجهة الدقيّة أو العقليّة، نجد البلاء مُحتمل الحصول لا يقينياً، لأننا لا نعلم ما هو علم الله سبحانه، في وجود البلاء وعدمه، وعقلاً أيضاً لا نعلم بالحكمة منه، فلا برهان على مجيء البلاء غداً أو بعد غدٍ، أو بعد سنة أو بعد ألف سنة، ويمكن أن لا يحدث أصلاً. فمن هذه الناحية يكون الألف توكيده، لأنّ السامع قد يستعمل جهته العقليّة، فيشكّك في حصول البلاء، فيكون السامع مُشكّكاً، فيؤكّد له هذا المعنى)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) السيد مُحَمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٤، ص ١٦٣.

(٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦٤.

## المبحث الخامس أسلوب الذوق العرفاني

### أولاً: تمهيد

ناقش السيد الشهيد (قدس سره) مسألة الباطن القرآني<sup>(١)</sup> في كتابه منهج الاصول نفيًا وإثباتًا<sup>(٢)</sup>، وكما ان للظاهر القرآني حجة، وهو أيضاً لباطنه على من أدرك تلك المعاني المُعمّقة والجزئية، وقد (ثبت ان معاني القرآن الكريم لا متناهية، من حيث الكليات والأمور النظرية العامة، كما هو اقرب إلى الذوق السديد)<sup>(٣)</sup>، فكذا الحال لمعانيه المُعمّقة اللامتناهية، التي يفهم منها كل فرد حسب إطلاعه وأتجاهه الفكري، ومستواه الباطني.

وكما يعلم ان هناك مجموعة إتجاهات من التفاسير، الذي اتخذت هذا المنحى في تعاطيها مع النص القرآني، كانت تصنف تحت مُسمّيات مُختلفة، كالتفسير الإشاري، والتفسير الرمزي، والتفسير الصوفي، والتفسير العرفاني، والتفسير الشهودي، وقد تنوعت تعاريفها، تبعاً لذلك الشكل من التعامل.

**فإن قلت:** هل التفسير العرفاني، هو المقسم العام لتلك الأقسام؟.

---

(١) ذكرنا ذلك في الفصل الثالث، المبحث الاول.

(٢) السيد مُحَمّد الصدر، منهج الاصول، ج ١، ص ٣٩٧ - ٤١٤.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٠.

**قلنا:** يمكن القول ان تلك الأقسام، بما فيها التفسير العرفاني، تُصنّف تحت عنوان التفسير الباطني للآيات الكريمة، طبعاً الكلام بغض النظر عن صحة البعض منها، ومدى مقبوليته وموافقته للموازن العامة للتفسير، وبين الآخر الغير مقبول، كما وضعه علماء التفسير، في مصاف التفسير بالرأي المذموم، واختلاف العناوين راجع للدلالات التأويلية للنص القراني.

فالتفسير الإشاري: يُطلق علي الإشارات الخفية الموجودة في آيات القرآن، والتي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن، والأخذ بالباطن، واقتناص النكات الموجودة في الآية من خلال الإشارة.

اما التفسير الشهودي: او يُسمّى بالإشراقي، فهو يعتمد على أساس مباني الإشراق، والشهود حالة روحية وشعور داخلي، يتحصّل للفرد من خلال ممارسة مجموعة من الأفعال والأذكار والتأمل.

والتفسير الرمزي: هو التعرض للرموز التي تقف خلف النصوص، من خلال دلالات معينة وكنايات خاصة، ومن امثلتها ما ذكره التستري في تفسيره لمعنى (بسم الله) حيث قال: (الباء: بهاء الله، السين: سناء الله، الميم: مجد الله، الله: هو الاسم الأعظم، الذي حوي الأسماء كلّها، وبين الألف واللام منه، حرف مكّني، غيب من غيب إلى غيب، وسر من سر إلى سر... الرحمن: اسم فيه خاصية من الحرف المكّني بين الألف واللام)<sup>(١)</sup>، وغير ذلك من التفاسير المختلفة، للآيات القرانية، التي تسير على نفس الطريقة في التعاطي مع النصوص.

(١) مُحمّد بن سهل بن عبد الله التستري، تفسير التستري، ص ٣.

ويمتلك المُفسّر عادة، الآليات المُتعارف عليها في التعاملات مع النصوص القرآنية، فيتحصّل له الذوق العرفاني، في التعرف على الخطابات الإلهية، طبعاً وهذه الشمة العرفانية، تختلف من مُفسّر لآخر سعة وضيّقاً، حسب وعاء العلم والنفس، ولا بد أن ترتبط بضوابط عامة - كما سنذكرها لاحقاً - لتكون مقبولة، ولا يعترّيها الوهن والرأي المُنفرد.

حيث ذكر السيد الشهيد (قدس سره) وجهة نظر باطنية، في بيان قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾<sup>(١)</sup>، بعد مناقشات عديدة، فقال بانك: (تفهم من الميراث، الأعمّ ممّا ينتقل باختيارٍ، وممّا ينتقل بغير اختيارٍ، أمّا ما ينتقل بغير اختيارٍ، فهذا الذي عرفناه، وأمّا ما ينتقل باختيارٍ، فمن قبيل أن يرث الإنسان من عائلته أو مجتمعه أو من أصدقائه، فيتعلّم أموراً، سواء أكانت خيراً أم شراً، فهذا النوع من الميراث، له جنة اختيارٍ، وإن كان تلقّيه ليس باختيارٍ.

مع أنّ ذلك ممّا يحدث في عالم النفس، أو عالم العقل (العالم الباطني) عموماً، وأمّا الانتقال باختيارٍ فينبغي أن يكون واضحاً، إذ المراد التعليم وقد أشرت إلى ذلك ضمناً في كتاب (فقه الاخلاق)<sup>(٢)</sup>، كما لو قال شخص (يا الله) فأنت تميل إلى أن تقول (يا الله)، فهذه عدوى حالٍ، كما يُسمّيها أهل المعرفة، وهي عدوى سلميّة، أي: ليس فيها ضررٌ، وربما تكون راجحة لا مرجوحة.

والمهم: أنّ هذا من الانتقال من دون اختيارٍ، فالخاشع لله مثلاً قد لا يعلم

(١) (سورة الفجر ١٩).

(٢) السيد الشهيد مُحمّد الصدر، فقه الاخلاق، ج ١، ص ٤٩ - ٥٧.

بوجودي، لكن مع ذلك ينتقل الخشوع لي فأخشع.

وهناك رواية عن أبي حمزة الثمالي<sup>(١)</sup>، قال: خرجت ذات يوم مع الإمام السجاد (عليه السلام) إلى المسجد الحرام، فلما دخل الإمام (عليه السلام) إلى المسجد، همّ بالصلاة، فلما كبر تكبيرة الإحرام، أقشعر جسمي من تكبيرة الإحرام).

من الواضح أنَّ الإمام (عليه السلام) لم يقل شيئاً سوى: (الله أكبر)، لكن حاله وتوجّهه، اقتضى أن يقشعر جسم أبي حمزة الثمالي، وهذا كلّه نحو من التراث، أي: من الأمور التي تورث في عالم النفس أو عالم العقل. كما أننا إذا أردنا أن نفهم من المال الفهم المعنوي، فلا عبء حينئذٍ بالدرهم والدينار وأسباب الحياة الماديّة، وإن كان المال متقوّمًا بذلك، ولكن ليس هو الدنيا وما فيها، وإنّما المال يمكن أن يكون في النفس ومميّزاتها، فمال الفرد نفسه وصفاته الاختيارية، أي: بالتلقّي والعلم والصفات الخلقية، أو أيّ نحو من الكمالات، والإنسان طبعاً يحبّ نفسه ويحبّ صفاته، وإن كان هذا تدنيّاً، ولكن عامّة أهل الكمال يحبّون كمالاتهم<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً: نظرة تاريخية

يمكن القول بان الجذور العامة للتفسير العرفاني، لازمت عصر النص،

(١) مُحمّد بن علي ابن شهر آشوب، مناقب ال ابي طالب، ج ٤، ص ١٣٢ - ١٤٨.

(٢) السيد الشهيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ٣٢٠.

حيث جاء عن المعصومين (عليهم السلام)، الأحاديث الكثيرة والروايات المتعدّدة، على ظواهر القرآن وبواطنه، فإنّ الفهم العام للنص الذي خوطب به الناس، كذلك يكمن الفهم الخاص في طيّه، حيث جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): (ان كتاب الله عز وجل على أربعة اشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء)<sup>(١)</sup>.

ولم يقع الخلاف بين المسلمين، على شمول القرآن الكريم لتلك الحقائق واللطائف والإشارات، ممّا فتح الباب امام علماء الأمة الإسلامية، للغوص في أعماقه، فكُتبت العديد من التفاسير، التي تُعنى بالمسلك الباطني على اختلاف مستوياته، حتى ان ابن عربي كتب: (فكما ان تنزيل أصل القرآن على النبي (صلى الله عليه واله) كان من قبل الله، فإن تنزيل فهمه على قلوب المؤمنين من قبل الحق تعالى)<sup>(٢)</sup>.

واعتبر العلامة الطباطبائي<sup>(٣)</sup>، وآية الله معرفة<sup>(٤)</sup>، أن بداية هذا المنهج يعود إلى القرن الثاني والثالث الهجري، أي بعد ترجمة الكتب الفلسفية اليونانية إلى اللغة العربية.

ودونت العديد من التفاسير، التي تحمل هذه النكهة، والتي منها (تفسير

(١) مُحمّد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٧٨، ص ٢٧٨.

(٢) ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ١، ص ٢٧٩.

(٣) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٥ - ٧.

(٤) مُحمّد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٥٢٦ - ٥٢٧.

التستري) لمُحمّد بن سهل بن عبد الله التستري، و(كشف الأسرار وعدّة الأبرار) وأصل هذا التفسير هذا للخواجة عبد الله الأنصاري، بسّطه ووضح معانيه، ابو الفضل رشيد المييدي، و(حقائق التفسير) ابو عبد الرحمن مُحمّد بن الحسين الأزدي السلمي، و(عرائس البيان في حقائق القرآن) ابو مُحمّد الشيرازي، وتفسير (رحمة الرحمن) لابن عربي، و(التأويلات النجمية) لنجم الدين دايه وعلاء الدولة السماني، و(تفسير شاه) نعمة الله الكرمانى، و(لطائف الإشارات) للقشيري النيشابوري، وغير ذلك.

وقد مر هذا المسلك بالعديد من التحولات والإنعطافات، التي تحتاج إلى وقفة خاصة، حيث ذهبت بعض المدارس والمذاهب الإسلامية إلى السير بأودية مُختلفة، تتحد مفهوماً وتختلف منهجاً، لذلك فلا يمكن الحكم على كلّها بحكم واحد، من خلال نظرة عامة متساوية للجميع، فمنهم من سلك طريق الحق وجانبه، حسب الضوابط والمعايير لهذا المسلك - كما سنبينها لاحقاً- ومنهم من سار إلى وادي التفسير بالرأي، فسلك طريق الإفراط.

### ثالثاً: ضوابط التفسير العرفاني

هناك مجموعة من القوانين العقلائية، والموازن الشرعية، التي يمكن من خلالها ان نضع مجموعة من المُقيّدات<sup>(١)</sup>، على قبول التفسير العرفاني للنص القراني، وهي:

(١) مُحمّد بن عبد العظيم الزرقاني، منأهل العرفان، ج ٢، ص ٨٠.

**أولاً:** على المُفسّر الالتفات إلى ظواهر الآية القرآنية وبواطنها، في آن واحد، ولا يحاول ان يضع العوازل بينهما، لكي يكون التفسير مقبولاً وملائماً لروح النص، بحيث لا يكون الباطن هو المراد الوحيد للآية، كما أشار إلى ذلك العلامة الطباطبائي<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** ان تكون هناك مناسبة بين التفسير العرفاني الباطني للآية، وبين التفسير الظاهري، بحيث لا ينبغي ان يكون المعنى المقصود أجنبياً عن المقام.

**ثالثاً:** عدم المنافاة بين التفسير العرفاني للنص القرآني، وبين الدلالات القطعية والآيات المُحكّمة.

**رابعاً:** الاستفادة من المناهج التفسيرية المُعتبرة، في تحديد القواعد العامة، للنظرة العرفانية للنصوص القرآنية الباطنية، بحيث يستفيد من التفسير القرآني، ودلالات الآيات المُفسّرة لبعضها البعض، وأيضاً استعماله للمنهج الروائي في معرفة روايات أهل البيت (عليهم السلام)، المُبيّنة والموضّحة للنصوص القرآنية.

**خامساً:** ان لا يكون التفسير العرفاني هو المقصد الأوحّد للنص القرآني المنظور<sup>(٢)</sup>، وإلا حيّز المُفسّر نفسه في دائرة التفسير بالرأي المذموم، بل فليكن على شكل أطروحة كما سار بذلك السيّد الشهيد الصدر (قدس سره).

وقد أعمل السيّد الشهيد (قدس سره)، تلك الضوابط والشروط، في تحديد

(١) السيّد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٧.

(٢) خالد بن عبد الرحمن العك، اصول التفسير وقواعده، ص ٢٠٨.

الفارق بين الصدر والقلب، من خلال ذوقه العرفاني، في بيانه لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾<sup>(١)</sup>، حيث بيّن: (إِنَّ سَائِرَ اسْتِعْمَالَاتِ الصَّدْرِ وَالْقَلْبِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَا يُرَادُ مِنْهَا الصَّدْرُ وَالْقَلْبُ الْمَادِّي، الَّذِي هُوَ ظَاهِرُ اللَّغَةِ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهَا الصَّدْرُ وَالْقَلْبُ الْمَعْنَوِي، وَإِلَيْكَ نُزْرًا مِنْهَا:

قال تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال تعالى: ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾<sup>(٧)</sup>.

فالصدر في جميع هذه الآيات، لا يُراد منه الصدر المادّي، بل المراد الصدر المعنوي. ولتوضيح ذلك من غير أن ندخل في جهات الأسرار الإلهية، نقول: إِنَّا نَجِدُ فَعْلًا أَنَّ الْعَوَاطِفَ مَوْجُودَةٌ فِي صُدُورِنَا، وَكَذَلِكَ التَّفَكِيرُ نَجْدُهُ فَعْلًا،

(١) (سورة الشرح ١).

(٢) (سورة غافر ٥٦).

(٣) (سورة آل عمران ٢٩).

(٤) (سورة الأعراف ٤٣).

(٥) (سورة الشعراء ١٣).

(٦) (سورة الزمر ٢٢).

(٧) (سورة النحل ١٠٦).

ونحسّ به إحساساً داخلياً بأنّه في دماغنا، والإنسان يحكّ رأسه عند التفكير، كما أنّ العواطف محلّها الصدور أو القلوب، لأنّنا نجد الحبّ والبغض والغضب والرضا والكره في الصدر، لا في الظهر ولا في الرجل ولا في الرأس، بل في الصدر خاصّة، وهكذا شاء الله بحسب الخلقة، وهي خلقةٌ بشريّةٌ يتساوى فيها جميع الناس. وعليه فالصدر هو محلّ العواطف أو إنائها، والرأس إناء العقل والتفكير وكأنّ الله تعالى ربط القوّة الدّراكة بالمخ، وربط القوّة العاطفيّة النفسيّة بالقلب، وهكذا هي الحكمة في خلقه جلّ جلاله، فالرأس المادّي هو هذا العضو المعروف، والرأس المعنوي هو القوّة الدّراكة، وهو ما يرتبط بالرأس من القوّة، وهو حصّةٌ من الروح، وكذلك الصدر، فهناك صدرٌ مادّي وآخر معنوي، يمثل ما يرتبط بحصّةٍ خاصّةٍ من الروح، لأنّ ما يحصل فيه من كرهٍ وحبٍّ وبغضٍ، إنّما هو في النفس حقيقةً، وهذا الصدر المادّي لو فتحناه لا نجد فيه شيئاً من هذه الأمور كما لا يخفى.

فالكبر موطنه الصدر، قال تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾<sup>(١)</sup>، والغلّ محلّه الصدر، قال تعالى: ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾<sup>(٢)</sup>، فالكبر والغلّ مستودعهما الصدر، وعندما يلتفت الإنسان إلى باطنه، يجد فيه كلّ شيءٍ من هذه الأمور المعنوية السيّئة، والعياذ بالله، والتي ربما تتحوّل بعون الله وحسن توفيقه إلى خيرٍ، كما لو كان الغضب غضباً على أعداء الله، أو بغضاً لأعداء الله،

(١) (سورة غافر ٥٦).

(٢) (سورة الأعراف ٤٣).

أو بغضاً للحرام وللکفر والفسق والفجور، فالعواطف - حقاً كانت أو باطلاً - موطنها صدر الإنسان، لا جزء آخر من أجزاء بدنه، فقله تعالى: ﴿لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾<sup>(١)</sup>، أي: وسّعنا لك صدرک من الناحية العاطفية لكي يتحمّل أشياء كثيرة جداً.

ولابدّ أن نلاحظ هنا أنّ الصدر، هل هو معنى شامل للعقل أو لا؟ لأنّ ما أفاده السيّد الطباطبائي (قدس سره) من أن المراد وسّعنا لك قوتك، لكي تنال بها العلوم العليا والباطنية، يرجع إلى توسيع العقل لا الصدر، إذ لا ربط لتلك العلوم بالعاطفة، نعم العاطفة ترتبط بقضية تحمّل البلاء الديني ونحوه، لأنّ الإنسان يضيق صدره من البلاء، ومن حديث الناس ومن عذاب الناس، والله من هذه الناحية بحسن توفيقه يجعله مسروراً، بدلاً من أن يجعله مكروباً، أو حزيناً، فهذا مرتبطٌ بالعاطفة، وذاك مرتبطٌ بالعقل، وكلا الجانبين موسّع ومشروحٌ ومحمّلٌ، سواء كان عند النبي والمعصوم، أم عند عامّة الناس.

ويمكن أن يُقال: إنّ الصدر مطلق الجانب الباطني من النبي أو المعصوم أو الولي، وكلٌّ من الجانبين مشروحٌ أو واسعٌ، والصدر أوسع من صدر الفرد الإعتيادي، الذي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

وها هنا سؤال لا نريد الجواب عنه في المقام، وإنّما نشير له إجمالاً قائلين: ما الفرق بين القلب والصدر؟ لأنّ القرآن تارةً ينسب العاطفة إلى الصدر، وأخرى ينسبها إلى القلب، فما هو الفرق بينهما؟.

والتحقيق: أنّ الجواب عن ذلك بالتفصيل، سيأتي التعرّض له في موطنه، إلا أنّ الذي ينبغي أن ننبه عليه هنا هو أن بين الصدر والقلب، عمومًا وخصوصًا مطلقًا، لأنّ ما في القلب في الصدر، وليس كلّ ما في الصدر في القلب، لأنّ الصدر أوسع من القلب، لاشتماله على أمور لا توجد في القلب، أمّا ما هو الفرق بينهما؟. ومن الطبيعي أنّ لكليهما نحوًا من أنحاء العاطفة، وربما يُقال -على نحو الإشارة- بأنّ ما في القلب فيه شائبة العلم، فهو عاطفة مع علم، بخلاف ما في الصدر، إذ هو عاطفة خالصة<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: آراء العلماء فيه

كما يوجد للفظ القرآني بيان ظاهر، يُنظّم سلوك الأفراد في المجتمع، ويُقنّن التعاملات الإنسانية، ويرسم حدود العلاقة مع خالقه، حسب ما يفهمه المستوى العام من العرف، كذلك لنفس معنى تراكيب الألفاظ أمتداد أعمق، وتردد أعلى، يُفهم من خلال التعمّق في الجوانب المعرفية، والأدبيات السلوكية، وهو ما يُسمّى بباطن القرآن، وهذا الأمر لا خلاف عليه، لورود النص الصريح الواضح من قبل المعصومين (عليهم السلام) على هذا المطلب، حيث استعمل السيد الشهيد (قدس سره) تلك الآليات، حينما تعرض لبيان أبواب جهنم، وكيفيتها وماهيته:

فقال: (فلا بد من فرض باب لجنهم أو أبواب، وإلا لم يصدق الإيصاد،

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٥ - ١٧.

وهو منصوص عليه في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾<sup>(١)</sup>، كما قد وردت الإشارة إليه في بعض الأخبار أيضاً.

وليس المقصود من الجزء المقسوم، أنَّ الباب مُنقسم إلى قسمين كما هو المتعارف، إذ لو كان كذلك لقال: منها ولم يقل: منهم، فمراده الجزء منهم، أي مستحقيها والمعاقبين فيها، كأنه يتصور جمعٌ واقفٌ أمام جهنم، فيقال لكل جماعة منهم: هذه الباب التي تدخلون منها، وهذا لا يستلزم الجبر، لأنه بسوء اختيارهم وفشل تصرفاتهم. والآية مُشعرة بعدم إمكان الفتح مطلقاً، كأنها موصدة إلى الأبد، وذلك بأكثر من تبرير:

**الأول:** إنَّ من يفتح الباب لا بد أن يكون مُسلَّطاً على الفتح، ومالكاً للمفتاح، وهم ليسوا كذلك، فهم آيسون من التصرف بالباب مُطلقاً، فمن زاويتهم يكون الإيصاد مؤبداً، وأما مَنْ بيده المفتاح، فيستطيع أن يفتحها متى شاء، وهما اثنان: مالك خازن النار، وقسيم النار والجنة<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** إنَّ الباب مُغلقة من الخارج، فلا يكون مَنْ في الداخل متسلطاً على فتحها، وحمل الباب على المجازية أو المعنوية، وإن كان محتملاً، إلا أنه غير متعين، غاية الأمر أننا نعلم أن الباب من جنس ذلك الوجود، فإن قلنا بمادية جهنم ولو باعتبار القول بالمعاد الجسماني، لزم القول بمادية الأبواب، وإن لم

(١) (سورة الحجر ٤٤).

(٢) ابن حجر العسقلاني، الصواعق المحرقة، ص ٧٥. وكنز العمال، ج ٦، ص ٤٠٢. نقلاً عن فضائل

الخمس في الصحاح الستة، ج ٦، ص ١٠٥.

نقل بذلك، باعتبار إنها من عالم المثل ونحوه، قلنا: بأنّ الأبواب مناسبة لها<sup>(١)</sup>. لكن الخلاف وقع بين العلماء في رسم حدود تلك المعاني الباطنية، والمنهج المُتداول، واي من تلك الأقسام التي ذكرنا، لها نحو من المقبولية، واي منها لا يمكن إعتباره، وقد ذكرنا مجموعة من الضوابط، التي تحكم النهج المُتبع في بيان صحته من سقمه.

إلا ان الكلام يبقى قيد المُطارحة، حول حجية المقبول منها، فانقسم العلماء إلى فريقين، فما بين مختلف ومؤتلف، والكل منهم ابدى رأيه، مُرفقاً بمجموعة من الأدلة، إلا ان مسلك الأطروحة يبقى خير علاج ناجع، كما سار به السيّد الشهيد الصدر (قدس سره).

ثمّ يكتب أطروحة في بيان المراد من القمر، في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، بعد التعرض إلى روايات المعصومين (عليهم السلام) حول المعنى المُستفاد من الآية، ويذكر فهما تطبيقياً بعد ذلك، حيث يقول: (الكلام نفسه في الألف واللام، من أنّها شخصيّة أو عهديّة أو جنسيّة، والقمر هل يُراد به الجزئي أو الكلّي المادّي أو المعنوي؟ والمشهور أنّه إشارة إلى امير المؤمنين (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>، فإن فهمنا منه القمر مطلقاً شمل المؤمن، فيبقى معنى الشمس والقمر واحداً.

(١) السيّد الشهيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٢٣٠.

(٢) (سورة الشمس ٢).

(٣) السيّد هاشم البحراني، الرهان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٦٧٠.

نعم، إلا أنَّ للقمر مصاديق كثيرة، فالمؤمنون والمعصومون (عليهم السلام) فيهم تابعٌ ومتبوعٌ، كالنبي (صلى الله عليه واله)، وعلي (عليه السلام) وكلُّ إمامٍ مع ولده، وكلُّ شيخٍ مع طالبه، وكلُّ مُدرِّسٍ مع تلميذه، فتكون الشمس تعبيراً عن الأسبق والقمر عن الألاحق، وإن كان يمكن أن يعبر عنه بالشمس بلحاظ آخر، كنسبته إلى تلميذه الذي بعده وهكذا. وهذا بقرينة قوله تعالى: ﴿تَلَاهَا﴾، وهذا هو العلم الذي يعلمه إياه، ولا يكون شاملاً لكلِّ علمٍ، لأنَّ سائر العلوم ظلامٌ، كما في السحر والمادِّيات.

كما يمكن شموله لكلِّ علَّةٍ ومعلولٍ، وتلاها من التلو أي: أعقبها وجاء بعدها. ويمكن في التفسير الباطني أن يكون من التلاوة أي: تلا العلوم التي تلقَّاها وعرفها، أو عرف حقيقة الشمس، وهو أستاذُه أو حقيقة علمه<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإن الإشكالات على المنهج العرفاني، أو قلَّ الباطني، سوف ترتفع بلحاظ تلك الضوابط والشروط، وحينها سيكون من المناهج المُعتبرة والصحيحة، كما ان القرآن الكريم حث الإنسان على التدبر والتفكّر في آياته، والاستفادة من العبر الموجودة، ومحاولة تطبيقها على الإنسان في كل زمان، وكذلك فإن المعصومين (عليهم السلام)، أكّدوا على وجود باطن للنص القراني، وان (من الحجب الأخرى، الحائلة دون الاستفادة من هذه الصحيفة الإلهية المُقدَّسة، الاعتقاد بعدم تجاوز ما كتبه المفسرون، أو فهموه عن القرآن الكريم، وفي هذا الاعتقاد خلط بين التفكّر والتدبر في الآيات الكريمة من جهة،

(١) السيد الشهيد مُحَمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٤٧.

وبين التفسير بالرأي المنهي عنه من جهة أخرى. وبهذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة، يُجرّد القرآن الكريم من كافة فنون الإفادة، ويصبح مهجوراً تماماً، والحال أن الإستفادات الأخلاقية والإيمانية والعرفانية، لا ترتبط بالتفسير أساساً فما بالك بارتباطها بالتفسير بالرأي...<sup>(١)</sup>.

### خامساً: نماذج تفسيرية

ومنها: في بيان معنى (الجبّال) في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾<sup>(٣)</sup>، فذكر في بيانها مفهوماً باطنياً، فقال: (وعلى أيّ حال يمكن أن نفهم من الآية بعض المعاني الباطنيّة، فالجبّال تعني الأولياء وأضرابهم، وتكون كلّ هذه السياقات صادقة عليهم.

أمّا قوله: ﴿أَرْسَاهَا﴾، فباعتبار ثبات الأولياء في المقام الذي هم فيه، كما ورد في الدعاء (إنّك أكرم من أن تضيع من ربيّته... أو تُشرد من آويّته)<sup>(٤)</sup>.

وأما ﴿أَوْتَادًا﴾، فباعتبار أنّ قلوب وعقول من هم دون الأولياء، تكون قابلةً للتزحزح والتأرجح والوسواس، ويكون ثباتها بثبات قلوب الأولياء الذين هم أعلى منهم، ومن مصاديق ذلك في الأدعيّة ما ورد من (أنّ وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس)<sup>(٥)</sup>، لأنّ من هم دون الأئمّة، إذا كانوا مخلصين

(١) السيّد روح الله الخميني، آداب الصلاة، ج ٢، ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) (سورة النبأ ٧).

(٣) (سورة النازعات ٣٢).

(٤) ابي جعفر مُحمّد بن الحسن الطوسي، مصباح المجتهد، ص ٨٤٤.

(٥) مُحمّد بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٥.

في باطنهم، ثابتين بثبات الأئمة، ولو لم يكن هذا الارتباط موجوداً، كانت أرض النفس تسيخ بأهلها، ولولا هذا الوجود، لما كان للآخرين إمكانٌ حقيقي للتكامل، لمدى ما يطرأ من الموانع، وإذا فهمنا هذا المعنى الباطني للجبال، ارتفع إشكال التنافي بينها وبين العلم الطبيعي الحديث<sup>(١)</sup>. وفي نفس المورد أيضاً، يمكن أن يُفهم: (أنَّ الجبال أوتادٌ، لأنها تنفع الأرض في تثبيت حركتها، كما أنَّ التودد ينفع في تحكيم الخيمة أو الفسطاط، ونحوها، الجبال تؤثر في تثبيت حركة الأرض، ثمَّ إنَّ هذا المعنى يصدق في الجانب المعنوي أيضاً، أي: في الأرض المعنويّة للنفس، فإنَّ أرض النفس لن تكون مستقرّةً، بل كثيرة الإضطراب والإنزعاج، إذا لم تكن فيها الجبال المناسبة لها، كقوّة الإرادة وسيطرة العقل ونحو ذلك. وعلى كلّ حال إن استبعدنا ذلك في الأرض الماديّة الدنيويّة، فلا نستبعده في الفهم المعنوي والباطني، بل هو صادقٌ مائة بالمائة<sup>(٢)</sup>.

ومنها: في بيانه لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾<sup>(٣)</sup>، فذكر مجموعة من الأطروحات، كان منها: (الجنة الباطنيّة، وهي النفس بعد أن تكون طاهرة ومشركة بنور ربّها؛ فإنّها هي الجنة لصاحبها؛ من حيث إنّ الهوى والغفلة وأضرابهما، إنّما هو من فحيم جهنّم، أو من مستويات الجحيم، فإذا زال كلّ

(١) السيد مُحمّد الصدر مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٣٧٦.

(٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٦٧.

(٣) (سورة النازعات ٤١).

ذلك، أصبح الإنسان في الجنّة<sup>(١)</sup>.

ومنها: ان الدمدة في قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾<sup>(٢)</sup>،  
قد تكون (النفس، وهو من الفهم الباطني، فتكون الدمدة البلاء الدنيوي،  
المنتج للتربية والتسوية والتكامل للحق أو للباطل؛ لأنّ الجهة المعاندة، تموت  
وتزول)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) السيّد مُحمّد الصدر منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٤١١.

(٢) (سورة الشمس ١٤).

(٣) السيّد مُحمّد الصدر منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٧٩.

## المبحث السادس الطريقة النحوية

### أولاً: تمهيد

كان للأسلوب النحوي، أثراً بالغاً في صياغة كتاب منّة المنان، حيث أولى السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، اهتماماً بالغاً في الجانب النحوي، حينما يتعاطى النصوص القرآنية، والآراء المُعتمدة فيها، حيث قسّمها: (إلى قسمين رئيسين: آراء ثابتة في الرتبة السابقة، والآراء المُتحقّقة في الرتبة المتأخرة عنه، وما هو المُعتمد في فهم القرآن الكريم، هو القسم الأول فقط).

والمراد بالآراء الثابتة في الرتبة السابقة: هي الآراء التي تحدثت عن اللغة وعن قواعد العربية، أو الأنظمة العقائدية، بغض النظر عن آيات القرآن، يعني الحديث عن تلك الأمور في أنفسها، ومن ذلك ما ثبت للمفكر من معاني لغوية، وغيرها عن الحقبة الجاهلية السابقة على الإسلام مباشرة، فإنّها في الحقيقة تُمثّل عصر النص، والمجتمع الذي نزل فيه القرآن، فيكون هو المُعتمد في فهمه، كمصدر رئيسي بلا إشكال.

والمراد من الآراء المُتحقّقة في المرتبة المتأخرة عن القرآن، كل الآراء المعروضة، بعد أخذ القرآن بنظر الاعتبار، ومحاولة الاستفادة والإستظهار منه،

فإن مثل هذه الآراء إنّما تؤخذ كاجتهادات لأصحابها، وتكون غالباً قابلة للمناقشة، ومتعارضة ومُتعدّدة، ويمكن أن يكون لأيّ مفكر رأيٌّ بإزائها وفي مقابله<sup>(١)</sup>.

فالبحث النحوي عنده (قدس سره) من المباني الثابتة، التي تمثّل عصر النص، ولغة المجتمع الذي نزل فيه القرآن الكريم، بعدما وصلت اللغة العربية إلى أوج ذروتها في تلك الحقبة.

حيث كان النص القراني، يُمثّل تحدياً واضحاً، للشعراء وارباب اللغة في تلك الحقبة الزمنية، فكان كلاماً مُعجزاً، ولفظاً جزلاً، لا ينضب عذبه، ولا يرسم شبهه، ولا حاجة بنا (إلى الإلماع بتعريف القرآن الكريم، فإنه لدى البشر أجمعين، أشهر من أن يُذكر، ولدى المسلمين أقدس من أن يُكفر، كما قالت الخنساء في أخيها صخر:

وإنَّ صخراً لتأتّم الهداة به      كأنّه علمٌ في رأسه نارٌ<sup>(٢)</sup>  
أو كما قال الشاعر الآخر:

وإذا أَسْتَطال الشيءُ قام بنفسه      ومديح ضوء الشمس يذهب باطلاً<sup>(٣)</sup>  
ويكفي من ذلك ما ذكره القرآن الكريم نفسه عن نفسه من المزايا، وما ذكره

---

(١) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٥٩.

(٢) ديوان الخنساء، ص ٣٥.

(٣) ديوان المتنبي، طبعة ليدن بشرح الواحدي، اما باقي الطبعات فقد حذف مع بيته الآخر الذي يقول:  
وتركت مدحي للوصي تعمداً إذ كان نوراً مُستطيلاً شاملاً.

سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة<sup>(١)</sup> من أوصافه<sup>(٢)</sup>.

ومن المفترض ان نبحت هنا، ثلاث فقرات مهمة، مثلّت بمجموعها الأسلوب والمنهج النحوي، الذي اختطه السيد الشهيد (قدس سره). وكانت الفقرة الاولى: تتمثل في أستعراض هذا الأسلوب، والثانية: ممارسته للنقد النحوي، والثالثة: آرائه التي انفرد بها، إلا اننا حذفنا الفقرة الثانية اعني ممارسته للنقد النحوي، دفعاً للتكرار والتطويل، المُخل بالمنهج العلمي، حيث ذكرناه في المنهج الحواري، حينما مارس ذلك الأسلوب مع ضيوف البحث، ومنهم النحويين.

وعلى كل حال فإن هذا الأسلوب، امتاز بالتلّون في وحدته، من حيث أدعية المعصومين (عليهم السلام)، والاعراب والنثر والقواعد النحوية والمباني الصرفية والقراءات القرآنية والشعر وغير ذلك.

### ثانياً: أسلوبه في عرض المادة النحوية

على كل حال، فقد استعمل السيد الشهيد (قدس سره) أسلوباً خاصاً، ومنهجاً مُميّزاً، في عرضه للبحث النحوي، عند تقريره لبيان الخطابات الإلهية، ونحاول ان نستعرض جانباً من تلك الملامح والخصائص:

**الوجه الأول:** التسليم بمحدودية تركيب الألفاظ والهيئات والجُمَل،

(١) مُحمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٨٠، الخطبة ٣٣.

(٢) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣٣.

حيث ان اللغة قاصرة عن التعبير، ورسم المرادات الجدّية، لذلك فإنه قال: (قصور اللغة، يمكن أن يكون هو المسؤول عن كثير من الظواهر الكلاميّة، في حين إنّ التوسع في اللغة، هو الحاجة الضروريّة لكثير من الأمور، كالقوافي الشعرية والسجع ولزوم ما لا يلزم، كما في لزوميات المعرّي، ومقامات الحريري وغيرها. فإذا لم يوجد في صدد معين، إلا ثلاث كلمات أو أربع، اضطر المتكلم إلى حصر حديثه في نطاق ضيق، أو إلى تكرار العبارات نفسها، لإتمام مقصوده، وهذا هو الذي أعنيه من قصور اللغة، وهو بابٌ واسع لا يقتصر على هذا المجال)<sup>(١)</sup>.

حيث اشار السيد الشهيد (قدس سره) إلى هذا المعنى، حينما قدّم عرضاً لبيان قوله تعالى: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ﴾<sup>(٢)</sup>، بعدما استعرض آراء الراغب الاصفهاني في بيانه للذكر، ومادته وهيئته، وعرج على تقسيمه للذكر<sup>(٣)</sup>، إلى لساني وقلبي، مناقشاً ذلك التقسيم<sup>(٤)</sup>، مُضيفاً قسماً ثالثاً، وهو الذكر الذهني، ليخرج بعدّة أطروحات لفهم المراد من الذكر، كانت الأطروحة الرابعة منها، والتي تناسب مقام بحثنا هي: (أنّ الذكرى ليس لها فعلٌ، فلاحظوا أنّ تذكّر أو يتذكّر، هي أفعال مصدرها التذكّر، وأمّا الذكرى فليس لها فعل ماضٍ أو مضارع، فالذكرى ليس لها فعلٌ يدلّ على زمن حصولها، بغضّ النظر عن

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣٣.

(٢) (سورة عبس ٤).

(٣) الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن الكريم، ص ١٨١، مادة ذكر.

(٤) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ١٤٤.

التسامح والمجاز، إذ المتكلم إذا أراد بيان ذلك، فلا بد له من صياغة فعلٍ من غير لفظه، فيقول: يتذكر ذكراً، كما يقول يتذكر تذكراً، لأن الذكرى ليس لها فعل ماضٍ ولا مضارع، فيضطر المتكلم لأن يصيغ لها مادةً أخرى قريبة، وهذا ما ورد في القرآن الكريم، وهذا من قصور اللغة في الحقيقة لا القرآن<sup>(١)</sup>.

**الوجه الثاني:** استخدام أسلوب الأطروحات، التي وظفها في البحث النحوي، وخاصة في الوجوه الإعرابية، حيث يذكر أربعة احتمالات<sup>(٢)</sup> في اعراب (إذا) في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾<sup>(٣)</sup>، وذكر أيضاً ستة وجوه اعرابية<sup>(٤)</sup>، لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup>، وذكر أيضاً خمسة أوجه في نصب رويداً<sup>(٦)</sup>، في قوله تعالى: ﴿فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا﴾<sup>(٧)</sup>، وغيره كثير.

**الوجه الثالث:** يعتمد إلى مناقشة الكثير من آراء العلماء في المسائل النحوية، فُرجح ويُفند، ويثبت ويخالف، مُستخدمًا أسلوب المحاورة في تعاطيه لتلك الآراء المُختلفة<sup>(٨)</sup>، كما عمد إلى مناقشة حوارية مع الطريحي، وابن منظور،

(١) السيد مُحَمّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ١٤٦.

(٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٦.

(٣) (سورة الإنشقاق ١٨).

(٤) السيد مُحَمّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٥٦.

(٥) (سورة الناس ٦).

(٦) السيد مُحَمّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٣، ص ٢٢٥.

(٧) (سورة الطارق ١٧).

(٨) السيد مُحَمّد الصدر، مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٣٠٨، ج ٢، ص ١٢٥، ج ٥، ص ٤٢٧،

ج ٤، ص ٤٣٢.

والسيد الطباطبائي، في بيان لمفردة كنس، حيث قال: (وأما) (الكنس) فمن الطريف أن الراغب لم يذكر مادتها إطلاقاً، كما يُلاحظ عدم وضوح المراد في كلام السيّد الطباطبائي في الميزان<sup>(١)</sup>، إلا أن صاحب (مجمع البحرين) ذكر ما يلي: قوله تعالى: ﴿الْجُورِ الْكُنْهِ﴾<sup>(٢)</sup>، هي بالضمّ والتشديد الخنس؛ لأنها تكنس في المغيب كالطباء، أو هي كلّ النجوم؛ لأنها تبدو ليلاً وتختفي نهاراً<sup>(٣)</sup>. ويرد عليه:

**أولاً:** أنه لم يبيّن معنى المادة إطلاقاً، وإنما اكتفى بالقول: هي الخنس، مع أن لفظة الخنس بدورها تحتاج إلى تفسيرٍ وبحثٍ عن معناها.

**ثانياً:** أن (كنس) لو كان بمعنى (خنس)، للزم تكرار المعنى في الآية بلا ضرورة، وهو غير محتمل.

**ثالثاً:** أننا قلنا غير مرّة: إن أيّ تفسير ورد في طول فهم الآية، لغرض تصحيح فهم من قبل المُفسّرين، فهو غير سديد، بل نلتزم بالمعاني السابقة رتبةً على نزول القرآن الكريم، أو قل: المعاني السابقة زماناً على نزول القرآن الكريم، التي كانت شائعةً في المجتمع يومئذٍ. والطريحي وإن حاول، إلا أنه لم يأت بالمعاني الأصلية، فيكون كلامه غير سديد؛ لأنه لا يخضع للقاعدة التي قلناها.

(١) السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٢٢١.

(٢) (سورة التكويد ١٦).

(٣) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٠٠.

ثم إنَّ ابن منظور في (لسان العرب) أعطى تفسيراً للكُنس، قد يكون أقرب إلى الفهم واللغة، فقال: (الكُنس: كسح القمامة عن وجه الأرض والمكنسة: ما كنس به، والجمع مكانس، والكناسة ما كنس، قال اللحياني: كناسة البيت ما كسح منه من التراب، فألقي بعضه على بعض، والكناسة أيضاً ملقى القمام، والمكنس مولج الوحش من الطباء والبقر، تستكنّ فيه من الحرّ، وهو الكناس، والجمع أكنسة وكنس، وهو من ذلك، لأنها تكنس الرمل حتى تصل إلى الثرى... وكنست النجوم تكنس كنوساً: استمرت في مجاريها، ثم انصرفت راجعة. وفي التنزيل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنسِ﴾<sup>(١)</sup> قال الزجاج: الكُنس النجوم تطلع جاريةً، وكنوسها أن تغيب في مغاربها التي تغيب فيها. وقيل: الكُنس الطباء والبقر تكنس أي: تدخل في كنسها إذا اشتد الحر<sup>(٢)</sup>. فتحصّل: أنَّ الكُنس في الوضع اللغوي، إزالة القمامة والأوساخ، ثم أخذ منه معنى الإحتماء عن شدة الحرّ، بعنوان أنَّه يكنس التراب إذا دخل في جحره. ثم أخذ منه معنى الاختفاء، لأنَّ الاحتماء ملازمٌ غالباً للاختفاء، فرجع الأمر بهذا التسلسل الفكري، إلى أنَّ الكُنس بمعنى الخنس، وكنس وخنس بمعنى واحد، كما أفاده الطريحي، لكن يُلاحظ أنَّ ما أفاده في (لسان العرب) أوضح ممّا ذكره الطريحي.

ويبقى الإشكال القائل: بأنَّه إذا رجع معنى الكُنس إلى الخنس، لزم منه

(١) (سورة التكويد ١٥ - ١٦).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ١٩٧ - ١٩٨ مادة (كنس).

التكرار اللفظي من غير ضرورة، وهذا الإشكال إنّما يتوجّه على المشهور، لأنّه التزم بأنّ الموصوف هو الكواكب أو النجوم، فهي الخنّس الجوار الكنّس، وذلك لأنّ الناس لم تكن تعرف صفة أخرى للكواكب والنجوم غير الغروب، فلزم على المشهور أن يحمل الخنّس والكنّس على معنى واحد، فيرد الإشكال، وهذا إنّما يدلّ على قصور فهم المشهور<sup>(١)</sup>.

**الوجه الرابع:** كان يميل في طائفة من آرائه، إلى توجهات الكوفيين في الفكر النحوي، كما في جواز مجيء الجملة الإسمية بعد (إذا) الشرطية من دون تقدير<sup>(٢)</sup>، وهذا ما يراه الكوفيون أيضاً<sup>(٣)</sup>، كذلك كان يرى أن نون التوكيد الخفيفة، تكتب بالنون اتباعاً للفظ<sup>(٤)</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾<sup>(٥)</sup> كذلك وافق الكوفيين، في أن حروف المعاني يقوم بعضها مقام بعض<sup>(٦)</sup>.

**الوجه الخامس:** من المعلوم ان الظواهر القرآنية حجة، إلا مادّل الدليل على خلافه، وقد اعتمد النحويين في بيان بعض آرائهم، على التقدير كما هو معلوم، إلا ان السيد الشهيد الصدر (قدس سره) يعتبر ذلك خلافاً للظهور

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ٩ - ٢٠.

(٣) الخضري الشافعي، حاشية الخضري، ج ٢، ص ٢٤.

(٤) عبد اللطيف الزبيدي، ائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص ١٧٧.

(٥) (سورة العلق ١٥).

(٦) الشيخ اسعد المعموري، البحث النحوي عند السيد مُحمّد الصدر في كتابه منة المنان في الدفاع عن

القرآن، اطروحة ماجستير، ص ٢٠.

القراني، فكان يميل إلى عدم التقدير في النصوص القرآنية، حيث ذكر في بيان قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾<sup>(١)</sup>، عن سبب ذكر الفاء في (فَذَلِكَ) ثلاث أطروحات:

(الأول: إنها فاء تفرعية، لأن من يكذب بالدين يفعل ذلك، فيكون من قبيل التعبير عن المعلول الموجود في الرتبة المتأخرة.

الثاني: إنها بمنزلة التعليل إثباتاً أي: بالدليل الإنشائي أي: الاستدلال بالمعلول على العلة، فإننا حين نرى عمله السيء نعرف كونه مُكذِّباً بالدين. فتكونا بمنزلة التعليل للاستفهام الاستنكاري في أول السورة.

الثالث: إنها بمنزلة جزاء الشرط، قال في الميزان<sup>(٢)</sup>: والفاء في [فَذَلِكَ] لتوهم معنى الشرط.

أقول: أي ان أداة الشرط وفعل الشرط مقدَّران على معنى: إن عرفته فهو المطلوب، وان لم تعرفه فاعرفه بصفاته، فإنه كذا وكذا.

والوجه التي لا تحتاج إلى تقدير، هي الأفضل بطبيعة الحال، فإن التقدير خلاف الأصل وخلاف الظاهر<sup>(٣)</sup>.

الوجه السادس: استعمل السيد الشهيد (قدس سره) السياق اللفظي في عرضه للنصوص القرآنية، كما ذكرناه في المباحث السابقة، حيث يُبين في العديد

---

(١) (سورة الماعون ٢).

(٢) السيد مُحمَّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٦٨.

(٣) السيد مُحمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٢٢١.

من الموارد، على أهمية السياق اللفظي، وتقديمه على القاعدة النحوية كما قال: (وما ندركه من المصلحة في ذلك - أي: في مجيء الجملة الاسميّة بعد إذا عدّة أمور:)

**الأول:** الحفاظ على نسق الآيات، مع وجود الحكمة في أن تسير كذلك في مستقبل الكلام، فإنّه لو عكس اللفظ لفسد النسق، فلو قال: (إذا انشقت السماء وإذا الأرض مدّت) أو قال: (إذا انشقت السماء وإذا مدّت الأرض) لفسد النسق الذي هو نهاية الآيات.

**الثاني:** الحفاظ على وحدة السياق اللفظي في باب الآيات، وهذا ما أكّدت عليه في عدد من المواضيع أيضاً، فإن الإخلال بالسياق اللفظي كذلك يُفسد المراد<sup>(١)</sup>، وكذلك جاء في سؤاله (عن السبب في تجرده عن الفاء في قوله تعالى: ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ كان ينبغي أن يقول مثلاً (فعلمت نفس) ، فلماذا لم يأت بالفاء في جواب الشرط؟ في حين أنّه جاء بالفاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(٣)</sup>، إلى أن يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾<sup>(٤)</sup>، والظاهر أنّ النحويين يفرّقون بين الموارد: فإذا كان جواب الشرط أمراً، أوجبوا دخول الفاء عليه، بخلاف ما إذا كان الفعل ماضياً فلا حاجة إلى ذلك، مضافاً إلى عدم انسجام الفاء مع السياق اللفظي للقرآن الكريم، إذ

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٤، ص ١٢.

(٢) (سورة الأنفطار ٥).

(٣) (سورة النصر ١).

(٤) (سورة النصر ٣).

بوجود الفاء يحدث شذوذاً في السياق وعدم انسجام، فيكون حذفه أولى<sup>(١)</sup>، كذلك فإن السيد الشهيد الصدر (قدس سره) قد منح للسياق اللفظي دوراً هاماً في قراءة وتوجيه النصوص القرآنية، ومُنحت مساحة واسعة فيها<sup>(٢)</sup>.

**الوجه السابع:** كذلك عمد السيد الشهيد (قدس سره) في أسلوبه النحوي إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية، في تحقيق وتنقيح تلك المطالب، ومن ذلك أستشهاده على جواز دخول (إذا) على الجملة الاسمية<sup>(٣)</sup>، وكاستشهاده على جواز إعادة الضمير المذكر إلى المؤنث<sup>(٤)</sup> وكذلك استشهد بالأحاديث النبوية الشريفة<sup>(٥)</sup>، وأيضاً استدلل السيد الشهيد بالآيات الشعرية<sup>(٦)</sup> وادعية أهل البيت<sup>(٧)</sup> وكل واحدة من هذه الشواهد تحتاج إلى دراسة مُستقلة بذاتها، فتأمل.

### ثالثاً: بعض آرائه النحوية

استعمل السيد الشهيد (قدس سره) مُصطلحات خاصة، لا تخرج عن القاعدة النحوية، تبلورت من رؤية خاصة للأداة المُستعملة فيها، ضمن الشروط والظروف الموضوعية لها.

---

(١) السيد مُحَمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٤، ص ٣٣٢.

(٢) لبيان البعض منها راجع: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٠، ج ٣، ص ١٨١، ج ٤، ص ٤٠٩.

(٣) المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٥) المصدر السابق، ج ٥، ص ٨٩.

(٦) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٢.

(٧) المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٨.

وقد استنطقتها المناقشات التي بنى جلساته الحوارية لأجلها، مع أئمة النحاة وكبرائهم، فولدت له آراءً وافكاراً، يعتبرها البعض اجتهادات نحوية، قد تصل إلى ثلاثين رأياً ومبنى نحويّاً، كان في مقدّماتها القاعدة اللغوية المشهورة بـ(اكلوني البراغيث)، وغير ذلك من الآراء المختلفة، طبعاً ولا يمكننا في هذه البقعة الضيقة، ان نعرض لجميعها، لان استيعابها بحاجة إلى دراسة مُنفردة<sup>(١)</sup>، تتكفل بعدها وحصرها ومناقشتها، لذلك سنذكر البعض منها، وهي كالتالي:

١ - كان الشأنية: جاء في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، والتي قد يرى انها بمنزلة الجواب عن الشرط، لوجود (بلى) الذي يعبر عن الاستفهام عن النفي<sup>(٣)</sup>، من قبيل قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد اغمضت الآية عن الفعل المضاد، والإرادة الناجزة بحق هذا العبد، وهو ما يعطي الهيبة والرهبة، التي تسري لقلوب الفاسقين في اقترافهم للقبائح والمعاصي.

---

(١) الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري، تعدد الاحتمالات النحوية واثرها الدلالي في كتاب منة المنان للسيد الشهيد الصدر. الشيخ اسعد المعموري، البحث النحوي عند السيد الشهيد في كتابه منة المنان، رسالة ماجستير.

فإن اغلب ما جاء في هذا المبحث، أعني (ثالثاً: بعض آرائه النحوية)، هو بتصرف من هذين المصدرين، حيث خُصّصا للبحث النحوي عند السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، فكانتا من أروع الدراسات البحثية في هذا المجال، طبعاً مع بعض الإضافات والتغيرات، التي أجريتها حسب مقتضى المورد، لملائمة روح البحث.

(٢) (سورة الأنشاق ١٥).

(٣) الخليل ابن احمد الفراهيدي، كتاب العين، ج ٢، ص ١٩١.

(٤) (سورة الأعراف ١٧٢).

على كل حال فطرح السيد (قدس سره) أسئلهاماً، طالما تناقلته الكتب الأصولية في الفعل على الزمان، وكان أوضح جواب لديهم هو ان ينفوا دلالة الفعل على الزمان<sup>(١)</sup>، وقد ناقش السيد الشهيد (قدس سره) هذا المطلب، في كتابه (منهج الاصول)<sup>(٢)</sup>، واثبت دلالة الزمان على الماضي، مع نفي الدلالة التي اقامها مشهور الأصوليين، على استحالة هذا المطلب بالنسبة لله تعالى.

ومن هنا نشأت فكرة (كان الشأنية) في سؤال مقدّر بـ(أَنَّ الله تعالى ليس لديه ماضٍ وحاضرٌ ومستقبلٌ، وليس أَنَّ أوصافه كانت ثمّ زالت (والعياذ بالله) ومع ذلك فإن هذا المعنى مُتكرّرٌ في القرآن كثيراً، أي: نسبة (كان) إلى الأسماء الحسنى، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك كثيرٌ في القرآن<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

وقد اعطى السيد الشهيد (قدس سره) جواباً عن هذه التساؤلات.

فقال: (أَنَّ) (كان) لا تفيد الماضي ولا الحاضر ولا المستقبل، وليس معنى ذلك أَنَّ الفعل لا يدلّ على مطلق الزمان، بل مطلق الفعل يدلّ على الزمان، إلا

(١) مُحمّد رضا الكلبيكاني، افاضة العوائد، ج ١، ص ٦٩.

(٢) السيد مُحمّد الصدر، منهج الاصول، ج ٢، ص ٨٦ - ٩١.

(٣) (سورة الفرقان ٦).

(٤) (سورة الأحزاب ٩).

(٥) وغير ذلك في الكثير من الآيات (النساء ٨٥-٩٢-٩٦-٩٩) (الاحزاب ٥٠-٥١-٥٩) (الفتح ١٤-

٢١-٢٩).

(٦) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٤، ص ١١٩.

أَنَّ هذا الاستعمال لـ (كان) له خصوصيّةٌ وله قرينةٌ عامّةٌ أو قرينةٌ ارتكازيّةٌ، تدلّ على أنّه لا يدلّ على الزمان، أَنَّ (كان) هنا تفيد الشأنيّة، أي: من شأنه أن يكون كذا، وليس الزمان، ولهذا المعنى قرينةٌ عقلائيّةٌ وعرفيّةٌ وارتكازيّةٌ. وهذه الشأنيّة لا يختلف فيها إن نسبت إلى الخالق أو إلى المخلوق، ونسبتها إلى الخالق قد عرفناه من قبيل قوله تعالى: ﴿كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، أي: من شأنه أن يكون غفوراً رحيمًا، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، أي: من شأنه أن يكون كذلك. وأمّا في نسبتها إلى المخلوقين فكذلك نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾<sup>(٣)</sup>، أي: ليس من شأن النبي أن يكون له أسرى، وهذه الشأنيّة محفوظةٌ في الأزمنة الثلاثة، ونحوه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾<sup>(٤)</sup>، أي: منفكّين عن أديانهم، بمعنى: ليس من شأنهم أن يفارقوا دينهم، إلا بقيام حجّة واضحة وأدلة لائحة<sup>(٥)</sup>.

إلا انه لا يصح القول بان (كان) الفعل الناقص في سياق النفي، تفيد الشأنيّة فقط ونقيدها بهذا الخصوص، في حين إذا وردت في سياق الاثبات لم تفد الشأنيّة، لان الفعل في كلا السياقين يفيد الشأنيّة، كما ان الشأنيّة ليس لها قرينة معينة، إلا القرينة الارتكازية. نعم من الممكن ان تفيد (كان) الماضي، ولا

(١) (سورة الفرقان ٦).

(٢) (سورة الأحزاب ٢).

(٣) (سورة الأنفال ٦٧).

(٤) (سورة البينة ١).

(٥) السيّد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٤، ص ١٢٠.

يمكن انفكاكها عنه كما ذكر في علم الاصول، ولكن بقرينة إرتكازية نفهم منها الشأنية، سواءً أكانت مثبتة او منفية، اما المنفية منها فقد جاء في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك من الآيات الوافرة، اما المثبتة منها فهي كثيرة بالنسبة إلى الأسماء الحسنى، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك ممّا ذكرنا اعلاه.

٢- الاستفهام الافرادي: اكد بعض المفسرين<sup>(٦)</sup> ان الاستفهام في قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾<sup>(٧)</sup>، هو تعليلاً للإنكار والتوبيخ، فيما سبقت تلك الآية من قوله عز وجل: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾<sup>(٨)</sup>، ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٩)</sup> وبين ان الاستفهام اما تقريرياً او إنكارياً، وذلك لأن علماء النحو ذهبوا إلى ان همزة الاستفهام، التي تدخل على النفي، فهي للإنكار على سبيل

(١) (سورة البينة ١).

(٢) (سورة آل عمران ١٦١).

(٣) (سورة الأنفال ٦٧).

(٤) (سورة الفرقان ٦).

(٥) (سورة النساء ١٧ - ١٧٠).

(٦) مُحَمَّد طاهر عاشور، التحرير والتنوير في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣٥٣.

(٧) (سورة البلد ٨).

(٨) (سورة البلد ٥).

(٩) (سورة البلد ٧).

التقرير<sup>(١)</sup> او انها للانكار فقط<sup>(٢)</sup> في حين ان السيد الشهيد (قدس سره) قدّم مصطلحاً جديداً، أطلق عليه بـ(الاستفهام الافرادي)، كان الغرض منه امرين مهمين:

**الأمر الأول:** اخذ الافراد بالنعم، اي ان المعنى عامّاً، لكن المراد منه الافراد، فهو الذي خلق كل تلك الجوارح، واودعها قوى وكيف نفساني، كان عليهم ان يشكروا الباري جل شأنه عليها.

**الأمر الثاني:** القدرة على ذلك الإيجاد، وهو شكر في مرحلة اعلى، تتمثل في العجز عن ذلك الشكر، بالتفكر في القدرة الإلهية على خلق اللسان والشفيتين والعينين، كما ذكرتها الآية المباركة.

فالآية القرآنية لا تتحدث عن عالم الإثبات، ومايكتنفها من أدلة ظاهرية إستفهامية، عن إرادة الجواب بنعم او بلى، بل الكلام كل الكلام في عالم الثبوت، ونفس الأمر والواقع، فالخلق مُتَحَقِّقٌ وموجود.

ثم يبين السيد الشهيد الصدر (قدس سره) مراداته التي من اجلها سيق هذا الاستفهام، فيقول: (وهذا الاستفهام مسوقٌ لأجل البرهان على الاستفهامين السابقين، وأنَّ الله تعالى يراه ويقدر عليه، وهو واضحٌ. وحاصل الدليل: أنَّ الذي فعل ذلك، لا شكَّ أنَّه عالمٌ قادرٌ، فمن ناحية علمه يراه، ومن ناحية قدرته يقدر عليه، أو بتقريبٍ آخر: إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، فيلزم الإقرار بأنَّ هذا هو

(١) ابن جنّي، كتاب الخصائص، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٢) عبد الله ابن هشام الانصاري، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ج ١، ص ٣٩.

عطاء الله سبحانه، إذن فالله عنده مثل ذلك، لا أعني الجوارح، بل نشاط تلك الجوارح وصفاتها الرئيسية، بالشكل الذي يناسب ذاته<sup>(١)</sup>.

٣- ضمير الخُثى: ينقسم الاسم إلى مذكر ومؤنث، فالمذكر كـ(أحمد) والمؤنث كـ(فاطمة)، كما ان هناك نوعين للمؤنث حقيقي ومجازي: الحقيقي: وهو ما يقابله ذكر من كل ذي روح، كـ(امرأة)، و(فاضلة)، و(ناقة).

والمجازي: هو ما عاملته العرب معاملة المؤنثات الحقيقية، كـ(الشمس، والحرب، والنار)، والمشهور ان (المؤنث المجازي، يصح تذكيره وتأنثه، والصواب ان يقال: ان هذا مُقيّد بالمسند إلى المؤنث المجازي، ويكون المسند فعلاً او شبهه، نحو (طلع الشمس) و(هو الشمس)<sup>(٢)</sup>. اما بالنسبة إلى الفعل، فيكون على ضربين:

#### الأول: (واجب التأنيث مع الفاعل:

- ١- إذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً، مثل: نجحت سعاد.
- ٢- إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً يعود إلى مؤنث حقيقي، مثل: سعاد نجحت، أو إلى مؤنث مجازي، مثل: الكأس انكسرت، فالفاعل في كل منهما ضميرٌ مستترٌ تقديره هي، يعود إلى سعاد في المثال الأول، وهي المؤنث الحقيقي، أو إلى الكأس في المثال الثاني، وهي المؤنث المجازي، فالمؤنث

(١) السيد الشهيد محمد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٩٩.

(٢) الشيخ عبد الغني الدقر، معجم القواعد العربية، ج ٤، ص ٥.

الحقيقي هو ما يمكن تمييز المؤنث من المذكّر في جنسه، أمّا المؤنث المجازي فهو ما لا يمكن تمييز المذكّر من المؤنث في جنسه.

### الثاني: جائز التأنيث:

١- إذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً مفصلاً عن الفعل بفاصلٍ، مثل: نجحت في الامتحان سعاد، أو: نجح في الامتحان سعاد.

٢- إذا كان الفاعل مؤنثاً مجازياً، مثل: انكسرت الكأس، أو انكسر الكأس.

٣- إذا كان الفاعل جمع مؤنثٍ سالم، مثل: نجحت الطالبات، أو نجح الطالبات.

٤- إذا كان الفاعل جمع تكسير، مثل: حضر الرجال، أو حضرت الرجال<sup>(١)</sup>.

وقد ابدل السيد الشهيد (قدس سره) مصطلح المؤنث المجازي بـ(الخشي) حينما بحث مراد قوله تعالى: ﴿لَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾<sup>(٢)</sup>، حينما استعرض اطروحة ملتزمة بوحدة السياق، على ان المراد هنا بالإنسان جزءه لا كله، وناقش اطروحته حول (الناصية)، الذي عبّر عنها: (إنّ التذكير والتأنيث بالنسبة إلى المؤنث المجازي، ينبغي أن يكون بالإختيار، وليس ثمة شيء حقيقي في اللغة،

(١) عبد اللطيف السعيد، قواعد اللغة العربية المبسطة، ج ١، ص ٥٠.

(٢) (سورة العلق ١٥).

ولو ثبتت لنا الوسادة لجعلناها خنثى، كما هو الحال في بعض اللغات<sup>(١)</sup>، فاللغة العربية قاصرة من هذه الناحية<sup>(٢)</sup>.

وكذا الحال في مناقشته لقول تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾<sup>(٣)</sup>، فقد اعتبر القرآن الكريم ان النفس مؤنثة، ولم يعتبرها مذكرة، في حين انها ليست برجل ولا امراة. ويجب عن ذلك الافتراض بأنه: (في الحقيقة هذا تابع لنظام أو قانون لغوي لا أكثر ولا أقل، والقرآن يتبع العرف في كثير من الأشياء وهذا منها، والعرف يقول: إن النفس مؤنث مجازي، وكما نعرف يوجد نوعان من المؤنث:

أحدهما يسمّى بالمؤنث الحقيقي: كالإنسان والحيوان، والآخر المؤنث المجازي: كالريح والباب والسبيل ونحوها.

وهناك ارتكاز عند العرب، أن جملة من الأشياء تعتبرها مؤنثة وجملة أخرى تعتبرها مذكرة، وهم أيضاً استعملوا كذلك، وفي بعض اللغات يضعون ضميراً ثالثاً للخنثى التي هي لا ذكر ولا أنثى، وربما ذلك موجود في اللغة الألمانية، وهذا أكثر منطقية مما هو موجود في لغة العرب، واللغة العربية لم تسر على ذلك، والعرب من حيث كونهم عرباً، عندهم ارتكاز يقضي بتأنيث عدّة من

---

(١) وهي الألمانية على ما قيل: بأن لديهم ثلاثة أنواع من الضمائر، مذكر للمذكر الحقيقي، ومؤنث للمؤنث الحقيقي، وقسم ثالث لما لا يكون مذكراً ولا مؤنثاً، وسميناه هنا بالضمير الخنثى. ولا نعلم ما يقابل اصطلاحهم باللغة العربية.

(٢) السيد محمد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ١، ص ٥٩٦.

(٣) (سورة الفجر ٢٧).

الأشياء، ونحن يجب أن نتعبّد بما ساروا عليه، والقرآن سار على هذه الطريقة أيضاً. ثمَّ إنّ اللغة سماعيّةٌ، فيجب أن نتعبّد بها، والقرآن مشى على اللغة، والحقّ معه، بل هو المتعيّن<sup>(١)</sup>.

٤- لمّا بمعنى حين: ذكر النحاة ان (لَمَّا) تأتي على ثلاثة اوجه:

**الأول:** أن تختص بالمضارع فتجزمه، وتنفيه وتقلبه ماضياً كَلَمْ، وتحتاج في اعمالها إلى شروط خمسة<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** أن تختصّ بالماضي، فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما، نحو (لما جاءني أكرمته) ويقال فيها: حرف وجود لوجود.

**الثالث:** أن تكون حرف استثناء، فتدخل على الجملة الاسمية، نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فيمن شدد الميم، وعلى الماضي لفظاً لا معنى<sup>(٤)</sup>.

وفي نفس سياق الآية القرآنية، أشار السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، بأن مجي (لَمَّا) بمعنى الظرفية الزمانية في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾<sup>(٥)</sup>، فإن: (هذه الأطروحة وإن كانت شاذّة، إلا أنّها محتملة، وحاصلها البناء على التشديد في (لَمَّا) وأنَّ (لَمَّا) ظرف زمان بمعنى: حين، وهو معنى

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج٢، ص٣٥٩.

(٢) عبد الله ابن هشام الانصاري، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ج١، ص١٠٥.

(٣) (سورة الطارق ٤).

(٤) عبد الله ابن هشام الانصاري، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ص١٠٦.

(٥) (سورة الطارق ٤).

مستعمل عرفاً، تقول: أكرمتك لَمَّا جئتني، أي: حين جئتني.

والفرق أنه في هذا المثال دخلت (لَمَّا) على الجملة الفعلية، وفي الآية دخلت على الجملة الاسمية: ﴿لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ سواء أكانت النسبة في الجملة الاسمية تامة أم ناقصة، والحاصل: أنها ليست جملة فعلية، فيراد بها التقيّد بالظرف المناسب، فتكون (لَمَّا) أي: حين يناسب الحفظ<sup>(١)</sup>.

(فوجه الشذوذ في هذه الأطروحة، ان (لَمَّا) دخلت على جملة اسمية، و(لَمَّا) كما ذكرنا في الوجه الثاني، الذي بينه ابن هشام الأنصاري في إعمالها سواء أكانت حرفاً أم ظرفاً، لا يليها إلا فعل ماضٍ مثبت أو منفي، والسيد الصدر (قدس سره) يعي ذلك جيداً، فضرب لنا مثلاً مستعملاً عرفاً: (أكرمتك لما جئتني)، و (لَمَّا) دخلت على جملة فعلية، وأن الاكرام مشروط بالمجيء<sup>(٢)</sup>).

٥ - إنكاره لقاعدة نحوية: فعند بيانه لإعراب الآية المباركة: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾<sup>(٣)</sup>، والأطروحات المختلفة في فهم مضمانيها، توجه السيد الشهيد (قدس سره)، إلى اعراب قوله تعالى (بَنَاهَا)، التي تمثل جملة كاملة من فعل وفاعل ومفعول به، حيث قال في:

(الأطروحة الأولى: أن لا يكون لها صلة إعرابية بما قبلها، وإنما هي

(١) السيد مُحَمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٢، ص ١٣٤.

(٢) الشيخ اسعد المعموري، البحث النحوي عند السيد الشهيد في كتابه منة المنان، ص ١٤٤.

(٣) (سورة النازعات ٢٧).

تصدّي بالإخبار من جديد، وليس من الضرورة أن تكون كلّ الأشياء مرتبطة في الكلام الواحد، من ناحية الإعراب<sup>(١)</sup> حيث هي جملة لا علاقة لها بما سبق إعرابياً، وهي كاطروحة قابلة للمناقشة.

**الأطروحة الثانية:** وهذه في الاصطلاح أطروحة شاذّة على خلاف القواعد المتعارفة أن تكون الجملة صفةً للسماء، طبقاً للقاعدة القائلة: إنّ الجمل بعد المعارف أحوالاً، وبعد النكرات صفاتٌ، حيث سلّمنا هنا بثبوت القاعدة، وهي بطبيعتها أطروحة شاذّة، كون البناء هو صفة للسماء، بعدما ذكر المراد من السماء، وبيّن احتمالات الفهم الخاص والعام منها.

**الأطروحة الثالثة:** أن ننكر القاعدة النحويّة السابقة، فإنّها تعبّد من النحويّين، ولا دليل عليها، ولا يمكن وروده عن العرب، لأنّنا سمعنا من العرب الجاهليّة هذا الكلام، وهم لا يفهمون الصفات ولا الأحوال، وإنّما ينطقون على سجيّتهم، فمن قال: إنّ هذه صفاتٌ وهذه أحوالٌ؟! فمن الممكن أن يحصل العكس ونختار الشقّ الآخر: فإنّما أن نجعلها صفةً أو نجعلها حالاً، وهي جملة، فبالإمكان أن نجعلها في محلّ رفع صفةً، أو في محلّ نصبٍ حالاً، فهي ليست محرّكةً لفظياً لكي يتعيّن أحدهما<sup>(٢)</sup>، وفي هذه الأطروحة ينكر السيد الشهيد (قدس سره) تلك القاعدة القائلة: (بان الجمل بعد المعارف احوال، وبعد النكرات صفات)، وبيّن سبب عدم التعبّد بها، وبغيرها من القواعد الأخرى.

(١) السيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ٣٥٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٥٧ - ٣٥٩.

## المبحث السابع طريقة الاحتمالات

### أولاً: تمهيد

لاشك في ان لاستعمال المصطلح وبيانه، دور كبير في تعريف القارئ، على مرادات الفكرة قيد المباحثة والنقاش، وفي كتاب منّة المنان استعمل السيد الشهيد الصدر (قدس سره) مرادفات مختلفة، وضح المُبهم منها، وأعرض عن المتبادر.

فكان الكتاب قائماً على اساس نظرية الأطروحات، كما اشار في مقدّمة كتابه، ووضح المقصود منها ودوافع أستعمالاتها (كما ذكرنا سابقاً)، كذلك فقد استعمل (قدس سره) مفهوم الإحتمال، وفي بعض الاحيان عبّر بالوجه. وفي هذا المبحث، سنوجز بيان معنى الإحتمال، والغرض من استعماله وتعريفه، مع بيان الفرق بين الأطروحة والإحتمال، دون الغوص في أساسيات نظرية النظرية، وذلك لأمرين:

أولهما: ان نظرية الإحتمال من السعة والشمولية البحثية، التي تقتضي أفراد دراسة خاصة لاستيعابها، وبيان تطبيقاتها الرياضية، والأعتراضات المنشودة على القيم الاحتمالية، وممارسة الجهد النقدي، لِمَا حقّقه كارل بوبر، ومعادلة بوز، وبرنولي، ومعارضة راسل على التكرار المتناهي، ونقد نظرية لابلاس،

وكينز على السببية والدليل الإستقرائي وغير ذلك، وهذا كلّه لاجل تنقيح المفهوم الإجمالي<sup>(١)</sup>.

**ثانيهما:** تقديم ما يتلائم وروح البحث، وإلا سيتوشح بالمباحث الأجنبية عن المقصود، ونتمسك حينها بالحواشي<sup>(٢)</sup>، ونترك المطلب الأصل، وهو قبيح منهجاً، كما عبّر عنه (قدس سره): (من حوى الحواشي ما حوى شيء)، وسنخرج عن مسار البحث في المناهج التفسيرية، أصل الفكرة.

## ثانياً: المعنى اللغوي والإصطلاحي

جاء في معاجم اللغة ان الفعل (حمل) يدل على حمل الشيء ورفع، وقد أورده ابن فارس في معجمه فقال: (الحاء والميم واللام، أصل واحد، يدلّ على اقلال الشيء، يقال: حملت الشيء، أحمله حملاً)<sup>(٣)</sup>، وأما ابن منظور فقال: (حمل: حمل الشيء، يحمله حملاً وحملاً، فهو محمول وحميل، واحتمله)<sup>(٤)</sup>، ومن الأصل الثلاثي (حمل)، تشتق صيغة (إحتمال)، لتكسبها دلالة جديدة، وفي ضوء هذا المفردة، سوف تدلّ على المبالغة في التحمّل والإجتهد<sup>(٥)</sup>.

---

(١) وقد عقدنا دراسة كاملة بعنوان (شرح نظرية الإحتمال في كتاب الأسس المنطقية للإستقراء)، نسأل الله تعالى إتمامه بفضلته وكرمه.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص ٢٨٣، مادة حمل.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ١٧٤.

(٥) الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ١١.

اما المعنى الاصطلاحي، فهو قريب لمعناه اللغوي، حيث جاء في كتاب التعريفات بانه: (ما لا يكون تصور أحد طرفيه كافياً، بل يتردد الذهن في النسبة بينهما)<sup>(١)</sup>، وفي معجم اللغة العربية اعتبروه (مذهب يقرّر أنّه من المحال بلوغ اليقين المطلق، مع إمكان ترجيح رأي على آخر)<sup>(٢)</sup>، لذلك اعتبره البعض مذهباً فكرياً، هاجم نظرية الفكرة اليقينية، من خلال احتساب عدد المرات الحقيقية لحصول حادثة معينة، إلى مجموع المرات المحتملة، عن طريق مجموعة من القواعد الرياضية، التي تتمكن منها من احتساب المصادفات.

### ثالثاً: الإحتمال الواقعي والإحتمال الافتراضي

ذكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) في عرضه لنظرية الإحتمال، تقسيمات مختلفة له، لكننا وكما اسلفنا، سنتناول ما يتلائم وبحثنا عنها، وكان من هذه الأقسام المتعددة للإحتمال، هو الإحتمال الواقعي والإحتمال الافتراضي، حيث ميّز بينهما بـ(عبارة نقولها، حينما نأخذ عراقياً معيناً ولا ندري هل هو ذكي او لا فنقول: من المحتمل بدرجة كذا ان يكون ذكياً، وعبارة نقولها حينما نفترض عراقياً، فنقول: إذا كان الإنسان عراقياً، فمن المحتمل بدرجة كذا ان يكون ذكياً).

فالعبرة الأولى تتحدث عن إحتمال واقعي، وشك حقيقي، وبالإمكان إزالة

(١) الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ١١.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصر، مادة احتمل.

هذا الإحتمال وتبديله إلى اليقين، إذا استطعنا ان نجمع معلومات تفصيلية كافية عن ذلك الفرد العراقي، بالدرجة التي تتيح لنا ان نُجزم بانه ذكي او ليس ذكياً، والعبارة الثانية تتحدث عن إحتمال أفتراضي، اي عن يقين في صورة شك، لان الإنسان العراقي الذي تنبئ هذه العبارة، عن درجة إحتمال كونه ذكياً، ليس هو هذا الفرد او ذاك، بل فرد أفتراضي ليس له واقع مُحدّد، فلا معنى للشك الحقيقي، في انه ذكي او لا<sup>(١)</sup>.

ومن هذا التقرير نعلم جيداً ان الإحتمال الواقعي، غير قائم على أساس مُفترض، بعكس الإحتمال الأفتراضي، حيث يُمكننا تضخيم نسبة الإحتمال الواقعي، برفده بالقرائن والمعلومات التفصيلية، لينسلخ من تصنيفه الإجمالي، ويكون ضمن المعلوم بالتفصيل، حينها يدخل في زوايا الأطروحة، طبعاً وفي الأمر كلام، حول كونه واقعاً بالمعنى الأخصّ او الأعمّ، وهل هو مقاربة، وهل تصح على القيم الرياضية، وغير ذلك من المباحث التي تُطرح.

#### رابعاً: قاعدة جمع الإحتمالات (المتنافية وغير المتنافية)

(نحن إذا امكنا ان نفهم من القران عدّة معان، فكل معنى معقول يكون داخلاً تحت التوقع)<sup>(٢)</sup>، ومن الممكن ان تكون تلك المعاني المعقولة، اي المُحتملات، داخلة تحت التوقع المطلوب لإجمالي النص، بشرطية ان لا

(١) السيد الشهيد مُحمّد باقر الصدر، الأسس المنطقية للإستقراء، ص ١٦٧.

(٢) السيد الشهيد محمد الصدر، منة المنان في الدفاع عن القران، ج ١، ص ٣٢٩.

تكون تلك الإحتمالات متنافية فيما بينها، فقد (يتنافى وقع أحداها مع الآخر، فلا يمكن ان نحتمل إلا واحداً منها فقط)<sup>(١)</sup>، فيطلق عليه بالإحتمالات المتنافية، فيشرع الذهن في بيان الإحتمالات قبل مرحلة ثبوت دليليتها، ويستعرض اثنين او اكثر من تلك الإحتمالات، وفي الوقت ذاته يتسأل، إذا وقع التنافي بين تلك الإحتمالات في مرحلة الدليلية، فهل يمكن الجمع بينها؟.

قلنا: من الواضح جداً انه لا يمكن جمع الإحتمالات المتنافية، في مرحلة تحليل المفهوم الاجمالي للنص القراني، لوقوع التضاد بينها، ولا بديهية صدق دليلية احد تلك المُحتملات، لترتقي إلى مصاف الأطروحة، وسقوط الإحتمالات المتنافية، وهو ما أطلق عليه بـ(بديهية الانفصال) بين المحتملات. اما الإحتمالات غير المتنافية، فلا شك ولا شبهة من إمكانية الجمع بينها، لعدم وقوع التضاد في صدق تلك المحتملات، على كشف النص (لبديهية اتصالها) جميعاً، بل كلّها مُمكنة وقابلة للصدق-طبعاً بسروطها- فلا يتنافى في اعتقاده (وقوعها جميعاً في قصد القران)<sup>(٢)</sup>.

ولم يعرض السيد الشهيد (قدس سره) عن الإتيان بتطبيقات للإحتمالات المتنافية وغير المتنافية، بعدما حيّزها في قراءته للنص، وترك الساحة للقارئ، ليضع مشاركة له في قراءته، وقد ذكرنا نموذجاً منها في مبحث الأطروحات المتنافية وغير المتنافية، فلا نُكرّر.

(١) السيد الشهيد مُحمّد باقر الصدر، الأسس المنطقية للإستقراء، ص ١٤٢.

(٢) السيد الشهيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن تفسير القران، ج ١، ص ٢٦٨.

### خامساً: الإحتمال مبطل للإستدلال

ثمّة أوصلاحين في العنوان المبحوث اعلاه، هما (الإحتمال والإستدلال)، وقد تبين لدينا المراد من المقطع الأول - اعني الإحتمال - كما ذكرناه سابقاً، اما الثاني وهو الإستدلال، فهناك مستوى من الفهم لمراد السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، انه يعني بالإستدلال هو السؤال كما قال:

(هذا، فإن كلّ سؤالٍ سيكون بمنزلة الإستدلال ضد القرآن الكريم، من حيث فتح فجوة في مضمونه، أو الاعتراض على أسلوبه، وحاشاه. ومن ثمّ تكون الأطروحات كافيةً، لإسقاط ذلك الإستدلال، وإماتة ذلك التفكير)<sup>(١)</sup>.

أقول: هذا اللون من البيان لمعنى الإستدلال غير تام، وذلك لعدة أمور:  
الأول: انه إصطلاح تنزيلي، اي نزل مفهوم الإستدلال، واستعمله في غير معناه اللفظي والإصطلاحي.

فإن قلت: ماسبب ذلك؟.

قلنا: لامرين:

اولهما: ان الاسئلة التي تنطلق من نقطة الاعتراض على مضمون القرآن، او إيجاد فجوات من خلال البحث عن التعارض في ثناياه، يعتبرها القائم على هذه الفكرة، بمثابة إستدلال على الضعف في أسلوبه (تعالى كتاب الله عن ذلك علواً كبيراً).

وثانيهما: رسم هذا الإصطلاح التزيلي بقالب مُحدّد، واتفق مع القارئ

---

(١) السيد الشهيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٧.

الليب، على إعمال تواضع لمصطلح اطلق عليه بـ(الإستدلال المُضاد) قاصداً به، كل محاولة يُركَّبها العقل البشري، لبحث عن مُحتمل في اختراق التركيب والأسلوب القراني، لذلك قال: (وأيّ من تلك الأطروحات تَمّت، فقد تمّ الجواب، وانتفى الإستدلال المُضاد)<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** الإحتمال سواءً وُجد أو عُدِم، سيبقى الباب مفتوحاً أمام السؤال وبتعبير آخر ان السؤال يبقى قائماً بنفسه، ولا يعدمه الإحتمال، لذلك فإن قولهم (الإحتمال مبطل للإستدلال) سيكون جريانها غير عقلائي في هذا الفهم، لان مجرد إحتمال لا يبطل السؤال.

**الثالث:** إذا كان الإستدلال هو السؤال، فاي إحتمال هو مبطل للسؤال، ولم يمازجه اي قرينة.

لذلك فإن هذا التواضع الإصطلاحي في جعل الإستدلال سؤال، قد ركز السيد الشهيد الصدر (قدس سره) فيه على نقطة واحدة، هو محو ذلك التفكير واماتته، فيكون الرد بآي وجه او أطروحة مُحتملة، كافية في أسقاط ذلك الإستدلال المُضاد: (وهذا هو المهم، بغض النظر عن البتّ بأيّ وجهٍ من تلك الوجوه، والأخذ بأيّ من الأطروحات)<sup>(٢)</sup>.

نعود الان إلى للنظر في صدق انطباق قاعدة (الإحتمال مُبطل للإستدلال) وهل هي من أحكام العقل النظري، او قاعدة تولدت من رحم التكرار، لأن

(١) السيد الشهيد مُحَمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن تفسير القران، ج ١، ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨.

الصدفة لا تكون أكثرية ولا اتفاقية، او هي مصادرة للعقل؟.

من المؤكد ان استيعاب تلك الاستفهامات، واقامة البراهين عليها نقضاً وإيجاباً، يؤدي بالأنعطاف إلى البحوث المنطقية.

لكنك قد تسأل: ما الداعي في عرض تلك الأسئلة الثلاث.

أقول: نهجاً على مسار المصنّف (قدس سره)، في فتح الباب أمام الباحثين والمُحققين، لاهمية موضوعه وتطبيقاته المُختلفة في الإستدلالات. وسنأخذ ما يتلائم وحصّة بحثنا، كي لا نحيد عن مساره.

**فإن قلت:** كل احتمال مُبطل للإستدلال او لا؟.

**قلنا:** قد فهمنا فيما سبق، عند عرض المنهج الإحتمالي، انه قائم على مقدّمات ستة، ذكرها السيد الشهيد مُحمّد باقر الصدر (قدس سره) في كتابه (الأسس المنطقية للإستقراء)<sup>(١)</sup>، ما تخمّر منها، لينضج ويكون مُحتملاً مقبولاً، عبّر عنه السيد الشهيد الصدر (الإحتمال المُحترم)<sup>(٢)</sup>، المحفوف بالأدلة والقرائن، ليرتقي حينها إلى مصاف الأطروحات.

فإذا كان لدينا استفهام معين، قُدّم إليه مجموعة من الأجوبة، القائمة على الأدلة والبراهين، كل واحد منها يُمثل أطروحة بنيت بقرائنها، وكانت أحد هذه الأطروحات متباينة، قُدّم الأكثر برهاناً واستدلالاتاً وبياناً، فهل يمكن ان يكون الإحتمال المُجرد عن تلك القرائن، الغير قائم على أسس وركائز نظرية

(١) السيد الشهيد مُحمّد باقر الصدر، الاسس المنطقية للاستقراء، ص ٢٢٤.

(٢) السيد الشهيد مُحمّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٨.

الإحتمال، إذا دخل على دليل تام في مقام الجواب، يعمل على إبطال الإستدلال. هذا خلاف التصور العقلاني، لان دليلية الأطروحة، لا يمكن لها ان تتأثر باحتمال مجرد عن الدليلية.

ان قلت: بناءً على قولكم، فلا يمكن حينها ان يبطل الإحتمال الإستدلال؟.

قلنا: نعم، يصدق هذا الكلام في جانب واحد فقط، حينما تكون جميع الأطروحات متساوية الأطراف في دليلتها، ولا تحمل قوة التصاقها بالجواب، فيكون الإحتمال حينها مُبطلًا للإستدلال، باي منها عن غيرها.

لكن، إذا كان السؤال يحتاج إلى إستدلال تام (جواب يقيني) فاي إحتمال حينها، سيُضعف من يقينيات هذا الإستدلال ويبطله، ويلغي دليлите، لذلك فإن (الإستدلال لابدَّ وأن يكون قائمًا على الجزم، ومنتجًا لليقين بالنتيجة. إذن، فأية فكرة طعنت في ذلك واستطاعت إزالة اليقين به، كافية في الجواب على السؤال، وإسقاط الإستدلال)<sup>(١)</sup>.

قدّ تقول: هل يوجد فرق بين الإحتمال والأطروحة؟.

اقول: نعم فالفرق قد بيناه في المباحث السابقة بنحو الإجمال، ويمكن ان نبين هنا مابه الأمتياز، ومابه الاشتراك، الذي بينهما:

اما نقطتي الاشتراك:

الاول: ان كل من الإحتمال والأطروحة، امر يبرق على الذهن، في التعاطي

(١) السيد الشهيد مُحَمَّد الصدر، منة المنان في الدفاع عن تفسير القران، ج ١، ص ٣٨.

مع الأشياء، فهي خاطرة، تستمد وجودها من حركة الفكر بين مفاهيم الأشياء وحقائقها.

**الثاني:** تصارع عمليات التفكير في الأشياء، تنتج مُحتملات أكثر، وتولّد أطروحات أوسع، بغض النظر عن تضاد تلك الإحتمالات وتنافيها، وعقلانية تلك الأطروحات وتناقضها.

اما الامتياز:

فيمكن القول بان مفهوم الأطروحة، أوسع من الإحتمال، لان الباب لا يوصد امام التفكير للإجادة والإضافة، فيُحتمل ان تكون هذه الأطروحة مناسبة او صادقة، ولا تكون أطروحة هذا الإحتمال صادقة او كاذبة.

هذا ما ودّدنا بيانه، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه مُحَمَّد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

## فهرست المصادر

القران الكريم

نهج البلاغة

### حرف الألف

١. ابجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الانصاري، منشورات  
القران، ١٩٩٧.
٢. اثر العرف في التشريع الاسلامي، سيد صالح، دار الكتاب الجامعي،  
مصر، ١٩٨١.
٣. آداب الصلاة، السيد روح الله الخميني، منشورات مؤسسة الاعلمي،  
بيروت، ١٩٨٦.
٤. اساس البلاغة، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتب العلمية، لبنان،  
١٩٩٨.
٥. اصول البحث، عبد الهادي الفضلي، دار المؤرخ العربي، ١٩٩٣.
٦. اصول التفسير وقواعده، خالد بن عبد الرحمن العك، دار النفس،  
بيروت، ٢٠٠٧.

٣٠٤..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان

٧. اصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة، مصر، ٢٠٠٩.
٨. افاضة العوائد، مُحمّد رضا الكلبيكاني، دار القرآن الكريم، قم، ١٤١١.
٩. امالي الصدوق، مُحمّد بن بابويه القمي، انتشارات كتابخانه، طهران، ١٣٦٢هـ.
١٠. امكانات التأويل وحدوده، علي حسن هذيلي، مكتبة أهل الحق للنشر، ٢٠١٥.
١١. املاء مامن به الرحمن، العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
١٢. ائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف الزبيدي، تحقيق الدكتور طارق الجنابي، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٧.

### حرف الباء

١٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مُحمّد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٤ هـ ق.
١٤. البحث الدلالي عند السيد مُحمّد مُحمّد صادق الصدر، رحيم كريم الشريفي، الناشر مؤسسة النخب الاسلامية، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الاشرف، ١٩٩٩.
١٥. البحث القرآني عند السيد مُحمّد الصدر، سالم شبيب، الناشر مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد الصدر، مطبعة المعمورة، العراق، ١٤٣٠ هـ.
١٦. البحث النحوي عند السيد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان، الشيخ اسعد

المعموري، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل.

١٧. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، مطبعة بنياد بعثت، طهران، ١٤١٦هـ.

١٨. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢.

١٩. بصائر الدرجات، مُحَمَّد بن الحسن بن فروخ الصفار، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠.

٢٠. البيان في تفسير القرآن، السيد ابو القاسم الخوئي، الناشر دار انوار الهدى، ١٩٨١.

### حرف التاء

٢١. تاج العروس مُحَمَّد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان.

٢٢. تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٣٦.

٢٣. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠١.

٢٤. التبيان في تفسير القرآن، امين الدين ابو علي الفضل بن علي الطبرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٥. تجديد التفكير الديني في الاسلام، مُحَمَّد اقبال، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠١١.

- ٣٠٦..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان
٢٦. التحرير والتنوير في تفسير القرآن، مُحمّد طاهر عاشور، دار سحنون للنشر، تونس، ١٩٩٧.
٢٧. تحليل الخطاب، أمانة بلعلي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٦.
٢٨. تعدد الاحتمالات النحوية واثرها الدلالي في كتاب منة المنان، عبد الكاظم محسن الياسري، مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد الصدر، لبنان، ٢٠١١.
٢٩. التعريفات، علي بن مُحمّد السيد الشريف الجرحاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
٣٠. تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، منشورات دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ.
٣١. تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني، مطبعة بنياد بعثت، طهران، ١٤١٦ هـ.
٣٢. تفسير التستري، مُحمّد بن سهل بن عبد الله التستري، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
٣٣. التفسير الصافي، مُحمّد محسن المشهور بالفيز الكاشاني، المطبعة الاسلامية، طهران، ١٣٧٤ هـ.ق.
٣٤. تفسير العياشي، مُحمّد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندي، جابخانه علمية، طهران، ١٣٨٠ هـ.ق.
٣٥. تفسير القرآن الكريم اصوله وضوابطه، علي بن سليمان العبيد، نشر

مكتبة التوبة، الرياض، ٢٠١٠.

٣٦. تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاصيلية، احمد البريدي، مجلة معهد الامام

الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد (٢) ١٤٢٧ هـ.

٣٧. التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار احياء التراث العربي و بيروت،

٢٠٠١.

٣٨. تفسير الكوفي، ابي القاسم بن فرات الكوفي، سازمان انتشارات وزارت

ارشاد اسلامي، ١٤١٠ هـ.

٣٩. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي،

دار النفائس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

٤٠. التفسير بالرأي، مُحمّد زغلول، مكتبة الفارابي، ١٤٢٠ هـ.

٤١. تفسير سورة الحمد، السيد مُحمّد باقر الحكيم، مجمع الفكر الاسلامي،

قم، ١٤٢٠ هـ.

٤٢. تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي، انتشارات اسماعيليان،

١٤١٥ هـ.

٤٣. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، مُحمّد هادي معرفة، الناشر الجامعة

الرضوية للعلوم الاسلامية، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية،

١٤١٨ هـ.

٤٤. التفسير والمفسرون، عميد الزنجاني، طبعة منظمة الاعلام الاسلامي،

طهران، ١٤٠٤ هـ.

٣٠٨..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المتان

٤٥. تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، المكتبة الازهرية للتراث،

مصر، ٢٠٠٦

٤٦. التواصل الحضاري مفهوم الحداثة في قراءة النص القراني، عمار التميمي،

مطبعة الثقليين، النجف الاشرف، ٢٠١٣.

### حرف الثاء

٤٧. الثورة البيضاء، قاسم الكعبي، مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد

الشهيد الصدر، النجف الاشرف، ١٤٣٠ هـ.

### حرف الجيم

٤٨. جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، دار المعرفة، مصر،

١٤١٢ هـ.

٤٩. الجامع لاحكام القرآن، ابو عبد الله مُحَمَّد بن شمس القرطبي، انتشارات

ناصر خسرو، طهران، ١٣٦٤ هـ.ق.

### حرف الحاء

٥٠. حاشية الخضري، الخضري الشافعي، مطبعة دار الفكر، مصر، ٢٠١٠

٥١. الاحتجاج، الطبرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت.

### حرف الخاء

٥٢. الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٩.

٥٣. خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي،

المطبعة الاميرية، بولاق، مصر.

## حرف الدال

٥٤. دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، صاحب ابو جناح، دار الفكر للنشر، عمان، ١٩٩٨.
٥٥. دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ١٩٩٢.
٥٦. الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد، دار الضياء للنشر، الاردن، ١٩٨٥.
٥٧. ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق، ابراهيم عوضين، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٥.
٥٨. ديوان المتنبي، احمد بن حسين المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣.

## حرف الراء

٥٩. الراغب الاصفهاني وجهوده في اللغة والادب، عمر بن عبد الرحمن الساسي، المكتبة الاسلامية الجبلية، ١٩٧٧.
٦٠. رسالة نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف، لابن عابدين، مطبوعة ضمن رسائل ابن عابدين، مطبعة در سعادت، ١٣٢١ هـ.
٦١. رسائل اخوان الصفا، علي اصغر حلبي، مطبعة اساطير، طهران، ١٣٢٣ هـ.
٦٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ.

٣١٠..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان

### حرف السين

٦٣. الاسس المنطقية للاستقراء، السيد الشهيد مُحمّد باقر الصدر، دار الكتاب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.

### حرف الشين

٦٤. شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، ١٤٠٠ هـ.
٦٥. شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين بن عمر التفتازاني، كتبة صبيح، مصر، ٢٠١٠.
٦٦. شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستربادي، مؤسسة الصدق، طهران.
٦٧. شرح نهاية الحكمة، غلام رضا الفياضي، مؤسسة ازموشي، طهران، ١٣٨٨ هـ.ق.
٦٨. الشهيد الصدر الثاني مرجع امة، صلاح عبد الرزاق، منتدى المعارف، بيروت.
٦٩. الشمس الساطعة، السيد مُحمّد حسين الطهراني، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٧ هـ.

### حرف الصاد

٧٠. الصدر الثاني الشاهد والشهيد، مختار الاسدي، مطبعة الامين، ١٩٩٩.
٧١. الاصول العامة للفقه المقارن، السيد مُحمّد تقى الحكيم، مؤسسة ال البيت عليهم السلام، بيروت، ١٩٧٩.

٧٢. الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٩٧.

### حرف العين

٧٣. العرف والعادة في رأي الفقهاء، احمد فهمي ابو سنة، دار البشائر للطباعة، ١٩٩٢.

٧٤. الاعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢.

٧٥. علم الدلالة، احمد مختار عمر، دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٧.

٧٦. علم اللغة، الاجتماعي كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٧.

٧٧. علم اصول الفقه، عبد الوهاب بخلاف، مكتبة الدعوة، شباب الازهر، ٢٠٠٩.

٧٨. عقلانية التفكير ومنهجية التفكير، عمار التميمي، مخطوط

٧٩. عيون اخبار الرضا، جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي، انتشارات جهان، طهران، ١٣٧٨ هـ ق.

٨٠. العين، الخليل ابن احمد الفراهيدي، منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٥ هـ

### حرف الغين

٨١. الغدير، الشيخ الاميني، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤.

### حرف الفاء

٨٢. الفتوحات المكية، ابن عربي، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ١٣٢٩ هـ.

- ٣١٢..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان
٨٣. فقه الاخلاق، السيد الشهيد مُحمّد الصدر، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر، ١٤٣٠ هـ.
٨٤. في سبيل موسوعة فلسفية سقراط، مصطفى غالب، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨.
٨٥. في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، سعد توفيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢.
- حرف القاف**
٨٦. القاموس المحيط، الفيروز ابادي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
٨٧. قراءة النص القراني عند السيد الشهيد مُحمّد الصدر، علي جاسم الخزاعي، مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد الصدر، بيروت، ٢٠١١.
٨٨. القرآن في الاسلام، السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، ترجمة السيد احمد الحسيني، الناشر سازمان تبليغات اسلامي، قم.
٨٩. قوانين الاصول، الميرزا القمي، مؤسسة انصاريان، ١٩٩٥.
٩٠. قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، مُحمّد فاكّر المبيدي، الناشر، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، مركز الدراسات العلمية، ٢٠٠٩.
٩١. قواعد اللغة العربية المبسطة، عبد اللطيف السعيد، وزارة الاعلام والثقافة، ٢٠٠٦.

## حرف الكاف

٩٢. الكافي، مُحمّد بن يعقوب الكليني، دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٥.
٩٣. كشف الظنون، مُحمّد بن حمزة الفناري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤.
٩٤. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكّي بن ابي طالب القيسي.
٩٥. كفاية الاصول، مُحمّد كاظم الخراساني (الآخوند الخراساني) مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٢٤ هـ.
٩٦. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، علاء الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
٩٧. الكنى واللقاب، الشيخ عباس القمي، منشورات مكتبة الصدر، ٢٠١٣.

## حرف اللام

٩٨. لسان العرب، مُحمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ابن منظور، نشر اداب الحوزة، قم، ١٤٠٥ هـ.ق.

## حرف الميم

٩٩. مادة الفلسفة والمنطق، وزارة التربية والتعليم بمصر، للصف الثاني الثانوي، ابراهيم مصطفى، احمد الزيات، حامد عبد القادر، مُحمّد النجار.

- ٣١٤..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان
١٠٠. المبدأ والمعاد، مُحمّد بن صدر الدين الشيرازي، انجمن حكمت، طهران، ١٣٥٤ هـ ش.
١٠١. مختار الصحاح، مُحمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ..
١٠٢. مجمع اللغة العربية، على شبكة الانترنت.
١٠٣. مجموعة اثار، مرتضى مطهري، مُحمّد جواد الصباحي، بيروت، ١٩٩٦.
١٠٤. مفهوم النص، نصر حامد او زيد، نشر المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٩.
١٠٥. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، قم، ١٤٠٨ هـ.
١٠٦. مجلة كلية اللغة العربية مُحمّد أبو السعود، دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، بأسيوط، عدد ٧، سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
١٠٧. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، د. أحمد مختار عمر ظاهرة الترادف بين القدماء والمحدثين، الكويت عدد ٦، ربيع الاول.
١٠٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسين الطبرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥ هـ.
١٠٩. المدخل الفقهي العام، مصطفى احمد الزرقا، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨.
١١٠. المدرسة القرآنية، السيد مُحمّد باقر الصدر، الناشر مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٤ هـ.

١١١. مرآة الانوار ومشكاة الاسرار، عبد اللطيف الكازراني، مؤسسة الاعلمي،

٢٠٠٦

١١٢. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

١١٣. مصباح المتجهد، ابي جعفر مُحَمَّد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٤١١ هـ.

١١٤. المعالم الجديدة للاصول، السيد مُحَمَّد باقر الصدر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٨ هـ.

١١٥. معجم رجال الفكر والادب في النجف الاشرف خلال ألف عام، مُحَمَّد هادي الاميني، مطبعة الاداب، الطبعة الثانية، النجف، ١٩٩٢.

١١٦. معجم العين، الخليل ابن احمد الفراهيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١٧. المعجم الوسيط، قام باخراجه ابراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات، حامد قادر، مُحَمَّد علي النجار، دار الدعوة استانبول، تركيا.

١١٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب بالقاهرة، ٢٠٠٨.

١١٩. معجم القواعد العربية، عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢.

١٢٠. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.

- ٣١٦..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان
١٢١. المعيار والموازنة، الاسكافي، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣.
١٢٢. مغني اليب عن كتب الاعاريب، عبد الله ابن هشام الانصاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢.
١٢٣. مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، بيروت، ٢٠١٠.
١٢٤. مفردات الفاظ القرآن الكريم، الراغب الاصفهاني، دار القلم، دمشق، ١٤٢٦هـ.
١٢٥. مفاهيم القرآن الكريم، جعفر سبحاني، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ١٤٣٠هـ.
١٢٦. مقدمة كتاب البيع على المكاسب، تقارير السيد مُحمّد الصدر على بحث السيد الخميني، مؤسسة المنتظر لاحياء تراث ال الصدر.
١٢٧. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحمّد ابن خلدون، دار النهضة، مصر ١٤١٦هـ.
١٢٨. مناقب ال ابي طالب، أبي جعفر بن شهر آشوب المازندراني، مؤسسة انتشارات، قم، ١٣٧٩ هـ.
١٢٩. مناهل العرفان، مُحمّد بن عبد العظيم الزرقاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٦هـ.
١٣٠. مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣.

١٣١. مناهج تفسير القرآن، السيد كمال الحيدري، طبع برعاية مؤسسة الامام الجواد عليه السلام، قم.

١٣٢. المناهج والاتجاهات التفسيرية، مُحمّد علي رضائي اصفهاني، المنهج التعليمي لمرحلة الماجستير، جامعة المصطفى العالمية، قم.

١٣٣. المنطق، الشيخ مُحمّد رضا المظفر، دار الغدير للطباعة والنشر، قم، ٢٠٠٣.

١٣٤. المنهج الاثري، هدى جاسم ابو طبرة، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ٢٠٠٩.

١٣٥. المنهج التفسيري والبناء الفني في منة المنان، سناء المحمداوي، دار المعمورة للطباعة والنشر، ٢٠١١.

١٣٦. منهج الاصول، مُحمّد السيد مُحمّد الصدر، دار الاضواء للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

١٣٧. منهج الأطروحة في تفسير منة المنان، عبد السلام زين العابدين، منشورات المحبين للطباعة والنشر، ١٤٢٩ هـ.

١٣٨. من لا يحضره الفقيه، مُحمّد بن بابويه القمي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٣٩٨ هـ.

١٣٩. منطق فهم القرآن، السيد كمال الحيدري، دار فراق للطباعة والنشر، قم، ٢٠١٢.

١٤٠. منة المنان في الدفاع القرآن، السيد الشهيد مُحمّد مُحمّد صادق الصدر،

٣١٨..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان

مؤسسة المنتظر لآحياء تراث ال صدر، مطبعة البصائر، بيروت، ٢٠١٢.

١٤١. من هدي القرآن، مُحمّد تقي المدرسي، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨.

١٤٢. موسوعة الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) السيد مُحمّد الصدر،

مؤسسة المنتظر لآحياء تراث ال صدر، بيروت لبنان.

١٤٣. موسوعة علماء الشيعة، عمار التميمي، مطبعة الثقلين، ٢٠٠٨.

١٤٤. الميزان في تفسير القرآن، السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، مؤسسة

الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٣.

### حرف النون

١٤٥. الانا والآخر في روايات عبد الرحمن منيف، رسالة ماجستير، زينة حمزة

شاكِر، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ٢٠٠٥.

١٤٦. النص والسلطة الحقيقية، نصر حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي،

بيروت، ٢٠٠٥.

١٤٧. نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، ابي صالح للنشر والثقافة،

٢٠١٠.

١٤٨. نهج الفصاحة، غلام حسين المجيدي، مؤسسة انصاريان، قم، ٢٠٠٩.

١٤٩. نهاية الحكمة، السيد مُحمّد حسين الطباطبائي، مؤسسة الخرسان

للمطبوعات، ٢٠٠٥.

### حرف الهاء

١٥٠. الهرمنوطيقا عند بول ريكور، زيوس ليونارد، ترجمة علي سعيد، مجلة

١٥٨ - مسارات العدد ٤، السنة الاولى

### حرف الواو

١٥١. وسائل الشيعة، مُحمّد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة ال البيت عليهم

السلام لاحياء التراث، بيروت، ١٤٠٩ هـ.



## الفهرس

المقدمة..... ٥

### الفصل الأول: التمهيدات

المبحث الأول: السيرة الذاتية للمؤلف ..... ١١

أولاً: أسمه ونسبه ولقبه..... ١١

ثانياً: ولادته ونشأته ..... ١٢

المبحث الثاني: السيرة العلمية ..... ١٤

أولاً: دراسته واساتذته..... ١٤

ثانياً: إجازته..... ١٧

ثالثاً: مؤلفاته..... ٢٠

المبحث الثالث: المشروع التغيري للمؤلف ..... ٢٨

أولاً: مشروعه التغيري..... ٢٨

ثانياً: استشهاده..... ٣٢

ثالثاً: بعض ردود أفعال محبيه..... ٣٣

المبحث الرابع: التعريف بكتاب منة المنان ..... ٣٥

أولاً: الكتاب ..... ٣٥

٣٢٢..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان

|                                               |    |
|-----------------------------------------------|----|
| عنوان ومقدّمة الكتاب .....                    | ٣٥ |
| طريقته في ترتيب السور القرآنية .....          | ٤١ |
| طريقته في عرض المادة العلمية .....            | ٤٢ |
| ثالثاً: تصنيف الكتاب معرياً.....              | ٤٦ |
| المبحث الخامس: التعريف بالمنهج والتفسير ..... | ٤٩ |
| أولاً: التفسير .....                          | ٤٩ |
| ثانياً: المنهج .....                          | ٥٣ |
| ثالثاً: الفرق بين المنهج والأسلوب.....        | ٥٥ |
| رابعاً: دور المنهج في التفسير القرآني.....    | ٥٦ |

## **الفصل الثاني: المناهج التقليدية في التفسير**

|                                                       |    |
|-------------------------------------------------------|----|
| المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن .....              | ٦٣ |
| أولاً: التعريف بالمنهج .....                          | ٦٣ |
| ثانياً: نبذة تاريخية عن تفسير القرآن بالقرآن.....     | ٦٤ |
| ثالثاً: خصائص ومميزات منهج تفسير القرآن بالقرآن ..... | ٦٧ |
| رابعاً: أدوات منهج تفسير القرآن بالقرآن .....         | ٧١ |
| خامساً: نماذج تفسيرية.....                            | ٧٣ |
| المبحث الثاني: التفسير الموضوعي.....                  | ٧٦ |
| أولاً: التعريف بالمنهج .....                          | ٧٦ |
| ثانياً: نبذة تاريخية عن منهج التفسير الموضوعي .....   | ٧٧ |

|     |                                                           |
|-----|-----------------------------------------------------------|
| ٣٢٣ | الفهرس                                                    |
| ٧٨  | ثالثاً: خصائص ومميزات التفسير الموضوعي                    |
| ٨٠  | رابعاً: أدوات منهج التفسير الموضوعي                       |
| ٨٢  | خامساً: نماذج تفسيرية                                     |
| ٨٧  | المبحث الثالث: الإستدلال بروايات أهل البيت (عليهم السلام) |
| ٨٧  | أولاً: التعريف بالمنهج                                    |
| ٨٩  | ثانياً: نبذة تاريخية عن منهج التفسير الروائي              |
| ٩٢  | ثالثاً: آراء العلماء حول منهج التفسير الروائي             |
| ٩٥  | رابعاً: خصائص منهج التفسير الروائي                        |
| ٩٨  | خامساً: أدوات منهج التفسير الروائي                        |
| ١٠٠ | سادساً: نماذج تفسيرية                                     |
| ١٠٦ | المبحث الرابع: المنهج الحواري                             |
| ١٠٦ | أولاً: التعريف بالمنهج                                    |
| ١٠٧ | ثانياً: أسلوبية السيد الشهيد في الحوار                    |
| ١٠٩ | ثالثاً: الحوار الصدري والحوار السقراطي                    |
| ١١١ | رابعاً: بعض الشخصيات المشاركة في الحوار                   |
| ١١٣ | خامساً: جلسات حوارية                                      |
| ١١٨ | المبحث الخامس: السياق اللفظي والمعنوي                     |
| ١١٨ | أولاً: مفهوم السياق                                       |
| ١١٩ | ثانياً: تطور نظرية السياق                                 |

٣٢٤..... قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان

ثالثاً: دور السياق في التفسير..... ١٢٢

رابعاً: أقسام السياق..... ١٢٥

خامساً: نماذج مُستفادة من السياق..... ١٣٠

### **الفصل الثالث: الطرق والأساليب المبتكرة في التفسير**

المبحث الأول: طريقة الأطروحات..... ١٤١

الأول: طريقة الأطروحات..... ١٤١

أولاً: معنى الأطروحة..... ١٤١

المعنى اللغوي والإصطلاحي للأطروحة..... ١٤١

معنى الأطروحة في فكر السيد الشهيد..... ١٤٣

ثانياً: مقوّمات الأطروحة..... ١٤٦

الأول: الاحتمال..... ١٤٦

الثاني: القرائن..... ١٤٧

ثالثاً: مُميزات أسلوب الأطروحات..... ١٥٦

الأول: الأبتعاد عن التفسير بالرأي..... ١٥٦

الأمر الأول: ما المقصود من التفسير بالرأي..... ١٥٦

الأمر الثاني: النشأة التاريخية لهذا المسلك..... ١٥٨

الأمر الثالث: معايير وضوابط التفسير بالرأي..... ١٦٠

الثاني: قاعدة الجري والإنطباق في القرآن الكريم..... ١٦٥

المحور الأول: ما المقصود من الجري..... ١٦٥

|                                                            |     |
|------------------------------------------------------------|-----|
| الفهرس .....                                               | ٣٢٥ |
| المحور الثاني: ضوابط ومعايير الجري والإنطباق .....         | ١٧٠ |
| المحور الثالث: نماذج تطبيقية .....                         | ١٧٣ |
| الثالث: قاعدة البطون في القران .....                       | ١٧٧ |
| المحور الأول: احتمالات فهم روايات البطون .....             | ١٧٧ |
| المحور الثاني: الرد على إشكالات اخبار البطون .....         | ١٨٤ |
| المحور الثالث: نماذج تطبيقية .....                         | ١٩٠ |
| الرابع: طريقته في عرض الأطروحة .....                       | ١٩٦ |
| المحور الأول: مناقشته أسباب النزول .....                   | ١٩٦ |
| المحور الثاني: الجمع بين الثنائيات .....                   | ١٩٩ |
| المحور الثالث: اشكالية السؤال .....                        | ٢٠١ |
| المحور الرابع: إستقراء الوجوه والشواهد على الإستدلال ..... | ٢٠٥ |
| المحور الخامس: الممارسة النقدية، وعدم التسليم للجواب ..... | ٢٠٦ |
| الخامس: أنواع الأطروحات .....                              | ٢٠٨ |
| أولاً: الأطروحة المتعددة .....                             | ٢٠٨ |
| ثانياً: الأطروحة الشاذة .....                              | ٢٠٩ |
| ثالثاً: الأطروحة النادرة .....                             | ٢١٣ |
| رابعاً: الأطروحة الضعيفة .....                             | ٢١٥ |
| خامساً: الأطروحات المتنافية وغير المتنافية .....           | ٢١٧ |
| المبحث الثاني: الطريقة الرياضية .....                      | ٢٢٠ |

|          |                                                                         |
|----------|-------------------------------------------------------------------------|
| ٣٢٦..... | قراءات في المناهج التفسيرية عند السيّد الشهيد الصدر في كتابه منة المنان |
| ٢٢٠..... | أولاً: المعنى الاصطلاحي                                                 |
| ٢٢١..... | ثانياً: أستعمالات السيد الشهيد (قدس سره) الرياضية                       |
| ٢٢١..... | ثالثاً: الرياضيات والنصوص القرآنية                                      |
| ٢٢٥..... | رابعاً: نماذج تفسيرية                                                   |
| ٢٢٧..... | المبحث الثالث: الطريقة العرفية                                          |
| ٢٢٧..... | أولاً: المعنى الإصطلاحي                                                 |
| ٢٢٩..... | ثانياً: الفرق بين العرف والعادة                                         |
| ٢٣٢..... | ثالثاً: أقسام العرف                                                     |
| ٢٣٣..... | رابعاً: الفهم العرفي للنصوص                                             |
| ٢٣٧..... | خامساً: نماذج تفسيرية                                                   |
| ٢٤١..... | المبحث الرابع: الطريقة الدقيّة العقلية                                  |
| ٢٤١..... | أولاً: تمهيد                                                            |
| ٢٤٣..... | ثانياً: معنى الفلسفة واقسامها                                           |
| ٢٤٥..... | ثالثاً: المعنى الاصطلاحي                                                |
| ٢٤٧..... | رابعاً: أستعمالات الفهم (الدقي) العقلي                                  |
| ٢٥٠..... | خامساً: نماذج تفسيرية                                                   |
| ٢٥٤..... | المبحث الخامس: أسلوب الذوق العرفاني                                     |
| ٢٥٤..... | أولاً: تمهيد                                                            |
| ٢٥٧..... | ثانياً: نظرة تاريخية                                                    |

|     |                                                         |
|-----|---------------------------------------------------------|
| ٣٢٧ | الفهرس                                                  |
| ٢٥٩ | ثالثاً: ضوابط التفسير العرفاني                          |
| ٢٦٤ | رابعاً: آراء العلماء فيه                                |
| ٢٦٨ | خامساً: نماذج تفسيرية                                   |
| ٢٧١ | المبحث السادس: الطريقة النحوية                          |
| ٢٧١ | أولاً: تمهيد                                            |
| ٢٧٣ | ثانياً: أسلوبه في عرض المادة النحوية                    |
| ٢٨١ | ثالثاً: بعض آرائه النحوية                               |
| ٢٩٣ | المبحث السابع: طريقة الإحتمالات                         |
| ٢٩٣ | أولاً: تمهيد                                            |
| ٢٩٤ | ثانياً: المعنى اللغوي والإصطلاحي                        |
| ٢٩٥ | ثالثاً: الإحتمال الواقعي والإحتمال الافتراضي            |
| ٢٩٦ | رابعاً: قاعدة جمع الإحتمالات (المتنافية وغير المتنافية) |
| ٢٩٨ | خامساً: الإحتمال مبطل للإستدلال                         |
| ٣٠٣ | فهرست المصادر                                           |
| ٣٢١ | الفهرس                                                  |